

الجزءان : ٣ و ٤
الستة الثالثة

المعرفة

يوليو وأغسطس ١٩٣٣
ربيع الأول والثاني ١٣٥٢

مجلة — شهرية — جامعة
[مقررة في وزارة المعارف العمومية]
لمصاحبها وناسرها ومحرريها المسئول

عبد العزيز الأبي بكر

الطابع

شعارها : اعرف نفسك بنفسك

المجلد

الى حضرات القراء

كنا أصدرنا عدد يوليو متأخراً ثلاثة أسابيع ، لاشتغالنا في ذلك الوقت بطبع هدية السنة الثانية ، فترتب على هذا تأخير عدد يوليو ، مما دعا كثيرين من حضرات المشتركين في الخارج عامة والبلاد النائية بصفة خاصة ، إلى الشكوى من تأخير وصول المجلة إليهم ، فافترحوا علينا توفيراً للوقت ، أن تصدر جزأى يوليو وأغسطس معاً في عدد واحد ، وقد أخذنا بهذه الفكرة على أن نزيد صفحات كل عدد ملزمتين ، ليقضى لنا إخراج الأعداد المقبلة إن شاء الله في ميعادها المعتاد ، وهو اليوم الأول من كل شهر إفرنجى .

ولهذا يلاحظ حضرات القراء أننا أضفنا إلى هذا العدد ملزمتين ؛ راجين أن يصدر عدد سبتمبر في اليوم الأول منه إن شاء الله .

وبهذه المناسبة ، نذكر لحضراتهم ، أننا عدلنا عن العطلة الصيفية في هذا العام ، مستمرين على إصدار المجلة في شهرى العطلة ، كيفية شهور العمل .

الى حضرات المشتركين

نرجو حضرات المشتركين الذين لم يسددوا ما عليهم لإدارة المجلة ، أن يتفضلوا بتسديد القيمة المطلوبة ، ولحضراتهم الشكر .
الإدارة

في التربية والتعليم

لكبير المربين الأستاذ الجليل

أحمد فهمي العمروسي بك

ذلك هو عنوان الكتاب القيم الذي طبعته «المعرفة» وقدمته هدية إلى حضرات مشتركينا الذين سددوا قيمة اشتراك السنة الثانية ، وهو الكتاب الوحيد الذي يعتبر دائرة معارف عامة للتربية والتعليم ، لما احتواه من أحدث الآراء فيهما .

وقد أجمعت شتى الجامعات والمعاهد والهيئات العامة الكبرى على تقديره ، فاشتركت في عدد من نسخه ليكون مرجعاً للمربين والمعلمين .

كما أجمع رجال النهضة وقادة الفكر والتعليم في الشرق ، على أنه الكتاب الذي يعتبر بحق درة المؤلفات العربية في التربية والتعليم للقرن العشرين .

ولا تنقص الصحف - بين القيمة والفائدة - تكتب عنه مشيخة به مشيرة إلى الفوائد التي يجنيها من قراءته النالم والباحث والمفكر والأديب .

وهو يقع في ٣٣٠ صفحة من الحجم الكبير والورق المصقول ، عدا ٢٢ صورة لرجال التربية والتعليم ، في الشرق والغرب ، ومشاهد كثير من الآثار الإسلامية .



أرسلنا هذا الكتاب إلى حضرات المشتركين الذين سددوا قيمة اشتراك السنة الثانية ، وما نشك مطلقاً في أن حضرات المشتركين الذين لم يسددوا قيمة اشتراك تلك السنة ، سيحرمون على اقتناء هذه الهدية النفيسة ، التي تعتبر دائرة معارف عامة في أهم بحوث التربية والتعليم ، وسيحرمونهم حرصهم إلى تسديد القيمة . انتاح لهم فرصة الحصول على نسخة منه قبل نفاذ نسخته المحدودة العدد . أما حضرات الذين يودون الحصول عليه من غير المشتركين ، فقد جعلنا منه لهم ٥٠ قرشاً مصرياً ، يضاف إليها ٥ قروش أجرة بريد .

وننشر هذه الفرصة لتجيب حضرات الذين أرادوا أن يشتركوا في السنة الثالثة على أن يأخذوا هذه الهدية ، بأن الإدارة لا تقبل ذلك إلا بطريق البدل ، أعني أنه لا يكون المشترك الحق في طلب هدايا السنة الثالثة .

خراطير المحرر

ثقافتنا العربية : أياں تتجه وتسير ؟

مانظن كاتباً من الكتاب - بالغاً ما بلغ منطقہ وحوارہ - مستطیعاً إنکار ذلك الروح الفکری الوثاب ، وتلك النهضة العامیة القائمة ، وهائیک الخطوات الجریئة الی تقطعها الثقافة العربیة فی طریقها إلی الغرب المتدفق السیل .

فأنت حیث تسیر وأنی تتجه ، واجد حركات جدیدة ، وأفکاراً جدیدة ، لیس إلی دفعها أو ردها من سبیل ؛ ذلك أنها شائعة فی نفوس الشباب ، منبئة فی أذهان الجمهور ، الذی یتمدد بعض من الکتاب تضلیله واستغلاله .

ذلك هو الحق ، نذكره وإن کان مرأ ، فهل لنا أن نأمل الخیر من تلك الخطوات الی نخطو إلیها ثقافتنا العربیة ، أم الأمر بالعکس .

نحن لا ننکر ما للثقافة الغرب من نفع وخیر ، وجمال وقدر ، بل لیس من المعقول أن ننکر أنها متأثر بما یدور حولنا ، ویقع أمامنا ، ویعج به محیطنا ، بل محیط أوروبا من سیاسة وعلم ومعرفة ، واختراع ، وآداب ، وتقالید ، وحضارة وصناعة ، وثقافة وصحافة وتجارة . . . إلی غیر ذلك مما أنتجته عقول الغربین وولده أبديهم الصناع .

بل لسا ننکر أن مصر - وهی بحکم موقعها الجغرافی ، حلقة الاتصال بین الشرق والغرب - یستلزم أن یکون تأثرها بالحضارة الأورویة أكثر من تأثر شقیقاتها العربیات ؛ ولأنها من عهد محمد علی الکبیر ، منشأ حقاً ، آخذة فی سبیل الدنو إلی الغرب قدماً ، والانسلاخ عن الشرق شیئاً فشیئاً ، وهامی ذی ثقافتها تزداد من الثقافة العربیة دنواً واقترباً ، كما یزداد اقتحاماً غترعات الغرب بلاد الشرق اقتحاماً ، سواء أکان ذلك أم هذا ، صادراً عن رضا وطواعیة ، أم عن ازورار وکراهیة . مادام عصرنا - وهو عصر المادة - یأبى الرضوخ لغير حکم السیف والمدفع . لسا ننکر ذلك کله ، بل لسا نستطیع تجاهله أو التعامی عنه ؛ ولکنا ننکر علی الثقافة العربیة کلهما أن تكون خیراً خالصاً ولهذا نطلب إلی کتابنا وقادة الراى منهم ، أن یتدبروا الأمر

ویدرسوا ما یأتی به الغرب فی ضوء التحقیق العلمی النزیه ، ویتعرفوا السبل والمسالك الآمنة الی سلكها الغرب فیما اختط من سبل ومسالك ، وأن یتقوا الله فیما ینشرونه علی الشباب من آراء وأفکار لما تحتتمر فی أذهان مذیميها بعد ، أو لم یقم علی صحتها دلیل بعد ، فیروحون هدامین مخربین ، منکرین میراثنا العربی ، لا یرون فیہ خیراً ولا سجلاً ؛ إلی هؤلاء نطلب

مخلصين أن يتعرفوا قيمة تراثنا العربي، ويتحسّسوا مواطنه في مخطوطاته ومطبوعاته، وفآثاره ومخلفاته، من إسلامي وعربي، وقبطي وفرعوني؛ وفي أدبياته وفلسفاته، وروحانياته وماديته، ثم فليصدروا بعد ذلك حكمهم منصفين.

ووقتئذ يحق لكل منهم أن يدعو إلى التجديد دون قيد ولا شرط، اللهم إلا قيد من الدين، وشرط من القومية الصحيحة.

صحيح أن كثيراً من عاداتنا وتقاليدها، وأدياننا واجتماعياتنا، في حاجة إلى الإصلاح والتغيير، بل الهدم والتدمير، وصحيح أن الفكر العربي انحط في كثير من عصوره، فأدركته لمة من وهن، وحفنة من ضعف، ورشاش من ركود، وسنة من نوم؛ ولكن هذا كله - على فرض صحته - عارض من العوارض الزائلة التي تلتاب الأمم في كثير من أدوار حياتها، ثم تزول عند نقطة أبنائها، فهل آن لنا أن ندرك هذه الحقيقة خالصة، فنعمل على إيقاظ الأمة، وإرشادها إلى كيانتها القائمة في تراثها القديم، وكشف الجوانب المضئئة اللامعة فيه، الفياضة بالخير والنور، لتبنى عليه حاضرنا ومستقبلنا فتزداد، قوة ونشاطاً وحياة ورجاء في المستقبل، بدل تحسس الجوانب المظلمة التي لا يخلو منها تاريخ أي أمة من الأمم؟

ليعلم هؤلاء - إن كانوا لا يعلمون - أنه ما من أمة تستطيع احترام حاضرها، وتحقيق مثلها الأعلى، ما لم تكن محترمة ماضيها، واقفة على ما لتاريخها القديم من روعة وجلال؛ ذلك أن الماضي تأثيراً بالغ الحد في رسم المثل العليا التي تنشدتها الأمم لمستقبلها، فإذا ما افتقرنا بماضينا، ومضينا في الأخذ بهذيب المروج عنه، وتشذيب الناقى فيه، استغلطنا أن نغرس في الشباب الحاضر بذور الرجولة الحقة، والوطنية الصادقة، فيشمر كل منهم أن له ولامته شخصية مستقلة، وذاتية حية، وكياناً قائماً؛ ومن ثم يدفعه ذلك الشعور النبيل، إلى الأخذ بأسباب الحياة الصحيحة، وتحقيق الغايات النبيلة، في شعور فياض بالقوة والإخلاص، وإحساس موفور بالكرامة والعزة المنبوعة.

وليعلموا بعد ذلك أناعرب - سواء أرضينا أم لم نرض - فما معنى التنكّر لآبائنا وأجدادنا، وإنكار أدبنا ولغتنا، والزراية بتاريخنا وثقافتنا، وقطع الصلة بين ماضينا وحاضرنا؟ ألا فليعلم هؤلاء أيضاً، أنا مبالون بطبيعتنا إلى التجديد، ذلك التجديد الذي يشمل كل فروع الحياة، على أن تكون له من القديم حجة، ومن ماضينا الجيد دعامة؛ التجديد الذي يقوم على سلاح من الحق، وينهض بقوة الإيمان واليقين، التجديد الذي يرتكز على المنطق الصحيح، ويهزأ بالبهرج الزائف.

نحن نؤمن بالتجديد لأنه دليل الحياة ، ونؤمن بالتطور لأنه الباب الذي يفتح
للآراء الجديدة طريقاً ، ويمهد للعلم والمعرفة سبيل التقدم والنجاح .

نؤمن بذلك كله ، وندعو إليه ، وإلى الأخذ بأسباب الحياة فيه ، وبكل ما في الحياة من
أساليب وفنون ، لكننا نخشى التهور ، والتورط في مزالقه ؛ فلا أقل من الحيلة الشديدة ،
والحذر الدقيق ، والتأكد من سلامة ما يمدس على ثقافتنا من آراء وأفكار ، لئلا يفسد لنا النصح ،
ونستمر قروص النهضة ، سواء أكانت علمية أم اجتماعية أم سياسية ، أم غير ذلك مما يمهّد لنا
خطوات الوصول إلى المثل الأعلى الخي .

أما التقليد الأعمى ، والانسياق وراء الغير ، دون تفكير ، أو إنعام نظر ، فلا نعبده
تجديداً بالمرّة ، وإنما نعبده آية الضعف والاستكانة ، ودليل الاستخذاء والجهود ، قال العلامة
ابن خلدون يصف مثل هذه الحال :

« إن النفس أبدأ تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه ، إما لنظره بالكمال بما وقر
عندها من تعظيمه ، أو لما تعالط به من أن اقتيادها ليس لقلب طبيعي ، إنما هو لكمال
الغالب ، فإذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقاداً ، فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت
به ، وذلك هو الاقتداء . . . » ، « فإذا ذهب الأمل بالكسل ، وذهب ما يدعو إليه من
الأحوال ، وكانت العصبية ذاتية بالقلب الحاصل عليهم ، تناقص عمراتهم ، وتلاشت مكاسبهم
ومساعدهم ، وعجزوا عن المدافعة عن أنفسهم ، بما خضد الغلب من شوكتهم ، فأصبحوا مغلوبين
لكل مغلوب . طعمة لكل آكل » .

هذا كلام ابن خلدون علامة الاجتماع ، وشيخ أسانذته إطلاقاً ، فلنتدبره . ولنحذر
كثيراً ، ونحفظ أكثر ، والحذر والحيلة في مكتبتنا نحن ، فإذا بمنعنا منهما اللهم لاشئ :
ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

المعرفة في سغافورة

تخاطب « مجلة النهضة الحضرمية » فيما يخص بالمعرفة في سغافورة .

المعرفة في جاوا

نرجو حضرات مشتركينا في جاوا أن يرسلوا قيم الاشتراكات إلينا مباشرة ، حيث إن
الشيخ عمر معروف عقبه لم يسدد ما عليهم عن السنة الثانية إلى الآن .

الفرد لورد تنسن

ولد «الفرد تنسن» الشاعر الإنجليزي قبل ميلاد «دكنز» بثلاث سنوات، وكان أبوه قسيساً ورئيساً لمدرسة عالية في بلدة (سمرسبي) في مقاطعة (لنكولنشير).

ولم يكن في أيام تنسن مكان أبهج من مدرسة (سمرسبي) هذه في كل المدينة، لأنها احتوت أحد عشر طفلاً نابهاً ذكياً. ومن بينهم ثلاثة أطفال إخوة، وكان ثلاثتهم طوال الجسوم حسان الوجوه، وهم «فردرك»، و«شارلز»، و«ألفرد». وكان بإمكانهم كلهم أن يكتبوا قصة جيدة وينظموا شعراً حسناً، وقد تفوق ألفرد على أخويه مع أنه كان أصغرهم سناً.

وقد التحق ألفرد تنسن بمدرسة (لوث) اللغوية، ومضى فيها أربع سنوات لم يشعر أثناءها بسعادة ما. ولكنه عوض ذلك أثناء عطلة المدرسية، فقد كان يشعر بسعادة وغبطة عظيمة أثناءها، حيث كان يصرفها متجولاً في الغابات والأحراش، ومشاهدة الحياة البرية حولها، باهتمام وبقطة، وظل تنسن يتعمق طول حياته في ملاحظة الطبيعة، وبذلك تعرف بجميع أنواع الأشجار والأزهار التي وجدت بالجهة التي يعيش فيها، ثم درس أجزاءها، من حيث أنواع الورق، والنسج، والزهرة. ودرس الحشرات مثل الفراش، وكذلك الطيور والنجوم وأنواع الأحجار. ولذلك نلاحظ في أشعاره آلاف الإشارات للأشياء التي لاحظها ودرسها بدقة وعناية أثناء جولاته العديدة منفرداً.

ولما بلغ الثامنة عشر من عمره، نشر هو وأخوه شارلز كتاباً من أشعارهما، وفي السنة التالية التحق ألفرد تنسن بمدرسة ترقى بكمبريدج، وهناك لم يهتم كثيراً بالدراسات المختلفة، وإنما وجه جل اهتمامه وأكثر وقته للشعر والنقاش مع جماعة منتخبة من الأصدقاء، من بينهم هنري هلام الذي كانت له منزلة خاصة عند تنسن ربما فاقت منزلة الآخر.

وفي أثناء وجوده بالجامعة نال ميدالية ذهبية على منظومته التي عنوانها تمبكتو Timbuctoo، ومجموعة أخرى من الأجزاء المضحكة المستخرجة بشكري Thackerey الذي كان زميلاً له.

وفي السنة التالية نشر تنسن مجموعة ثانية من أشعاره، وعاد بعد ذلك بقليل إلى بلده، حيث ماتت والدته، وقد أحزنه موتها كثيراً، فسافر إلى الخارج مع صديقه هاللام.

بعد ذلك بثلاثة أعوام أخرج للعالم أول ديوان هام من أشعاره، ومع ذلك فقد وجدت به أخطاء كثيرة، وقد صدم تنسن بالنقد القاسي الذي صادفه ديوانه، ولكنه كان شجاعاً، فاستمر يكتب، وظهر تقدمه وحذقه في فنه كل يوم أكثر من سابقه.

وفي عام ١٨٣٣ مات صديقه هاللام فجأة، وكان موته صدمة عنيفة لتنسن، نتج عنها إحدى مراثيه التبدلية القوية في اللغة، وهي التي عنوانها «In memoriam».

وقد اعتبر تنسن في مقدمة شعراء عصره حتى قبل ظهور عمله هذا ، فإلهامات الشاعر العظيم ورديثورث Wordsworth شاعر الملوك ، انتخب تنسن بدلا عنه ، وكان واجبه إذن أن يدون أشهر الحوادث التاريخية للأمة الماسكة والأمة نظما . فكان أول ما كتبه في هذا النوع ، مرتبة يرى فيها دوق أوف ولنجن ، وتبع ذلك منظومة أخرى هامة .

ثم ختم تنسن حياته الفردية بالزواج ، واشترى منزلا في جزيرة وايت ، وهناك استقر به المقام واطمأن إلى الحياة الريفية ، وكان يصرف بعض وقت فراغه في إصلاح شئون حديقته والاعتناء بأزهارها ، كما شارك أولاده اللعب ، وقد كان جد سعيد بذلك .

وقد درس تنسن (مالورى Malory) ، وكتب مواضيع شتى اختارها من كتابه . وحول كثيرا من القصص القديمة إلى أشعار جميلة : وقد سر ذلك العمل عشرات الألوف من قرائه . ومن أشهر هذه القصص : سير جلهاد ، وجرت ، وليدت . وبعد ذلك غير تنسن مسكنه ، فابتنى له منزلا آخر في (الدهرست) في مقاطعة (سرى Surry) على سفح تل مرتفع ، حيث يشرف المنزل على مناظر جميلة واسعة .

ولما بلغ السادسة والخمسين من عمره ، كتب روايته التمثيلية الأولى « الملكة ماري Queen Mary » التي أخرجها صديقه السر هنري إرفنج في لندن . وتبعها روايتان أخريان هما هارولد وبيكت Harold; Becket ، ولكن حذقه لم يظهر في كليهما .

وفي عام ١٨٨٤ أرادت الملكة أن تنصبه أميراً ، وبعد تردد قبل ذلك الشرف العظيم ، ولقب بارون تنسن . وبعد ثلاث سنوات من ذلك التاريخ مات ابنه الأكبر ، ومع أن ذلك أحزنه كثيرا ، وأثر عليه أيما تأثير ، فقد وجد سبلوى في عمله ومشاركة الغير في أحزانهم وويلاتهم . وقد كان تنسن رجلا دينيا مؤمنا في كل أطوار حياته . وشغف دائما بأن يسمع أجزاء من الكتاب المقدس تقرأ له . ولم يتجل معتقده في أي قطعة من كتاباته أكثر مما تجل في منظومته التي كتبها في السنة الحادية والثمانين من عمره ، وتسمى تلك المنظومة « Crossing Re Bar » ومات تنسن في اليوم السادس من أكتوبر سنة ١٨٩٢ وعمره ثلاثة وثمانون سنة وشهران ، ودفن بين العظماء في وستمنستر .

ومن قراءة منظوماته الطويلة والقصيرة ، يعلم أنه كان أستاذا للغناء الانجليزي ، وأنه كان يعنى كل العناية بأن يبرز عمله تاما متقنا بقدر الامكان . وكان من أهم ما امتاز به استعمال الكلمات الرائعة الدالة على ما أراد من معنى ، كما أنه كان يأسس قياد الألفاظ لأسلوبه النظمي الساحر بحدق ، لا يضارعه فيه غير شكسير . وبما يذكر له بالفخر العظيم أن قلمه كان ساميا ، فلم يخط شيئا دينيا أو منحظا قط .

الأصل الحيوي والأصل المادي

بقلم الأستاذ محمد فريد وجدي

أجهد الماديون أنفسهم طوال القرنين: الثامن والتاسع عشر، ليثبتوا للعالم أن الكون كله يقوم بالمادة وحدها متحركة بقوى ذاتية فيها، وحاولوا أن يطرّدوا من العلم كل قول بضرورة وجود أصل حيوي مع المادة يؤثر فيها ويحوّلها إلى خلايا حية، يتخذها عناصر لبناء الكائنات الحية من نباتية وحيوانية، ويتولى قيادتها فيدفعها إلى أدوار من التطور تصل من طريقها إلى كمالها المقدر لها.

وهذا الرأي من الحيويين لم يكتسب من دين من الأديان، ولا يمت بصلة إلى عقيدة من العقائد، ولكنهم اضطروا إلى افتراضه اضطراباً علمياً، ليتوصلوا به إلى تعليل قيام الكائنات الحية على الحالة التي هي عليها.

ولكن الماديين رأوا أن هذا الافتراض لا ضرورة له، لأن ناحية أنهم لا يعترفون بوجود الحياة في الكائنات الحية، ولكن من ناحية أن هذه الحياة ليست بأصل قائم بأزاء المادة، ولكنها تطور من المادة نفسها ولا وجود له إلا بها.

وقد أتينا في مقالات متعددة بهذه المجلة على آراء كبار علماء البيولوجيا المعاصرين في الحياة، وسجلنا عليهم شهادتهم في أن الحياة هي التي تبنى الكائنات الحية وتشكلها، لأن المادة هي التي توجدنا وتتولى أمرها، فوهنت بهذه الآراء المبنية على المشاهدات أصول الماديين ووهنت حججهم، وتوالت المستكشفات فاختلفت صفوفهم ودالت دولتهم. وزيد هنا اليوم أن تأتي على بعض ما كانوا يتدفعون به من الشبهات، وعلى بعض ما قبلوا به من المسكافات، لأن في ذلك علماء بمحاولات الماديين وبما يجب أن يقابلوا به من الأدلة المبطلّة لدعوائهم.

كان الماديون يزعمون أن الحياة نشأت من المادة نشوءً بتأثير الفواعل الطبيعية، فلما أعلن الأستاذ (هيكيل) الألماني أنه اكتشف أصل الأحياء في لطخ مخاطية تتكون في بعض الرطوبات قبل أن تتألف إلى خلايا سماها (المونير)، طرب الماديون من هذا الاستكشاف واعتقدوا أن مذهبهم قد تأيد بالمشاهدة العلمية، وأعلنوا في زهو كبير أن مذهب الحيويين قد أصيب بضربة قاضية لا تقوم له بعداً قائمة، ذاهبين إلى أن هذه اللطخ المخاطية هي أصل الخلايا الأولية، ونحن لا نرى لتبجحهم موجباً حتى لو ثبت أن التولد الذاتي صحيح لامرية فيه، لأن

القائل بوجود القوة الحيوية يستطيع أن يحاجهم بأن الذي أحدث هذه اللطخ هي القوة الحيوية المتبنة في السكون مع المادة ، ثم تولتها وصنعت منها الخلايا الأولية التي تتألف منها الكائنات الحية ؛ فالتولد الذاتي إذا ثبت على هذا الوجه لا يقوى على إزالة الرأى القائل بوجود القوة الحيوية. فإن (مونيير) هيكل ليست بأكثر تركباً من الجسد الانساني ، فإذا كان للماديون أنفسهم يقولون بوجود الحياة فيه ، فمن السهل أن يتصور حلولها في المونيير ، وهي من البساطة بحيث تشبه بالمواد الجامدة ؛ فنظرية هيكليل تؤيد قول الحيويين ولا تدحضه .

وإذا أضفت إليه ماسبق لنا نشره في هذه المجلة من رأى الأستاذ (هكسلي) من أن هذه المونيير التي دطاها (الأميب) تأتي من الأعمال - مع حرمانها من جميع الأعضاء - بما لا يصدر إلا عن الكائنات العاقلة ، حتى أنها لتبني لنفسها قواقع تحمل فيها ذات أشكال هندسية بدیعة ، إذا أضفت إليه هذا رأيت أن افترض وجود القوة الحيوية أصبح أمراً لا بد منه . وقد رأيت أن (هكسلي) نفسه قد ذهب إلى أن القوة الحيوية هي التي تحدث هذا الأميب ، وتعمله على الإتيان بالأعمال العقلية وهو محروم الأعضاء كل الحرمان .

ولكن الماديين يقولون : لاداعية لافتراض وجود الأصل الحيوي فإن خواص المادة والقوى المودعة في ذراتها تكفي لإقامة حياة كل كائن حي ، وتدير تركيبه وإبلاغه إلى أقصى ما يستأهله من مراتب الوجود حتى الإنسان نفسه .

فقال العلامة (شغلر) الألماني :

« كل من هذه القوى (قوى الجواهر الفردة) تحدث في غيرها تأثيراً يحصل الجسم بواسطته في كل جزء من أجزائه على وحدة من رتبة أرقى ، فتجتمع التأثيرات الخاصة لكل هذه القوى الفردية ، وتحدث نتيجة عامة وتكون مقاومة تدمج جميع الأجزاء في مجموع واحد يرسم عليه الشكل الأساسي لكل خاصة شخصية » .

نقول : هل يخيل للأستاذ (شغلر) أنه بإيراد هذه العبارات قد فسر كل غامض من حياة الكائنات الحية ، وهو يعلم أن كلا من كلماتها حكم ليس له عليه دليل ؟ إن تعليل قيام الأجسام الحية بمنزلة هذه الخيالات يحتاج لقسط كبير من سهولة التصديق حتى يوافق عليه أضعف العقول البشرية .

لو قال قائل : كيف يحصل الجسم الحي على وحدة عامة من تأثيرات مختلفة مادام لم يوجد أصل منظم للمجموع ؟ ومن يبني هذا التركيب الجسمي الحي ؟ وكيف تعمل خصائص المواد على نظام واحد لا يحدث نتيجة عامة لم تفكر فيها ولم تدركها ؟ وأي عقل يسوغ لنا أن نعتقد أن العناية المطلقة تحدث كل هذه المبدعات الحية المتنوعة التركيب إلى مالا نهاية ؟

أحسن ما قيل حيال هذه الفروض ما قاله الأستاذ (تيسو) الطبيعى الفرنسى، قال: «يجوز أن تقبل جميع هذه الاتفاقات (الصدف) فى سبيل رفض الأصل الحيوى المتتبع بقوة منظمة خاصة؟»
 يضحك الطبيب الألمانى (ملدر) من قول الروحانيين بوجود قوة حيوية، ويضرب لذلك مثلاً فيقول: «لو تخيلنا معركة ناشبة بين ألوف من المتحاربين، فليس المراثى لهم قوة واحدة هى التى تطلق المدافع وتحرك الصوامع الخ... تسمى بقوة المعركة، ولكنها مجموع قوى لا تحصى تعمل كل منها فى دائرتها لأحداث ما يسمى بالمعركة».

يقول: يستنتج من كلام (ملدر) أن القوة الحيوية ليست أصلاً ولكن نتيجة، ولكن غاب عنه أن هذه الأعمال العسكرية الفردية كانت تذهب سدى وتوجب خسران الموقعة لو لم تكن صادرة عن نظام عسكري عام تنزل من عقل القائد إلى كل ضابط وسرى من كل ضابط إلى كل جندي؛ فالنظام الذى شوهد فى الجيش المتحارب لم ينجح مصادفة أو اتفاقاً، ولكنه جاء عن تدبير سابق وخطة مقررّة، وإذا كان هذا صحيحاً بين أفراد المتحاربين وهم عقلاء، فكيف لا يكون صحيحاً بين أفراد المتحاربين وهم عقلاء؟ وكيف لا يكون صحيحاً بين ذرات الجسم الحى المحرومة من كل عقل؟ أليست حاجة الجسم الحى - وهو مركب من ذرات لا تعقل - إلى أصل حيوى منظم، أكبر من حاجة المتحاربين العقلاء إلى قائد مدبر؟

مما يزيد فى قيمة المذهب الروحى أن كبار الفيزيولوجيين والمشرحين والطبيين من أنصاره مثل: بوفون وكوفيه ودارون وروسل ولاس وجون لبلوك وشكلى وهربرت سبنسر وأوليفر لودج الخ، وما كانوا كذلك إلا لأنهم لم يستطيعوا تعليل ظواهر الحياة بقوانين المادة الباردة، فافترضوا وجود قوة حيوية مستقلة تنزل على المركبات الآلية، وتشرق فيها على قدر استعدادها ودرجة تركيبها.

قال العلامة الطبيعى (بوفون) الفرنسى فى كتابه (التاريخ الطبيعى):
 «إن اللاب الحقيقى لتركيبنا الجثمانى ليست هى هذه العضلات ولا هذه الشرايين، ولا هذه الأوردة، ولكنها قوى داخلية لا تتبع قوانين الميكانيكا الساذجة التى تخيلناها وأردنا أن نحيل كل شئ إليها».

وقال الدكتور (سريز) فى كتابه (علم الملاحظة):
 «الظواهر الحيوية كثيرة التركيب، والقوى الطبيعية مع اشتراكها معها اشتراكاً كاملاً مشاحة فيه - وإن كان يصعب قياسه - هى خاضعة لقوة علياً ترأسها وتستخدمها لأغراضها»
 ويحسن بنا أن نتوج هذا المقال بكلمة ثمينة كتبها العلامة الفرنسى (لوجيل) فى كتابه (العلم والفلسفة) قال:

« العلم يستسلم أحياناً لشكوك وإنكارات ترعجنا، ولكن للعلم مساتير لا يسبرها غور، فهو يكتفى بالإنفاذ كلها لم يجد سبيلاً للنقوذ إلى سرائر الظواهر المحسوسة .
 « تكثر الكيمياء من ذكر الألفة ؟ أليست هذه الألفة قوة فرضية وآنية غير مدركة بالحواس كالحياة والروح ؟ الكيمياء ترجع إلى الفيزيولوجيا فكرة الحياة ، وتأتي عليها أن تشتغل بها ؛ ولكن الفكرة التي تحوم حولها الكيمياء هل فيها ظل من الحقيقة ؟ هذه الفكرة هي غالباً لا تدرك ليس فقط في أصلها ولكن في نتائجها أيضاً .
 « هل يمكن للإنسان أن يتأمل لحظة مثلاً في القوانين المسماة بقوانين برتلو بدون أن يدرك بأنه حيال سر لا يسبر غوره ؟

« وإذا اعتبرنا ظاهرة بسيطة من ظواهر الاتحاد الكيميائي ورأينا هذا الميل الذي يدفع بعض الذرات إلى بعض فتتباحث ثم تنضام بعد تخلصها من المركبات التي كانت تحويها ؛ أليس في هذا ما يحير العقل ؟

« كما أؤمن الإنسان في درس العلوم من وجهتها المعنوية زاد اعتقاداً بأن ليس في العلم ما يمنع من اتفاده مع أبعد الفلسفات العقلية مرمى .

« العلوم تحلل العلاقات وتأخذ القياسات وتكتشف التواميس التي تنظم عالم الظواهر، ولكن لا يوجد ظاهرة واحدة، مهما كانت تافهة ، لا تضعها العلوم حيال أمرين ليس الأسلوب التجريبي عليهما من سبيل . أولهما : أصل المادة التي تغيرت بواسطة تلك الظاهرة الطبيعية ، وثانيهما القوة التي استدعت هذه التغيرات فيها .

« نحن لا نعلم ولا نرى إلا الظواهر والقشور ، أما الحقيقة والعملة فتأبيان أن تنكشفنا لنا ، وإنه ليحقق لفلمفة طالية أن أعتبر كل القوى الخاصة التي أفاعيلها قد تحملت بالعلوم المختلفة صادرة عن قوة أولية أبدية واجبة الوجود مصدر كل حركة ومركز كل عمل ، إذا وجهنا أنفسنا هذه الوجهة نظهر لنا الحوادث الطبيعية والكائنات ذاتها صوراً متغيرة لفكرة إلهية » انتهى .
 محمد فريد وجدى

المعرفة في سوريا وفلسطين ولبنان

تطلب « المعرفة » في سوريا وفلسطين ولبنان من فروع شركة الحواجات فرج الله إخوان

المعرفة في يافا

تطلب « المعرفة » في يافا من مكتبة فلسطين بساحة الجريئة ، لصاحبها سليمان أفندي الخطيب

مهديو بني العباس

بقلم الأستاذ مصطفى جواد (بغداد)

المهدية من المؤثرات الشديدة في تاريخ الاسلام، وهي اجتهاد في سياسة الاسلام كالا جهاد في فقهه، ولقد تنازع المهدي بنو أمية باسم السفيناني، والخواارج باسم الشاري، وبنو هاشم باسم المهدي، فكان منهم الغالي والمقصر وسالك الجدد. ولظهور هذا المذهب في الاسلام عدة علل أهمها :

(أ) قول الرسول - ص - : لا نبي بعدي (ب) ودعم السلطة الدنياوية بالدين (ج) وأحاديث نبوية عامة أريد بها كفاح الاستبداد وقطع الفساد (د) الخروج من رتبة الدين بحكم الدين، فعل من يتداوى من الشيء بمثله سعيًا إلى الإمارة والثراء، وإذ علمت أن هؤلاء التأثيرين على الدولة الاسلامية كانوا بين صالح وطالح، أيقنت أن الطالحين يضعون أخباراً أو يستوضعونها لتحلة ما شرعوا فيه ولا تقاه طعن الدين بمجن منه، فكثرت الأحاديث المنكذوبة على الرسول - ص - والإمام علي - ع - والصحابة الكرام، وألفت في ذلك كتب كثيرة في عهود مختلفة، وإذا ما ألغيت النظر في أحدها وجدت أحاديثه كالريح النكباء يلطم بعضها بعضاً، فلا تحلو منه بطائل ولا تقف منه على حجة، وكان من شأن وضاع هذه الأحاديث أن يلحقوا بها أخبار علامات طبيعية واجتماعية وسياسية متزعة من أحوال عهدهم، ليوقن العوام بصدق هذا المهدي الذي هو نتيجة لتلك المقدمات. ففي حديث من هذه الأحاديث - وقد صدره مؤلف الكتاب - أن الرسول - ص - لما خرج به إلى ربه تعالى، أتاه نداؤه بالخصائص العظم والمراتب العلى، ويقول فيه الله للصادق الأمين « وأعطيتك أن أخرج من صلبه أحد عشر مهدياً كلهم من ذريتك من البكر البتول، وآخر رجل منهم يصلى خلقه عيسى بن مريم يملأ الأرض عدلاً كما ملئت منهم ظُلماً وجوراً، أنجي به من الهاكة، وأهدي به من الضلالة، وأبرئ به من العمى، وأشفي به المريض، فقلت إلهي وسيدني متى يكون ذلك؟ فأوحى إلي - جل وعز - يكون ذلك إذا رفع العلم وظهر الجهل وكثر الفساد وقل العمل وكثر القتل وقل الفقهاء الهادون وكثر فقهاء الضلالة والخوانة وكثر الشعراء واتخذوا قبل قبورهم مساجد وحليت المصاحف وزخرفت المساجد وكثر الجور والفساد وظهر المنكر وأمرت أمتك به ونهوا عن

المعروف واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وصارت الأمراء كفرة وأولياؤهم خيرة وأعدائهم ظلمة وذوو الرأي منهم فسقة ، فعند ذلك ثلاثة خسوف : خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وخراب البصرة على يد رجل من ذريةك يتبعه الزنوج وخروج رجل من ولد الحسين بن علي وخروج الدجال يخرج بالشرق من مدجستان وظهور السفيناني^(١) فهذه أمارات عامة وأحوال متعارفة في كل دولة استعمن الضعف منها ، وقبحت الأخلاق فيها وكثرت الحروب فيها كالدولة العباسية في أواسط القرن الثالث للهجرة ؛ فهذا الحديث - في رأينا - من موضوعات صاحب الزنج الذي ثار بالبصرة في خلافة المهتدي سنة ٢٥٥ هـ ، وكان يزعم أنه علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأكثر الناس يقول إنه دعي آل أبي طالب ، وكان يرى رأى الخوارج الزارقة ، لأن أفعاله في قتل النساء والأطفال وغيرهم من الشيخ الفاني وغيره ممن لا يستحق القتل تشهد بذلك ، قال المسمودي : « فكانت مدة أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر - يقتل الصغير والكبير والذكر والأنثى ويحرق ويحرب ، وقد كان أتى بالبصرة في وقعة واحدة على قتل « المئائة » ألف من الناس ، وقد كان المهلب من علية أصحاب علي بن محمد بعد هذه الوقعة بالبصرة ، فنصب منبراً بالموضع المعروف بعقبرة بني يشكر ... يخطب على ذلك المنبر لعلي بن محمد ويترحم بعد ذلك على أبي بكر وعمر ولا يذكر عثمان ولا علياً في خطبته »^(٢) .

وقال السيوطي : « وكان له منبر في مدينته يصعد عليه ويسب علياً وعثمان ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة »^(٣) ، وقال المسمودي : « وبلغ من أمر عسكره أنه كان ينادي فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس ، فتباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة ، وينادي عليها بنسبها : هذه ابنة فلان الفلاني زنجي منهم العشر والعشرون والثلاثون يملأون الزنج ويخدمون النساء والزنجيات كما تخدم الوصائف ، ولقد استغاثت إلى علي بن محمد امرأة من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب كانت لبعض الزنج ، وسألته أن ينقلها منه إلى غيره من الزنج أو يعقها مما هي فيه فقال : هو مولاك وأولى بك من غيره »^(٤) ، وجاء في نهج البلاغة بعنوان « ومن كلام له عليه السلام فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة ماأصله » يا أخنخ كأتني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا قعقة لجم ولا حمجة خيل ، يثرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام ، ويل لسككم العامرة والدور المزخرفة التي لها أجنحة كأجنحة النسور وخراطيم كخراطيم النيلة ، أولئك الذين لا يندب

(١) ص ٣ و ٤ من بشارة الاسلام (٢) مروج الذهب « ٢ : ٤٣٩ و ٤٤٦ » (٣) تاريخ

الخلافة ص ٣٧٣ من طبعة الهند (٤) مروج الذهب : ص ٤٤٧

قتيلهم ولا يفقد غائبهم . . . » ، قال الشريف الرضى أبو الحسن : « يومئذ بذلك إلى صاحب الزنج » (١) ، وسبيل هذا الخبر كسبيل ذلك ، وقد خفى أمره على الشريف الرضى رحمه الله . أما الخسف الذي أشار إليه في الحديث الأول واضحه فقد حدث ، قال السيوطي : « وفي سنة اثنتين وأربعين (ومائتين) زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بمونس وأصمها والرى وخراسان ونيسابور وطبرستان وأصبهان ، وتقطعت الجبال وتشققت الأرض بقدر ما يدخل الرجل في الشق ، ثم قال : وفي سنة خمس وأربعين (ومائتين) عمت الزلازل الدنيا وخربت المدن والقلاع والقناطر وسقط من أنطاكية جبل في البحر » (٢) .

أما خسف جزيرة العرب فقد قيل فيه : إن جبلاً باليمن تحول من موضعه سنة ٢٤٢ هـ واستقر في موضع آخر ، فكيف كان استقراره بلا خسف ولا غور في الموضع الجديد ؟ وأما الدجال الذي رمز إلى خروجه ببلاد سجستان فهو « يعقوب بن الليث الصفار » ، ولعل أسهل أمانة ذكرها بمقتضى ذلك الحديث خروج رجل من ولد الحسين بن علي - ع - ، فلو كان قد قال « خروج رجال من ولد الحسين » لكان موثقاً في كذبه ، فقد ناز كثير من ولده في هذا العهد ، وتجد أخبارهم في كتب التاريخ ، ولا سيما « مقاتل الطالبين » لأبي الفرج الأصفهاني ، وأشهرهم وأصلحهم « يحيى » الذي رثاه ابن الرومي بقصيدة أنافت على مائة بيت وعشرة ، فانظر كيف كانوا يلقون بين الحوادث السياسية والطبيعية والاجتماعية عند توليدهم الأحاديث ، وما أطلنا الكلام إلا لنضرب مثلاً ونشرع أسلوباً للتحقيق وننبه من لم يقف على تلبيس المفسرين في أرض الله وهم يدعون أنهم مصلحون .

فالعباسيون كانوا مشاركين للعالميين في المهدي ، وكان الحزبان كلاهما يحاربان الأمويين حرباً « ينية أداتها ولا متها » أن المهدي من بني هاشم . ففى حديث من أحاديثهم أنه جاء رجل إلى الإمام علي - ع - فقال له : يأمر المؤمنين نبئنا بمهديكم هذا ، فقال « إذا درج الدارجون وقل المؤمنون وذهب الجليمون (كذا) فهناك » ، فقال يأمر المؤمنين من الرجل ؟ فقال : من بني هاشم من ذروة طود العرب وبهر مفيضها إذا وردت ونجفو أهلها إذا أتت . ولما أشرف العباسيون على النصر وقاربوا الفلاح ابتدعوا أحاديثاً شوه إليهم وتذكر شاراتهم وتعدد أعوانهم ، استعداداً للاستئثار على العالميين وتذرعاً إلى حرمانهم الملك العقيم .

فمن ذلك ما جاء في كتاب البيان عن ثوبان قال : قال رسول الله - ص - يقتل عند كزكم (كذا) ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا تصير إلى واحد منهم ثم تطلع الرايات للحدود من قبل المشرق فيقتلونهم قتلاً لم يقتله قوم ، ثم ذكر شيئاً لا أحفظه ، قال رسول الله - ص - فإذا رأيتموه

(١) شرح ابن أبي الحديد « ٢ : ٤١٠ » (٢) تاريخ الخلفاء : الجزء الخامس ص ٣٥٤

(أو رأيتم أميره) فبايعوه ولو حبواً على الثلج فإنه خليفة الله المهدي، وأخرج هذا الحديث ابن ماجه القزويني في سنه (١)

أفليس هذا الحديث قد وضع لوصف رايات بني العباس السود التي دلت من بلاد إيران مغربة إلى العراق فالشام؟ إلى رب العزة، ولقد هال سوادها مروان بن محمد يوم الزاب الأعلى، ويزيدك إيماناً بما قلنا ماورد في رسالة العدل المختصر في علامات المهدي المنتظر لشهاب الدين بن حجر، فالعلامة التاسعة قال عنها: «تخرج رايات سود يقال السفيناني فيهم شاب من بني هاشم في كفه اليسرى خال وعلى مقدمته شعيب بن صالح التميمي»، والعاشرة «تخرج قبله خيل السفيناني بالكوفة ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي فيلتقي هو والهاشمي بر ايات سود على مقدمته شعيب بن صالح فيلتقي هو والسفيناني في باب اصطرخ (٢) فتكون بينهما ملحمة عظيمة فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفيناني، فعند ذلك يسمي الناس المهدي ويطلبونه» (٣) وأكثر أحاديث الرايات السود على هذا الطراز، أما السفيناني إذ ذاك فهو مروان الحمار، وقد يطلقونه عند الحاجة الملحة على قائد من قواده وعلى كل خارجي يحب بني أمية، أما شعيب بن صالح التميمي فتراه مصحفاً عن «شعيب بن صفوان الثقفي» وهو من صحابة المنصور.

قال الخطيب: «أخبرني محمد بن علي الأصمباني... قال: سألت أحمد بن حنبل عن شعيب ابن صفوان فقال: كان هاهنا مع الصحابة - يعني صحابة أبي جعفر -» (٤)، ولقد ورد في خرافات اليمن خبر شعيب بن صالح، لكنني استبعدت أن يريد العباسيون الأبعد ويتركوا صاحبهم الأقرب، ففي وصية الملك «عمران بن عامر» ما صورته «ويقلب أهل الأوثان في آخر الزمان أهل الأديان فيخرجونهم من البيت الحرام ويخرجونه، فيرسل الله عليهم رجالاً من حمير يقال له «شعيب بن صالح» فيهلكهم ثم يخرجهم منه فلا يكون بالدنيا إيمان إلا بأرض اليمن» (٥). وأياً كان رأي فليس يبعد أنهم أرادوا به القحطاني، فقد ذكروا حديثاً عن رسول الله - ص - قال: «سيكون بعدى خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة ثم يخرج المهدي من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ثم يؤمر القحطاني، فوالذي بعثني بالحق ما هو ثوته» رواه أبو نعيم أيضاً في فوائده والطبراني في معجمه الأكبر (٦)، فهذا يثبت لنا أن الطامحين إلى الإمارة استبقوا الوضع والاختلاف حتى أن القحطانية في اليمن وضعوا لأنفسهم أحاديث تبيحهم التملك والرياسة، ولكنهم جعلوا حطهم في ذلك بعد حظ المهدي لللايطعن الناس في أحاديثهم فيكذبونهم ويفجروهم مصطنعاً جواد

(١) إشارة الإسلام ص ٣٦ - ٧ (٢) كذا ولعل الأصل: اصطخر (٣) إشارة الإسلام ص ٢٤٠ - ١ (٤) تاريخ بغداد للخطيب «٩: ٣٣٨» (٥) الاكليل للهمداني «٨: ٣٦٥» (٦) إشارة الإسلام ٣٨٥ (للبحث بقية)

صفات محمد وعلاقتها بطبيعة دعوته

بقلم الأستاذ عبد العزيز البشري

اعلم رشدنا الله ورشدك ، وأيدنا بالحق وأيدك ، أن أصول الفضائل ، وجرائم الرذائل ، معروفة متواضعة من الزمان الأقدم . فالصدق ، والشجاعة ، والنجدة ، والعدل ، والكرم ، والوفاء ، مسلم - عند كل قوم وفي كل زمان - بأنهم من غرائز الخير ؛ كما أن الكذب ، والجبن ، والفسولة ، والظلم ، والبخل ، والفدر ، مسلم - عند كل قوم وفي كل زمان - بأنها من خرائب الشر ؛ فإذا اختلفت أقوام على بعض الخلال أو الهنات ، فإن شيئاً من ذلك لا يصيب أصول الأخلاق ، وإنما يتعلق بفروعها ؛ ولعل أبلغ ذلك يرجع إلى اختلاف التقدير في رد الفرع إلى أصله ، وضم الشكل إلى شكله .

وإذ كان هذا هكذا ، كانت خلال الخير محبوبة مستحادة ، وكانت خلال الشر مردولة مبغضة في كل زمان وفي كل مكان ، وكان الناس أحرىء بأن ينتحلوا كرائم الأخلاق ، ويتنافسوا جاهدين في ذلك ، ضرورة أن الإنسان لا يكره الخير لنفسه ، بل إنه ليود أن يؤثرها بكل كريم وكل جميل . هذا كله يديه لاشك فيه ؛ على أنك كثيراً ما يتدأخلك العجب ، وترجحك الحيرة ، إذ ترى رجلاً حاد الفطنة نافذ الرأي واسع العلم يتجافى عن كثير مما يعلم أنه من أفضل الفضائل ، ويتقلب في كثير مما يجزم بأنه من أزدل الرذائل ، لا ينكسر ذلك على شأن المؤمن في أحكام الدين ، ولا المربي في قواعد المروءة . بل إن الأمر ليتجاوز ذلك إلى الأسباب العامة والمنافع الخاصة ، فكأن من رجل يؤمن أشد الإيمان بأن ما جاء به الدين هو الحق ، ويجزم كل الجزم بأن الصلاة واجبة على المؤمن ، ومع هذا تراه لا يقوم للصلاة قط . ويقطع فيما بينه وبين ربه والناس من الخمر حرام ، وأنها أم الخبائث ؛ ومع هذا لا ينفك يعاقرها ماثباً له ذلك .

وكأن من رجل يحذق قواعد الأخلاق ، ويعلم أن الكذب مما يسقط المروءة ويضع من الميزة في الناس ؛ ومع هذا تراه لا يفتأ يكذب ؛ ولقد يعلم أن الناس يعرفون أنه يكذب . وكأن من رجل أوتي البصيرة في فن الاقتصاد ، وتدبير الأموال ووجوه تنميرها ؛ ومع هذا تراه مسرفاً متلاًفاً لا يبق على قل ولا كثر ، ولقد يعالج في تنمير المال ضرباً لا يأذن به

ما حذق من علم ولا ما أصاب بطول التجارب !

اللهم إن هذا كله لقد يقع ؛ بل إنه لواقع بقدر كبير . إذن لقد خرج لنا من هذا أن ليس هناك تلازم - في العادة - بين الفعل والاعتقاد ، أو على التعبير الشائع ، بين العلم والعمل . قال جل من قائل : « أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم » . وقال تعالى : « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك آياتنا نفسيها وكذلك اليوم تنفى » .

ولقد عرفت أن الإنسان بطبعه أثر يود لو استقل بكل ما في الدنيا والآخرة من ألوان الخير والإحسان ؛ إذن فما ينحرف به عن سبيلها ، ويميل به عن طلبها من وجوها ، إلا ما يعثره من ضعف الإرادة ، ويدخل عليه من الخذلان العزم ، فيستسلم لتزات الهوى ، ويخضع لدواعي الشهوة ، فيعرض عما يعرف أنه الحق المجدي عليه في أسباب دنياه ودينه ، ويقبل على ما لا شك عنده في أنه باطل من الباطل المتلف لماله ، والهادم لبنيته ، والذاهب بأمر دينه ودنياه جميعاً .

وكأن من رجل أصاب من الفضائل صدراً ، وأخطأ صدرآ ؛ وأقام من أحكام المروءة على بعض ، وأعرض عن بعض ؛ فهذا تراه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويؤدي حق الصوم في رمضان ، ومع هذا تجده لا يتأثم من شرب الخمر أو من مقارفة غيرها من المنكر . وهذا لقد تراه شجاعاً لا يهاب صولة السوف ، ولا يرهب مواقع الخوف ، ومع هذا تراه حريصاً على جمع المال واكتنازه والضم منه بالذائق والسحتوت حتى على ما يحفظ أطراف المروءة ويعصم من سوء القالة . ولقد ترى هذا جواداً متلاًفاً يفندى بحليل الأموال ما جل ودق من أسباب مروءته ، ويطلب بها حسن الأعدوة في الناس ؛ ومع هذا تراه حقوداً شديد الطلب لمعايب الناس والتدسس إلى مكارههم ، وبسط اللسان بمنكر القول فيهم ؛ وهكذا . وأولئك ممن يجرى عليهم قول الله تعالى : « خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » .

ويخرج لنا من هذا أيضاً أن ليس هناك تلازم بين مجموعة الفضائل ، ولا بين مجموعة الرذائل ؛ والوجه في ذلك أن الإرادة البشرية قد تقوى في بعض نواحيها وتضعف في بعض ؛ فمن حيث تكون القوة تستوى الفضيلة ، ومن حيث يكون الضعف تستمكن سلوة الرذيلة . هنالك أيضاً مسألة ثالثة ، هي الدعوة ؛ فإن كثيراً من الناس يتجردون في الدعوة إلى لون من ألوان الخير أو ما يزعّمونه كذلك ، ومن الدعاة من تصدر دعوته عن إيمان وعقيدة ، وبعبارة أخرى ، إنه يطلب إلى غيره فعل ما يعلم أن فيه الخير والنفع ، وينهاه عما يعلم أن فيه الشر والضرر ، ومنهم من يدعو إلى ما لا يعتقده ولا يؤمن به ؛ وأولئك الدجالون الذين لا يخلو

وجه الأرض منهم في كل زمان . على أن بسط الحديث في هؤلاء ليس مما تدعو إليه حاجة هذا الكلام . ومهما يكن من شيء ، فالمفروض أن من يدعو غيره إلى ما يؤمن بأنه خير من الخير ، وينهاه عما يجزم بأنه شر من الشر — المفروض أن من يقوم لمثل هذا يأخذ نفسه به أولاً ، لأن الإنسان — كما أسلفت عليك — أثر بالطبع ، لا يجب أن يتجاوز الخير والنفع إلى غيره ، ولا يجب أن يستأثر بالشر والأذى دون غيره ، ولأن من يدعو سواه إلى شيء فإنه يكون — في العادة — وثق بأسبابه علماً وأمنع به إيماناً ، ومع ذلك فإننا نرى كثيراً من الدعاة إلى الخير الصحيح من يخالفونه إلى الشر الصريح ، مع أنه لا شك في إيمانهم بحق ما يدعون إليه ، وأولئك الذين وجه الله تعالى خطابه عليهم « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تقولون أفلأنتقلون » . والواقع الذي لا يظوف به الرب أن هؤلاء لا يكرهون لأنفسهم الخير والنفع ، ولا يحبون لها الشر والضرب ؛ ولكنه ضعف الإرادة يسطو به الهوى ، وانخداع المزم أعمى به الشهوات على ما تقدم به الكلام .

وعلى كل حال فقد بان لك أن هذه الخلال الثلاث : (الإيمان ، والعمل ، والدعوة) لا تلازم بين شيء منها وبين شيء ؛ على أن هذا لا ينافي أن امرء يعمل بما يعلم ، وأن امرء يدعو إلى ما يؤمن ، ويكون في أخذه نفسه بالفضيلة القدوة الصالحة فيما يدعو إليه من فنون الخير . وهؤلاء الأقول عدداً الأكثرون مدداً .

عصاة الأنبياء

ومهما يكن من شيء فإنه من أندر النادر أن يخرج في الناس من تحلى بجميع الفضائل ، وتجرد عن الرذائل ؛ فإن هذا إذا استنيت الأنبياء وخاصة أصحابهم وحواريهم مما يكاد يتصل بالمستحيل . وإن التاريخ البعيد والقريب ليحصى على الكثيرين من عيون الفلاسفة وأئمة المصلحين من بُناة الفضيلة وشارعي فواعد الأخلاق ، من تقلبوا في أوضاع الشهوات ، وانغمسوا في أقذر الرذائل ؛ ذلك بأن الإنسان مهما أوتى من سعة العلم ، وصحة الرأي ، وحسن التدبير ، وصدق العزم ، فإنه ضعيف ، لقد يميل به الهوى ، ولقد تغلبه الشهوة . قال تعالى « وخلق الإنسان ضعيفاً »

أما الأنبياء ففضلاً عما آتاهم الله من شدة العقل ، وتقوى الفطنة ، وسعة العلم ، وقوة الطبع ، ومضاء العزم ، فقد أمدتهم بالتوفيق ، وحاطهم بالمصنعة ، وكف عادية الشهوات عنهم ، فما تجد السبيل إلى أنفسهم . وهيئات لشيء من خلق الله أن يسطو بما قضى الله . والله تعالى في هذا حكمته الواضحة ، فإن الرسول هو أدواته — جل وعلا — في تبليغ دعونه ،

وأداء رسالته . ولا يتسق للحكمة ألا يكون رسول الله أول قائم بما يأمر الناس به ، وأول محبب لما يجرم عنه « وما أريد أن أخالفكم إل ما أنهاكم عنه » . ولقد قال الحكماء : إن فاقد الشيء لا يعطيه . إلى أن الالاق برسول الله أن يكون في الناس المثل الأعلى في الأخذ بمصود الخلال ، والتجافي عن مردول الخصال . والرسول إما يبعثون أولاً للدعوة إلى الاعتان بالله ولتقويم الأخلاق . قال صلى الله عليه وسلم « بُعثت لأتم مكارم الأخلاق » . هذا فضلاً عن أنه لو تردى النبي - حاشا لله - في أى الرذائل ، لكان في ذلك أئفد الطمن في صحة دعوته ، وصدق رسالته ، وهيبات على ذلك أن يؤمن برسالته أحد ، أو يظاهاه على أمره إلا منافق لا يشايه - في ظاهر الأمر - إلا إشاراً للعاجلة ، لو قدر أن الدولة دائلة له ، وأن إمنافع الدنيا صائرة إليه . وما كان قط لمشايمة هؤلاء في أمر الدعوة العظيمة جليل خطر ، ولا بعيد أثر .

ولقد تعلم ما أصاب الأنبياء من عنت قومهم ، وشدة حملهم عليهم . وتلونهم العذاب لهم ، إلى حد القتل والتجريق وما دون ذلك من فنون الأذى . ومع هذا فقد صبروا وصاروا ، ما ينسكون عن رسالتهم ، ولا ينفسكون عن تبليغ دعوتهم ، ولا يترلون على حكم كذبة واحدة تستنقذهم من كل ذلك البلاء . في حين أن أحداً منهم لا يبتغى بقيامه مالا ولا جاهاً ولا سلطاناً . حتى يقال إنهم إنما يجازفون بذلك كله في سبيله . ولقد يحى . أحدهم المال والجاه والسلطان فيأبى إلا شطف العيش وإلا حياة المساكين . وفي حال داود وسليمان عليهما السلام أكرم الأمثال ، وناهيك بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم : « اللهم أحيني مسكيناً ، وأمتني مسكيناً ، واحشني في زمرة المساكين » . وستعلم مما سيرد عليك من بعض شأنه في هذا الباب ، أنه لو شاء لعماش في أخفض عيش وأرغله ، وتقلب في أهناً حال وأسمعه .

لقد تعلم هذا ، وتعلم أن أيسر آلات الأذى ، وأدناها مثالا ، وأذيعها أثراً ، وأقلها كلفة إنما هي الطعن والتجريح والدمغ بفنون التهم ، وخاصة فيمن يقومون بدعوة دينية . ومع هذا كله لا ترى الكفار من أعداء أصحاب الرسالات يعتمدون تنقص أنبيائهم والمبعوثين فيهم من ناحية أخلاقهم ، بنسبة الرذائل إليهم وادعاء تعطلهم من الفضائل ، على أن دعوة الرسول إنما تقوم على تسفيه أخلاقهم وتقبيح سيرهم ، ومبادئهم بذائلهم ، إلى ذم معتقديهم ، والزراية على آلهتهم . كل أولئك والكفرة من عدائهم لا يلتقونهم في هذا الباب إلا بتهمة واحدة ، هي تهمة الكذب فيما بمنوا به ، ونحو هذا من إضافة السحر وما يشبه السحر إليهم ، وذلك مما يتسق لحكم المنطق العام ، فإنهم لو آذنوا باستراحتهم إلى تصديقهم ، وتزهوهم عن رذيلة الكذب في دعوى الرسالة لازمتهم الحجة ، ولم يبق لهم مناص من التسليم إليهم

والإذعان لهم. أما تحريمهم من الطعن في سائر خلاصهم، فلأن نشأتهم - عليهم السلام - في الكالات، وانطباعهم مدى حياتهم على أعالي الخلال، وطول تفرغهم عن أداني الرذائل فضلاً عن قواصيها وأنهم لم يؤخذوا على أحد منهم مدى العمر زلة، ولم تخصص عليه في هذا الباب جولة، واشتهارهم، بهذا عند كل من لا يسهم، وشيوعه فيمن لم يتصلوا بهم؛ كل ذلك مما يجزم عدائهم بأنه لا يمكن أن يبعث فيهم معه قبيح، ولا يجعل لقالة سوء إليهم أي سبيل.

أما حوار ربو الأنبياء وخاصة أصحابهم، فإن مما لا شك فيه أنه لا يمكن أن يبلغ منهم هذا الموضع، وينزل عندهم هذه المنزلة إلا من حباة الله بقوة الإيمان، وشدة النفس، وكمال العقل، وقوة العزم، وإيثار الآخرة على كل منافع الدنيا؛ حتى لئلا يؤثروا بخراب في سبيل تأييدهم ونصرتهم، عن كرايم أموالهم، ويصارحون بالعداوة أبناءهم وأدنى أهلهم منهم، ولقد يتقدمون إلى سفك دمائهم طيبة بذلك أنفسهم. إلى أن يرسل الكرام، وطول اتصالهم بهم، تحقيق بأن يجدد الإيمان في قلوبهم، ويذكر خشية الله في نفوسهم. وهذا فضلاً عن يقينهم بوثيق الصلة بين الرسول وربه الذي لا يخفى عليه ما تطوى الصدور وما تنجى القلوب؛ «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم؛ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا، ثم ينفئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم». «ربكم أعلم بما في نفوسكم»، «إنه عليم بذات الصدور». وذلك ما يدعو أصحاب الكلام: العصمة الجائزة؛ كمصمة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. أما عصمة الأنبياء عليهم السلام فالمصمة الواجبة.

وبعد، فإنك لو تتبعت سير الأنبياء عليهم السلام، وتقصيت أخبارهم وما أثر من أسبابهم في كل أمورهم، لترادفت عليك الحجج بأن ما رزقوا من سلامة الخلال، وجلالة الأخلاق، لا يمكن إلا أن يكون محمد من الله تعالى وتوفيق وعصمة.

ولقد تقدم الكلام في أنه ما من رجل - في بعيد التاريخ وقريبه - عرف بأنه قد اجتمعت له كل غرائز الخير، وتزه عن جميع ضرائب الشر، ولو كان هذا - وهذا مما أسلفنا أنه يكاد يتصل بالمستحيل - فلا بد من أن تعترضه شرة، والمحققة زلة، وتميل به - ولو في شباب السن - نزوة، ويطوف به طائف من شهوة. أما الأنبياء عليهم السلام فقد طهرهم الله تعالى، وكف كل رجس عنهم، من يوم سواهم إلى يوم قبضهم.

بكاء الشباب

للاستاذ علي الحارم

يا خليلي خليلي وما بي أو أعيدا إلى عهد الشباب
حلم قد مضى ! وأيام أنس ذهبت غير مزمعات الأياب
وأزاهير كمن تاج عروس عفت بعد ليلة في التراب
وبساط للشاربين يصلى فيسه إبريقهم بلا حجاب
في حديث أحلى من الأمل الخلد وأصنى ديباجة من شراب
كل فصل كان صفحة الرو نى وعند العقار فصل الخطاب
ومحزون يحوطه الأدب الجم فما راعه اللسان بماب
يتفنون ! « النواصي » حيناً وبشر الفتى « أبي الخطاب »
كلما هزت المدام يديهم قهقهت ثلة من الأكواب
صاح فيهم ديك الصباح فطاروا كل جمع لفرقة واغتراب

يا شباباً أتام أقصر من ح ورة طير على وحى وارتياب
لك عمر الندى يطير مع الشم س وعمر البروق بين السحاب
كفنت فينا كما لحنا حباي فنظرنا فلم نجد من حباب
وعرفناك منذ ذهبت كما ي عرف فضل النبوغ بعد الذهاب
منذ خلعنا ثيابك القشب لم ن سم بشيء من منقسات الثياب
ورأينا في لونك الفاحم ال اح مزواً بلون كل خضاب
أين لون الحياة والقهر وال وة من لون ناصل الأعشاب
ياسود العيون يا حبة القل ب وبأخال كل خود كعاب
سرق الليل منك لونا فأمنى موطن اللهو موعد الاطراب
ورأى فيك « أحمد » لون كاف ر ففنى خوالد الآداب

بسمه لازمان أنت ، تلتها كشره لازمان عن أنساب
كلما رمت خدع قصي بنفسي كشفت لي المرأة وجه الصواب
رب صدق تود لو كان كذبا وكذاب لو كان غير كذاب

ليت لي لحة أعيد بها منــــــــــــــــك بقايا تلك الأمانى العذاب
حيث احتال ناضر العود بما ما كثير الموى قليل العتاب
في صحاب مثل الدنانير لا تبـــــــــــــــــلى موداتهم بطول الصدا
بوجوه غر تراها فتتاور في أسارىها سطور كتاب
نسبى الخطر للسرور وثاباً لا تنال المنى بغير الثواب
ونجر الديول في غير نــــــــــــــــكر طاهرى النفس طاهرى الجلباب
إن دعانا الموى لغير سديد سدوتنا كرائم الأحساب

زيلب أين منك زيلب والشمس جميع والعيش خصب الجناب؟
وبنات الثغور يلعبن بالآلبــــــــــــــــاب لب الشمول بالآلباب
يتظاهرن بالحجاب وهل أذ كما الجوى غير لئوم ذاك الحجاب
كم وجوه تنقبت بسفور ووجوه قد أسفرت بالنقاب
أين تلك الأيام ؟ باتت وبنا وتولت بشاشة الأحباب

الجارم

صفحة الحياة

يا شادياً وخير الموت يطربه يشكو لطيف الدجى وجداً وآهات
يحدو السفينة والأفلاك ترقبه تكاد تبسم من خلف السماوات
بعثت بالنفس شجواً طال موضعه بين الجوانح من حب ولوعات
قيل الوداع ولم ننع بصافية من الأمانى وطيب من مسرات
ذكرتني ما يصيب القلب من حزن يا وحم نفسي ، من يأسو جراحاتى ؟
عبد الحميد عيسى اليه

٢ - ابن سينا

حياته ومصادر فلسفته

بقلم الأستاذ محمد ثابت الفندى
ماجستير في الفلسفة

انتقلت الأسرة من أفشنة إلى بخاري بقصد تعليم الابن في وقت غير مذكور في الروايات كلها، وإنما هو على كل حال بعد ميلاد الابن الأصغر (محمود) المولود سنة ٣٧٥ هـ كما تقدم في العدد الماضي، وقبل بلوغ الابن الأكبر سن العاشرة أي سنة ٣٨٠ هـ، وهي السن التي أجاد فيها فهم الأدب وحفظ القرآن بخاري. ولقد أسهب أبو علي في وصف نشأته العامة التي سارت على المنهج الإسلامي في التعليم، فقد بدأ بحفظ القرآن الكريم ودرس ما يلزم لفهمه وتفسيره من اللغة والأدب، وأجاد ذلك وهو في سن العاشرة حتى صار بما حققه - وهو في ذلك العمر - موضع العجب ومنازل الدهشة من الجميع. لم يذكر أبو علي أستاذه في اللغة والأدب، كما سيذكر أسانده في علوم أخرى؛ وإذا لم يكن يد من القرض والتخمين في مثل هذا الموضوع، فإن أقرب فرض هو أن يكون هو أبو بكر البرقي الذي صنف له ابن سينا كتابين فيما بعد، هو ذلك الأستاذ، ويؤيد هذا الفرض أن «حاجي خليفة» يجعله أولاً أستاذاً من أساندة ابن سينا، وثانياً أستاذه في «الشعر» بالذات، فهو يقول في كتابه المسمى (كشف الظنون): «ديوان البرقي، وهو أبو بكر حمد بن محمد الخوارزمي المتوفى سنة ٣٧٦ هـ، قال ابن ما كولا: رأيت له ديوان شعر أكثر من خطبة تليذه ابن سينا» (١). ولعل هذا الخوارزمي هو عين أبي بكر الخوارزمي خصم بديع الزمان الهمداني، وهما اللذان اشتهر أمر خصومتها في ذلك العصر، فإذا كان هو عين ذلك الخوارزمي، فإن وفاته لا يمكن أن تكون سنة ٣٧٦ هـ كما يذكر حاجي خليفة، لأن ابن سينا إلى ذلك العام لم يكن قد بلغ من العمر ما يجعله تلميذاً لأديب خطير من أئمة أدباء اللغة العربية، إذ لم يكن عمره إذ ذاك أكثر من ست سنين. وخصم بديع الزمان الهمداني توفي - كما يقول ابن خلكان - عام ٣٨٣ هـ وكما يقول ابن الأثير عام ٣٩٣ هـ؛ وهذا القول الأخير هو الأصح، وهو يؤيد رأينا في أن أستاذاً ابن سينا هو عين خصم الهمداني؛ ذلك لأن ابن سينا - كما يروى في ترجمته - إنما قدم له مؤلفين فلسفيين هما «الحاصل والمحصل»، «والبر والائتم»، وذلك بعد أن أناف على العشرين من عمره أي بعد عام ٣٩٠ هـ على كل حال.

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون

بعد حفظ القرآن الكريم ودراسة ما يفسره من اللغة والأدب ، يدخل في منهج التعليم الاسلامي دراسة الفقه ، كذلك فعل ابن سينا ، فاشتغل بالفقه كثيراً ، وتردد فيه إلى رجل غير نابه الذكر ولا معروف القدر الآن هو اسماعيل الزاهد ، ولقد استطاع ابن سينا الصبي أن ينيغ في الفقه في قليل من الزمن ، ويألف « طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على الحبيب على الوجه الذي جرت به عادة القوم (الفقهاء) » (١) .

ثم وجهه أبوه بعد ذلك إلى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهذل حتى يتعلمه منه ، وهذا الرجل - كما يذكر البيهقي - (٢) هو محمود المساح .

وفي ذلك الحين نزل بخاري أبو عبد الله الثاني وكان يدعى المتفلسف ، فارتبطه والده الفيلسوف في داره رجاء تعلم ابنه منه ، فبدأ هذا بدراسة كتاب إيساغوجي عليه ، ويظهر أن الصبي ابن سينا كان ذا استعداد متفوق ، لانتنازاه يستخف بأستاذة في المنطق حيث يقول : « وكان أي مسألة قالها لي أتصورها خيراً منه ، حتى قرأت ظواهر المنطق عليه ، وأما دقائقة فلم يكن عنده منها خبر » (٣) ، ولم يكن رأى ابن سينا في أستاذة الثاني في العلوم الأخرى يخالف رأيه فيه في المنطق ، فهو يقول : « ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق وكذلك كتاب إقليدس ، فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ، ثم توليت بنفسى حل بقية الكتاب ، ثم انتقلت إلى الجسطى ، ولما فرغت من مقدماته وانتهيت إلى الأشكال الهندسية قال لي الثاني : تول قرأتها وحلها بنفسك ، ثم عرضها على لأين لك صوابه من خطئه . وما كان الرجل يقوم بالكتاب ، وأخذت أحل ذلك الكتاب ، فكم من مشكل ما عرفه إلا وقت ما عرضته عليه وفهمته إياه » (٤) . وقد يكون رأى ابن سينا في أستاذة غروراً منه ، وقد يكون ثقة بعقليته وإطمئنانه لمقدرته في التفهم والتعلم ، وقد يكون أيضاً حقيقة لاجدال فيها .

والثاني هذا فارسي الأصل نزح إلى بغداد لتلقى العلوم والمعارف ، فدرس الحكمة وتخرج في المنطق على كتب الفارابي ، ثم هبط بخاري حيث لقي تلميذه الصغير أبا علي ابن سينا ، ثم نزح عنها إلى كركانج حيث التحق بخدمة أمير خوارزم ، وتوفي عام ٣٩٠ هجرية ، وله مؤلفات يقول عنها البيهقي : « وله رسالة لطيفة في الوجود وشرح اسمه ، ولا يذكره الرئيس في مصنفاته إلا في كتاب المقتضيات » (٥) ، بولسنا يعرف شيئاً البتة عن كتاب المقتضيات هذا اللهم إلا ما ذكره حاجي خليفة حين يضيف إلى ابن سينا كتاباً فيقول : « مقتضيات الكبير السبعة » ثم لا يزيد بعد ذلك شيئاً .

(١) القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٤١٦ ، وراجع أيضاً التراجم العربية الأخرى

(٢) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص ٢٦

(٣) القفطي : تاريخ الحكماء ص ٤١٦ - ٤١٧

(٤) القفطي : تاريخ الحكماء ص ٤١٧

(٥) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص ٤٤ ، والشهرزوري ص ١٨٢

انصرف ابن سينا بعد دراسة هذه العلوم إلى دراسة الطب، وصار يقرأ الكتب المصنفة فيه بتفرده من غير معونة أستاذ؛ ذلك لأن علم الطب - كما قال في ترجمته التي أوملها على تلميذه الجوزجاني - ليس من العلوم الصعبة فيحتاج إلى أستاذ، فلا جرم أن يبرز فيه في قليل من الزمن، حتى يبدأ فضلاء الطب يقرءون عليه هذا العلم. وتعمد المرضى فافتتح عليه من أبواب المعالجات المكتسبة من التجربة مالا يوصف، واستفاد نظرياً وعملياً من تلك التجارب حتى صار طبيباً موثقاً به واسع الصيت موفور الشهرة، وكان في ذلك الوقت من أبناء ست عشرة سنة، أي أنه أتم دراسة الطب عام ٣٨٦ هـ.

يذكر بعض الرواة أن فيلسوفنا درس الطب على أبي سهل عيسى بن يحيى المسيحي الذي لقبه القفطي «بالمطبيب»، ذكر ذلك المستشرق (ادوارد براون) في تعليقه بأخر كتاب «المقالات الأربع»^(١)، وكذلك في كتابه «التاريخ الأدبي لفارس»^(٢). وأبوسهل هذا كان حكيماً غلب عليه الطب، وله تصانيف كثيرة فيه، منها كتاب «صداها» بالفارسية، ويعرف في اللغة العربية باسم كتاب «المائة مقالة في الطب»^(٣)، ومنها كتاب في السموم ألفه شذاعة خوارزمشاه مأمون بن محمد^(٤)، كما صنف له رسالة في التعمير^(٥)، ويحدثنا صديقه الحميم أبو ریحان البيروني أن أباسهل صنف له إثني عشر كتاباً وأهداها إياه^(٦) ولد بخرجان عام ٣٩٣ هـ، لأننا استفيد من القصة السادسة والثلاثين من كتاب المقالات الأربع أنه توفي سنة ٤٠٣ هـ وليس سنة ٣٩٠ هـ كما استنتج المستشرق Wüstenfeld من غير اعتماد على نص ما، فإذا كانت مدة حياته أربعين سنة كما قال القفطي^(٧)، فلا بد أن تكون سنة ميلاده كما ذكرنا. وقد نشأ وتعلم ببغداد ثم التحق بخدمة أمير بخاري، قال القفطي: «وكان بخراسان متقدماً عند سلطانهم، وكان فاضلاً في صناعته (أي الطب)»^(٨)، ثم غادر بخاري والتحق ببلاط خوارزمشاه في كر كنج، وكان بها آنذاك الأمير مأمون بن محمد الذي صنف شذائعه أبو سهل ما ذكرناه من الكتب، ولما كان هذا الأمير قد قتل عام ٣٨٧ هـ فلا بد أن أباسهل المسيحي كان قد لحق به قبل ذلك التاريخ، فإذا ذكرنا أن ابن سينا أتم دراسته الطبية عام

(١) ادوارد براون: المقالات الأربع والترجمة الانكليزية ص ١٥٥

(٢) ادوارد براون: التاريخ الأدبي لفارس Literary Hist. of Pers. ج ٢ ص ١٠٦

(٣) الشهرزوري: تاريخ الحكماء. مخطوط ص ١٩٠

(٤) البيهقي: تاريخ حكماء الاسلام ص ٥٩

(٥) راجع مقدمة Sachau كتاب البيروني: الآثار الباقية، المطبوع ببيسك سنة ١٨٧٦

ص ٧٧

(٦) القفطي: تاريخ الحكماء ص ٢٠٨

(٧) القفطي: تاريخ الحكماء ص ٢٠٨

٣٨٦ هـ : كان من المعقول ، أو قل كان من الممكن ، أن يحدث ذلك أثناء وجود أبي سهل ببخارى ، ولذلك فليس يبعد أن يكون فيلسوفنا قد تامله في الطب ، إلا أننا لا نعرف شيئاً ما يمنع ابن سينا من ذكره بين من ذكرهم من أساتذته ، اللهم إلا أنه لم يلق عليه علماً أو يدرس عليه طباً ، والواقع أن ابن سينا يذكر صراحة أنه تعلم الطب على غيره أساتذته ، ولذلك فإنا نستتكر ذلك الرأي القائل بأنه تعلمه على أبي سهل المسيحي .

إن تشرح الأبدان لم يفس صبينا ابن سينا سلاوة ذلك النظر المجرد الذي عاونه على تذوقه إياه ذا المتفلسف أبو عبد الله الناطلي ، ولهذا فقد عاود أبو علي دراسة الفلسفة بعد أن كان قد انصرف عنها إلى الطب ، وقضى عاماً ونصف عام - بعد سن السادسة عشرة - في النظر في أجزاء الفلسفة كلها ، فعاود دراسة المنطق ، وقرأ العلم الطبيعي والعلم الإلهي ، ثم عاود استرشاد بأستاذ ما ، كشأنه في دراسة الطب . ويظهر أن هذه الفترة التي قضاه بين صحائف الفلسفة أو بين موسيقى العقول كما يقول فيثاغورس ، كانت أبرد أيام الطلب ونشاطها في حياة ابن سينا كلها ، فهو يقول عن نفسه إنه في تلك المدة ما نام ليلة واحدة ببلوارها ، ولا اشتغل في النهار بغير الدرس ، وكان يسهر الليالي في داره ، يضع السراج بين يديه كما يضع الكتاب والدواة ، ويشغل بالقراءة والكتابة حتى إذا ما غلبه النوم أوشعر بالأعياء والسآمة - وهما آفة الطلب والتحصيل - عدل إلى قدح من الشراب ، أو قل إلى أفداح منه ، ليسترد قواه ونشاطه ، ثم يعاود القراءة والكتابة بعد ذلك ، وما زال كذلك حتى استحكمت معه جميع العلوم الفلسفية ووقف عليها بحسب الإمكان الإنساني كما يقول .

ويظهر أن هذا المجهود الفائق الذي بذله في دراسة الفلسفة في صغره ، أفضاه في مستقبله عن معاودة قراءتها مرة أخرى ، ولذلك فهو يقول لتلميذه الجوزجاني عند ما لقيه بجرجان بعد أن نيف على الثلاثين : « وكل ما علمته في ذلك الوقت (أي وقت الطلب) فهو كما علمته الآن لم أزد فيه » (١) ، وقال أيضاً : « وكنت ، إذ ذاك للعلم أحفظ ، ولكنه اليوم معي أنضج ، وإلا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء » (٢) .

وإذن فلقد بنى ابن سينا في سنى الشباب تلك القصور التي يطل منها الآن على عالم الأفكار .

مصادره

كانت مصادره التي استقى منها الفلسفة كتب أرسطو المترجمة قبل كل شيء ، تلك الكتب التي كانت - مدى ألقين من السنين - دائرة المعارف الكبرى للثقافة الإنسانية ، كذلك اطلع على

(١) القفطي: تاريخ الحكماء ، ص ٤١٥

(٢) القفطي: تاريخ الحكماء ، ص ٤١٦

شروح القدماء على أرسطو مثل ثعالبوس والأفروديسي وفريريوس الصوري وغير هؤلاء، من قدرجت آثارهم الفكرية إلى اللغة العربية، وأيضاً اطلع على كتب الإسلاميين في الفلسفة، فإن «ظاهر الدين البيهقي» يذكر أن ابن سينا كان يطلع «رسائل إخوان الصفا» كما كان يطلعها أبوه. (١)

وهو يذكر عن نفسه أنه لم يطلع على كتب سلفه الفارابي حسب، بل كان لها الفضل الأول في تفهيمه غرض أرسطو في علم ما بعد الطبيعة، فهو يقص عن نفسه أنه قرأ كتاب «ما بعد الطبيعة» لأرسطو أربعين مرة حتى حفظه عن ظهر قلب، ومع ذلك فلم يفهم منه غايته، والتبس عليه غرض واضعه، فأثر ذلك في نفسه وأبأسه من معاودة قراءته، واتفق أن كان يوماً بسوق الوراقين ببخارى، وعرض عليه دلال كتاباً في علم ما بعد الطبيعة، فردده عليه أبو علي بن سينا ردمتهم معتقداً أن لا فائدة في قراءة هذا العلم، فألح عليه الدلال وقال له: اشتري هذا الكتاب، فإنه رخيص أبيعك بثلاثة دراهم فقط، وصاحبه محتاج إلى ثمنه، فاشتراه أبو علي وتصفح، فإذا به كتاب الفارابي المسمى «الإيانة عن أغراض أرسطو في كتاب ما بعد الطبيعة»، فأسرع به إلى بيته وقرأه لحينه، فتجلبت له في الحال معاني ذلك العلم وسفرت أغراض أرسطو فيه، ففرح بذلك - كما يقول - وتصدق في ثاني يوم بشيء كثير من المال على الفقراء شكر الله تعالى.

كذلك اطلع على مذاهب المتكلمين وعرف دقائق فلسفتهم (٢)، ويبدو ذلك واضحاً في مقدمه آراءهم وتفسيره مذاهبهم، وردده عليهم كما لا قام في مسألة من المسائل الفلسفية التي يتحدث عنها في كتبه، فهو حين يتصدى لبحث الوجوب والإمكان يسفه رأيهم القائل بأن علة الحاجة للواجب هو الحدوث، إذ هو يرى أن علة الحاجة للواجب هو الإمكان (٣). وهذا مثال واحد من كثير مما يدل على أنه كان عليماً بمذاهب المتكلمين.

إن عهد الطلب في حياة ابن سينا لم ينته بعد كما سنرى عما قريب، ولكنه قد جدد عهد جديد في حياته يبدأ فيه الشاب العالم بأن يخرج إلى المجتمع البخاري، فيتصل بالسلطان وبأول السكتب الضخمة في الفلسفة والأدب ويتقيد ببعض مناصب الدولة.

ألم بسلطان بخارى نوح بن منصور الساماني مرض حار الأطباء فيه، وكان اسم الشاب ابن سينا قد اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة والمعالجة، فأجروا ذكره بين يدي

(١) البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام، ص ٢٧

(٢) يفهم ابن رشد فيلسوفنا بأنه كان متكلماً

(٣) سنكلم عن هذه المسألة في فصل آخر

السلطان وسأله استعداده، فاستقدمه وشاركهم في علاجه حتى برى، ثم توسم بخدمة السلطان، ودخل في حاشيته منذ ذلك. قال البيهقي معلقاً على خدمة ابن سينا السلطان بخارى: «وصار أول حكمم توسم بخدمة الملوك، وكان الحكماء قبل ذلك يترفعون عن ذلك ولا يقربون أبواب السلاطين»^(١). ومهما يكن من شيء، فإن صلته بالسلطان مهدت له أن يزيد اطلاعه وينال من العلم نصيباً أوفر، ذلك لأنه وقف جهده للتردد على مكتبة السلطان التي يظهر أنها كانت تهيأه غاصاً بالسكتب النادرة كما ينهم من كلام ابن سينا عنها، فهو يقول: «ورأيت من السكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط، وما رأيته قبل، ولا رأيته أيضاً من بعد، فقرأت تلك السكتب وظفرت بذوائدها وعرفت سرية كل رجل في علمه، فلما بلغت ثمانى عشرة سنة من عمرى فرغت من هذه العلوم كلها»^(٢). في غير الطب ظهر ابن سينا في المجتمع البخارى كمؤلف في الأدب والفلسفة، فإن باثورة مصنفاته في عالم الأدب كتابه في العروض، يذكره ابن أبى أصيبعة فيقول: «معتصم الشعراء في العروض، صنعه ببلاده وله سبع عشرة سنة»^(٣).

ويذكره في ترجمته التي أملاها بجرجان أنه كان بجواره رجل يقال له أبو الحسين العروضي، سأله أن يؤلف له كتاباً جامعاً لعلوم الفلسفة، فصنف له كتاباً أسماه باسمه ألا وهو «الحكمة العروضية»^(٤)، أثبت فيه كل العلوم الحكيمية ما عدا الرياضة، وكان له من العمر إذ ذاك إحدى وعشرون سنة. ثم صنف بعد ذلك كتابين آخرين لأبى بكر البرقي الذي رجعتنا في أول هذا الفصل أنه أستاذ الفيلسوف في الأدب، وهما «الحاصل والمبصول»، ويقع في نحو عشرين مجلدة كما يقول مؤلفه، ثم «البر والإثم» وهو في الأخلاق ويقع في مجلدين، وربما كان قد كتب ابن سينا وهو بخارى غير ذلك في الفلسفة وغيرها من العلوم. فإن المستشرق (فانديك) الذي نشر عصر رسالة في علم النفس لابن سينا، يرى أن هذه الرسالة لا بد أن تكون باثورة مؤلفاته في علم النفس، وأنها بذلك تكون من مؤلفاته بخارى.



في غير عالم العلم ظهر ابن سينا أخيراً في المجتمع البخارى كعادل من أعمال السلطان، فهو يفكر في ترجمته أنه بعد وفاة والده تصرف به الأحوال، فقتله شيئاً من أعمال السلطان، وظل كذلك حتى اضطر إلى الارتحال عن بخارى والانتقال عنها إلى كراخانج. ولعل الاضطرابات السياسية التي لحقت الدولة السامانية آنئذ هي التي حببت إلى الفيلسوف هذا الانتقال. قال ابن خلكان

(١) البيهقي: تاريخ الحكماء - الإسلام ج ٢٩

(٢) الفنطى: تاريخ الحكماء، ص ١٦٦

(٣) ابن أبى أصيبعة: طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٩

(٤) ابن أبى أصيبعة: طبقات الأطباء ج ٤ ص ١٥

عن صلة انتقال ابن سينا بتلك الاضطرابات السياسية التي لحقت السامانيين : « ولما اضطربت
أموال الدولة السامانية خرج أبو علي بن سينا من بخارى إلى كركانج » . (١)

ويحدثنا ابن العتبي في تاريخه (٢) عن هذا الاضطراب السياسي فيقول : « إن الأمير نوح
ابن منصور الذي عالج ابن سينا توفي سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، وملك بعده ابنه أبو الحرث
منصور ، فأنزل عن عرشه بسبب ثورة داخلية سنة تسع وثمانين وثلثمائة ، فبويج بعده عبد الملك
ابن نوح ، فسقط بعده ثمانية أشهر ، ثم أعقبه أخوه المنتصر فأسقطه وأسقط عرش آباءه السامانيين
السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي أكبر سلاطين ذلك العصر سنة ٥٣٩ هـ ٩٩٩ م »

ولربما كانت تلك الاضطرابات التي يشير إليها العتبي هي سبب خروج الفيلسوف من بخارى
إلى كركانج كما يرى ابن خلكان .

محمد ثابت الفغندي

للبحث بقية

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان جزء ١ ص ١٩٢

(٢) ابن العتبي : تاريخه المنشور بإمضاء ابن الأثير طبعة مصر ج ١ ص ١٣ - ٤٤

المعرفة في الحجاز

تطلب « المعرفة » في الحجاز من حضرة الشيخ مصطفى محمد يغمور بمكة المكرمة .

المعرفة في عدن

تطلب « المعرفة » في عدن من حضرة السيد معروف عمر عقبه .

المعرفة في مراکش

تطلب « المعرفة » في مراکش من حضرة السيد أحمد داود صاحب المكتبة الأدبية بتطوان

أهل الكهف

المسند محمد المبرور

١ - الحقيقة

أهل الرقيم فتية	م عرفوا الآيات
قالوا : فهذه الأرض من	بيده أحياها ؟
وهذه الجبال من	بقوة أرساها ؟
وهذه السماء بالـ	جود من بناها ؟
وهذه الأنفس من	في النيب قد سواها ؟
لا شك هو الله ، لا	نعبد إلا الله
وخاب سعي أمة	لغيره مسعياها
وإنما نخاف من	أمتنا أذاها

٢ - الكهف

وخرجوا من دارهم	بالنفس في حداثها
وكلمهم يتبعهم	في طاعة يرعاها
وانطلقوا إلى فلا	ة عز من ينشأها
إلى مفار جبل	يشرف من أقصاها
ودخلوا ليعبدوا	ه حقاً لا اشتباها

٣ - نومهم ٣٠٩ سنة

فأخذتهم	نومة	طال	مدام
ولبثوا سنين في الـ	عميق	من	كراها
واستيقظوا	لجاءة	والتمهوا	انتباها

بعد ثلثائة وتسعة عداها

٤ - حديثهم بعد النوم

فألوا كم حبة في الكهف قضيناها
قالوا: لبنا فيه من عشة ضحاها
فأرسلوا بورق يحملها فناها
يبتاع من أطعمة وينتقى أذكاه
من المدينة التي بالأمس غادرناها
ويحذر القوم بها ويتقى فوضاها
فإن تعد تدرى بنا أحرقنا لظاها

٥ - ظهورهم بعد تغيير الحالة

فوجد الأرض سوى ما كنت قد رآها
والقوم غير قومه والحي قد تناهى
فظن وهو دهش أن قد يكون تاهها
ومر في سوق بها غير التي دراها
ثم انتهى أطعمة وراح فاشتراها
وقد رمى بورق تبادلوا سواها
فستذكروها معه وحققوا إياها
فوجدوا أن المدى بطوله محاما
وعلموا حال التقى من قصة رواها
وأقبلت إخوته فأيدت أخاها
فصدقوا ما كان عنهم يملأ الأفواها
وآمنوا برهم في آية أتاها

٦ - نتيجة التقوى

ماهم أولاء فتية قد أحسنت تقواها
فألقه قد أنالها في الخلد مشتهاها
وهذه قصتهم خالدة ذكرها
وقيل: كم عدتهم؟ سبحان من أحصاها

البوصيرى

قلم فضيلة الأستاذ الشيخ محمود عرناوس
القاضى الشرعى

تاريخ حياته

قرأت في العدد الأول من السنة الثالثة لمجلة «المعرفة» الغراء بحثاً قيساً لحضرة الأستاذ الكبير على الجارم، بحث فيه عن أحد شعراء مصر الخالدين : ذلك الشاعر هو «شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى» وشكا الأستاذ كاشكاغير من غموض سيرته وقلة ما يمكن أن يقال حول حياته . والواقع أن حياة هذا الشاعر على شهرته تكاد تكون مجهولة . ولما كنت من الذين حبيب إليهم البعث عن حياة شعراء مصر ، وكنت وقعت على شيء - وإن كان قليلاً - يتعلق بحياة البوصيرى ، فقد رأيت نشره في مجلة «المعرفة» ، ليكون بمثابة لبنة توضع في بناء ذلك التاريخ ، حتى إذا ما ضم ما كتبته إلى ما كتبه حضرة الأستاذ الجارم ، وما سيكتبه عن شعره كما وعند ، أمكن إظهار شخصية هذا الرجل العظيم .

وقبل الدخول في تفاصيل تاريخه نقول : إن كلمة بوصير بضم الواو وسكون الراء وقبل الدخول في تفاصيل تاريخه نقول : إن كلمة بوصير بضم الواو وسكون الراء وكسر الصاد وسكون اللام التهجية أيضاً بعدها راء ، اسم يشترك فيه سبعة بلاد بالديار المصرية ، كما حققت عالم مصر على مبارك باشا في الخطط التوفيقية ، وصاحب الترجمة ينسب إلى أحدها ولكن لا يحدد الباحث يمتد إلى بلده : غير أنه تبين من موالاة البحث أن المراد من (بوصير) المنسوب إليها البوصيرى إنما هي بوصيرونا بمديرية بني سويف ، ويوجد بالقرب من هذه البلدة بلدة أخرى اسمها (دلاس) بفتح الدال وكسر هاء واقعة جنوب بوصيرونا المذكورة ، كان منها والد المترجم ، أما والدته فهي من بوصيرونا .

مولده ونشأته

نقل صاحب الخطط التوفيقية عن الشناوى أحد الذين كتبوا على حمزة البوصيرى أن ناظمها العارف بالله تعالى «شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيرى» نسب إلى بوصير قرية بالصعيد . وينسب إلى دلاس قرية به أيضاً . فإن أحد أربابه من أحد القريتين . والآخر من الأخرى .

وربما ركب له نسبة منهما وقيل الدلاصيري ؛ قد لا مأخوذة من دلاص وصيري من بوضيرة
ثم اشتهر بالبوضيري ؛ وقولهم أبو صيري بالهزرة في أوله خطأ .

ولد الناطم المذكور سنة ثمان وتسعين وستمائة وتوفي سنة إحدى وثمانين وسبعمائة . ويقال
له الصنهاجي نسبة إلى صنهاجة ، قبيلة منها ابن أجروم . وكان الناطم وابن عطاء الله الاسكندري
تلميذين لأبي العباس المرسي ، فخلع على البوضيري لسان الشعر ، وعلى ابن عطاء الله لسان النثر .
هذا ما جاء في الخطط التوفيقية نقلاً عن الشيخ الشناوي .

غير أني لا أرى هذا صحيحاً ؛ لأننا إذا صدقنا هذه الرواية عن المولد والوفاة استحال أن
يكون البوضيري تلميذاً للشيخ أبي العباس المرسي ؛ وأن يكون اشترك في الطلب عليه مع تاج
الدين بن عطاء الله الاسكندري ؛ لأن أبا العباس المرسي توفي سنة ست وثمانين وستمائة بالاسكندرية
قبل ولادة البوضيري على هذه الرواية ، وتاج الدين بن عطاء الله الاسكندري توفي سنة سبع
وسبعمائة ، فهو وإن عاصر البوضيري إلا أنه بعيد أن يشترك معه في الطلب في مثل سنة .
إذاً وجب علينا أن نرجع إلى مصدر آخر نقبين منه تاريخ المولد والوفاة .

قال جلال الدين السيوطي في «حسن الخاضرة» عند ذكر شعره : «منهم الشريف البوضيري
صاحب البردة محمد بن سعيد بن حماد الدلاص المولد ، المغربي الأصل ، البوضيري المنشأ ، ولد
بناحية دلاص في يوم الثلاثاء أول شوال سنة ثمان وستمائة ، وبرع في النظم ؛ قال فيه الحافظ فتح
الدين بن سيد الناس : هو أحسن شعراً من الجزار والوراق ؛ مات سنة خمس وتسعين وستمائة .
وتم مصدر آخر ، وهو ما ذكره شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي ؛ قال في فائحة شرحه على
الهمزية : إن البوضيري هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن حسن بن عبد الله
ابن صنهاج بن هلال الصنهاجي ؛ كان أحد أبويه من بوضير السعيد والآخر من دلاص بكسر
الدال فركبت النسبة منهما فقيل الدلاصيري ؛ ثم اشتهر بالبوضيري . قيل ولعلها بلد أبيه فنقلت
عليه (من بلد أمه كما مر) ؛ ولد سنة ثمان وستمائة . وأخذ عنه الإمام أبو حيان والإمام اليعمرى
أبو الفتح بن سيد الناس ، ومحقق عصره العز بن جماعة ، وغيرهم .

ومن مجموع هذه الروايات علمنا بلد أبيه وبلد أمه ، وأنه ولد في بلد أبيه ونشأ في بلد أمه ؛ أما
قبيلة صنهاج التي ينسب إليها البوضيري ، فقد ضبطها القلقشندي في كتابه صبح الأعشى بفتح
الصاد المهملة وسكون النون وفتح الهاء ؛ بعدها ألق ؛ بعدها جيم مفتوح ، ثم هاء و هم بنو
صنهاج بن برنس بن بربر ؛ وقيل صنهاج بن أوريف بن برنس بن بربر ، ويقال إنهم من حمير ؛ ومن
صنهاج قبيلة لمائة التي منها ملوك المرابطين الذين كان منهم يوسف بن تاشفين باني مدينة
مراكش انقضى ملكهم في المغرب بدولة الموحدين . وقد أطال المقرئ في كتابه «البيان
والأعراب» في نسب قبائل صنهاج .

أشياخ البوصيري والرواة عنه

أظهر شيوخ البوصيري الشيخ أبو العباس المرسى ؛ وقد ذكر له الشيخ الشعراوى فى كتابه «الطبقات» ترجمة طويلة . وهذا الشيخ نشأ نشأة دينية ، إذ هو أظهر تلاميذ الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، كما كان البوصيرى وابن عطاء الله من أظهر تلاميذ أبى العباس المرسى .

ويظهر من كلام ابن حجر أن البوصيرى إنما لازم شيخه بعد أن ترك عمله الحكومى الذى سلكه من قبله . قال ابن حجر : كان البوصيرى يعانى صناعة الكتابة على الجبايات ، وباتت بلبس الشرقية ، ثم ترك ذلك وصحب القطاب أبا العباس المرسى ، فصارت عليه بركته ، وساعده لحظه وجهته ، إلى أن فاق أهل زمانه ورزقه الله من الشهرة والحفظ ما لم يصل إليه أحد من أقرانه . وما قاله ابن حجر لا ينافى أن يكون البوصيرى تلقى العلم عن أبى العباس المرسى فى مصر قبل أن يلزمه فى كبره ، لأن الشيخ أبا العباس وإن كان دفين الاسكندرية ، إلا أنه كان يقيم فى مصر فى خط القمه بالقاهرة ، وكان يقرأ كبار الكتب ، كما جاء فى ترجمته المبسوط فى كتاب الطبقات ، وكذلك كان يقيم فى مصر ابن عطاء الله الاسكندرى ، وبها توفى ، ودفن بها .

بعد أن تولى البوصيرى عن أعماله التى كان قائماً بها وقال مدائح النبوية ، اجتمع به كبار العلماء وتلقوها عنه . قال ابن حجر : أخذ العلم عن البوصيرى جماعة ، منهم الإمام أبو حيان ودو أسير الدين محمد بن يوسف بن حيان الأندلسى ، وكان إماماً فى التفسير والنحو واللغة . قدم القاهرة وروى عن البوصيرى ، وتوفى سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وله مواقف معروفه فى البحث مع ابن تيمية العالم المشهور ، ومنهم محقق عصره العز بن جماعة ،ولى قضاء الديار المصرية وعمر طويلاً . وورد ذكره فى سلسلة الرواة الذين روى الهزبية عنهم ابن حجر ، فقد ذكر أنه رواها بحجة طرق علاها روايته لها عن شيخه أبى يحيى زكريا الأنصارى عن العز أبى محمد بن القرات عن العز أبى عمر بن البدر بن جماعة ، عن النافلم ، فإن جماعة روى عن النافلم حمزيتيه ، كما جاء فى هذه السلسلة وتوفى سنة ثلاث وستين وسبعمائة . ومنهم الأديب الظريف العالم الحافظ اشهد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس ، ولد سنة إحدى وستين وستائة . وتوفى فى شعبان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، وكان يروى عن البوصيرى بعض أشعاره ونواذره .

أعماله التى كان قائماً بها

قال محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى المتوفى سنة أربع وستين وسبعمائة فى كتابه «دوات الوفيات» : إن محمداً بن سعيد بن حماد البوصيرى كان يعانى صناعة الكتابة والتصرف ، وباتت الشرقية بلبس ، وله تلك القصيدة المشهورة التى نظمها فى مباشرة الشرقية (سند كطرفاً منها) .

ويقول ابن حجر : إن البوصيري كان يعاني صناعة الكتابة على الجسائات وباشر بلبليس الشرقية بوبليس هذه كانت عاصمة قسم يقيم فيه الحاكم ، وكان هذا القسم يشمل ثلثائة وثمانين بلدة ، وفق ما جاء في «التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية» . جمع الشيخ شرف الدين يحيى بن المقر الجيعان ، وأصبحت اليوم عاصمة مركز بلبليس التابع لمديرية الشرقية . وفي الخطط المقرزية : هي بفتح الموحدين ، وفي التوynيقية : بفتح الباء وكسر ها ، وفي القاموس : مضمومة الأول وقد يفتح . وكانت أشهر بلاد الشرقية ، وقاعدة خط الحوف ومحل إقامة الحاكم ، ولها شهرة تاريخية .

فهمنا من هذه الروايات أن البوصيري كان يلى عملاً في الحكومة ، وهو مباشرة بلبليس ؛ ولكن لم نذكر طبيعة هذا العمل ولم نحدد بالضبط فيهم من كتاب نهاية الأرب أن مباشر الجهة هو الذي كان يشرف على مساحة أرضها ، ويعرف المستحق عليها من المال والغلال ؛ إذ يقول : والذي يحتاج إليه مباشر الخراج بمصر ويعتمد عليه في مباشرة ، أنه إذا شمل الرى أرض الجهة التي يباشرها ، أن يبدأ بإلزام خولة البلاد (قياسو الأرض بعصبة المساحة) برفع قوانين الرى وصورتها ، وأن يكتب في صدر القانون ما مثاله : قانون رقمه كلى من ثلاث وثلاثون الخولة والمساح بالناحية الشمالية بما شمله الرى وعلاء النيل المبارك من أراضي الناحية ، السنة كذا وكذا الخارجية ، ومن القطن (بالفهم) ويذرون جملة قانون البلد ويقصرون بالرى والشرقية ؛ ويبينون أنواع المزروع وأنواع الأرض بصفاتها وما هو مزروع فيها ؛ فإذا رفع إلى المباشر هذا القانون ، أشهد فيه على رافعه بأن الأمر على ما تقدمت ، ويحضر البلد ويشهد على كل زارع بما سجله من أرض كل قبيلة ، وبين ما على القطن من الغلة والدرام ؛ ثم يصرف لكل زارع ما جرت العادة بصرفه من التقاوى والدرام . ويكون ما يصرفه من أطيب الغلال ، فإذا ثبت الزرع واستوى اندب من مباشرى مساحة الأراضي ، من ثلث من عدول ذوي خبرة بالمساحة ، وكانت حرق أمين ؛ فإذا تمت المساحة ، أضاف إلى كل اسم ما كان تسلمه من تقاوى وقروض ، وما عليه من عشر ودقر ورسم ، وما له من انساب من الباقي إلى آخر السنة الماضية .

وقد أطل صاحب نهاية الأرب في بيان عمل المباشر ؛ ومن بيانه نفهم أن هذا العمل لا يتخلو القائم به من ظلم للناس ، خصوصاً في تلك الأزمنة التي كان يعيش فيها البوصيري . ولذلك كان الناس ينظرون إلى هذا العامل بعين البغض . قال المقرزى عند كلامه في ذكر الروك الأخير الناصري وما ترتب عليه : من ذلك إيصال المباشرين من النواحي ، فقد كانت البلاد المصرية في الوجهين القبلي والبحري ، ما من بلد صغيراً كان أو كبيراً ، إلا وفيه عدة من كاتب وشاد ونحو ذلك ؛ فأبطل السلطان المباشرين ، وتقدم بينهم من مباشرة النواحي ، إلا من بلد فيه مال السلطان ، فأراح الله سبحانه الخلق بإبطال هذه الجهات من بلاد لا يقدر قدره ولا يحسب وضعه .

كان البوصيري مباشراً بلبليس ، وقد علمنا طبيعة هذا العمل ؛ وكان يعلم ما يفعله هؤلاء

المباشر من أمثاله من ظلم وأكل لأموال الناس بالباطل ؛ ولما في نفسه من الخير كره هذا
يعمل وحمل حمله منكراً على هؤلاء المباشرين ؛ لا أظن أنه وجه إليهم قاصد السكام ، لأنهم كانوا
الاطاونة في حقه ، ويسوقون في إعطائه راتبه كما يقول الأستاذ الجارم - بل لما رأى من سوء تصرفهم
وظاهرهم ، فرفع صوته عالياً بالإنكار عليهم .

روينا فيما سبق - عن السكتي - أن البوصيري ذم المباشرين بقصيدة ووعدها أن نشير إليهم
فنقول الآن إن هذه القصيدة هي قصيدة نونية ، خفيفة الروح ، قال في مطلعها :

تقدت طوائف المستخدمينا	فلم أر فيهم رجلاً أميناً
تقدت عاشرتهم ولبثت فيهم	مع التجريب من عمري - سنينا
فكشيت الشبال دعو جميعاً	فلا صحبت شياطين اليمين
فكم سرقوا الغلال وما عرفنا	بهم فكشنا سرقوا العيون
ولولا ذلك ما لبسوا حريراً	ولا شربوا خمر الأندرينا

ثم يوجه القول فيها بعد ذلك إلى الوزير محضاً له فيقول :

أمولاي الوزير غفلت عما	يتم من اللثام السكاطينا
تنسك معشر منهم وعدوا	من الزهاد والمتورعينا

ثم يعطف بعد ذلك على سكان مصر وأهل أديانها المختلفة فيقول :

وما أخشى على أموال مصر	سوى من معشر يتأولوا
يقول المسلمون لنا حقوق	بها ولنحن أولى الآخذينا
وقال القبط نحن ملوك مصر	وأن سواهم هم غاصبينا
وحملت اليهود بحفظ سبت	لهم مال الطوائف أجمعينا

وهي قصيدة طويلة كلها على هذا النمط . وله كثير من الشعر القصصي والهجزي ؛ روى له ابن سيد
الناس واقعة طريفة مع ناظر الشرقية أثناء حمله معه ؛ وذلك أنه كان للبوصيري حمارة ؛ استمارها منه
الناظر ، فأعجبه ، فأخذها ؛ وجهز له مائتي درهم ثمنها ، فكتب له البوصيري على لسانها إلى
الناظر يقول :

يا أيها السيد الذي شهدت	أخلاقه لي بأنه قاضل
ما كان ظني يبيعني أحد	قط ولكن صاحبي جاهل
لو جرسوه على من سفه	لقلت غيظاً عليه يستاهل
أقصى مرادى لو كنت في بلدي	أرعى بها في جوائب الساحل
وبعد هذا فلا يحل لكم	أخذى لأنى من سيدى حامل

وكان الناظر - على ما يظهر - رجلاً طريفاً ؛ حيث ردها ، ولم يأخذ البوصيري الدراهم منه .

عانت نفس البوصيري هذه المظالم، فترك عمله ولحق بشيخه أبي العباس المرسى، وأخذ يقول مدائح النبوة، وهذه المدائح هي التي جعلت له هذا الصيت البعيد، ومن أمهات قصائده النبوية القصيدة الهزلية التي مطلعها:

كيف ترقى برفيك الأنبياء يا سماء ما طولتها سماء

وقد عني بها العلماء فكتبوا عليها الشروح الكثيرة، من مطول ومختصر. وله قصيدة أخرى حاكى بها قصيدة (بانت سعاد) مطلعها:

إلى متى أنت بالذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مشغول

وله القصيدة المعروفة بالبردة أو البراء، وهي أكثر ترويحاً من الهزلية؛ وإن من يطلع على كتاب كشف الظنون ليأخذ العجب من كثرة ما كتب على هذه القصيدة، وهي آخر قوله في المدائح. زوى صاحب فوات الوفيات أن البوصيري قال: كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها ما كان اقترحه على صاحب رين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق بعد ذلك أن أصابني طاعاً أبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه، فعملتها، واستشفعت إلى الله تعالى في أن يعافيني، وكررت تلاوتها حتى عوفيت، ثم ساق حكايات تتعلق بهذه القصيدة.

ولم يهج الناس بقصيدتي البوصيري: الهزلية والبردة، وأثنوا على صاحبها أطيب الثناء، غير أن الوهابية أصحاب محمد عبد الوهاب حملوا عليه حملة منكرة حتى كادوا يخرجونه من دائرة الإسلام، قال محمد بن عبد الوهاب في رسالته (شرح لا اله إلا الله): واعلم رحمك الله أن أشياء من أنواع الشرك الأكبر وقع فيها بعض المصنفين، على جهالة لم يظن لها. من ذلك قوله في البردة:

يا أكرم الخلق ما لي من الوذية سواك عند حلول الحوادث العظم

وفي الهزلية من جفست هذا أو غيره أشياء كثيرة. وهذا من الدعاء لا يصلح إلا لله وحده.

وقد ألف أتباعه رسائل عن أسئلة رفعت إليهم في البردة. وكل يجمع على ذم البوصيري. إلى هنا انتهى بنا القول باختصار في حياة البوصيري؛ أما وفاته فكانت - على رواية الشيخ الشناوي - في سنة إحدى وثمانين وسبعمائة. وقد علمت ضعف هذه الرواية فلا ينبغي التعميل عليها؛ وقد جعل السيوطي وفاته سنة خمس وتسعين وسبعمائة؛ أما ابن حجر فإنه جعل وفاته في سنة ستاً و سبع وتسعين وسبعمائة - على ما قاله المقرئ -؛ لكن صوب شيخ الإسلام العسقلاني أنه توفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة. وعلى جميع الروايات فإنه عمر طويلاً وقد كانت وفاته بالاسكندرية، كشيخه أبي العباس المرسى. جاء في الخطط التوفيقية عند ذكر مساجد الاسكندرية: أن مسجد البوصيري كان قديماً وجدده المرحوم سعيد باشا بناءً أحسن، ورتب له ما تقام به الشائز، كتراب فيه دروساً دائمة؛ والبوصيري هو شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري صاحب البردة والهمزية، وله تأليف غيرها؛ كان أبوه من دلاص وأمه من بوسير، قرية تقرب من دلاص بمديرية بني سويف. اهـ. رحمه الله.

الانسان والمكون

لهم - ناز محمد محمد السببر

المدرس بمدرسة طنطا الثانوية الأميرية

ذهب (لابلاس) ^(١) إلى نابليون مقدماً نسخة من مؤلفه (Mécanique Celeste) ، وهو كتاب ضخم في خمس مجلدات حاول فيه تفسير نشوء العالم وتكوينه من أصل سديمي على أسس ميكانيكية بحتة ، وقد أخبر أحدهم نابليون بأن الكتاب ليس فيه ذكر الله ؛ وكان نابليون مغرمًا بالأسئلة المخرجة ، فلما تناول الكتاب من لابلاس ، نظر إليه مبتسماً وهو يقول « لقد أعلموني يا سيور لابلاس أنك كتبت هذا المؤلف الضخم عن العالم ونظامه ، ولكنك لم تذكر قط خالقه » فأجابه لابلاس فوراً - وقد كان رغم لباقة السياسية صلياً في آرائه وفي كل نقطة من فلسفته - : « إنني لا أهتم بمثل هذا القرض » ، إذ كان يعتقد أن فرض وجود الله ، هو فرض لا حاجة له به في تفسيره للوجود .

بمثل هذا الغرور كان ينظر بعض العلماء الطبيعيين في أوائل القرن التاسع عشر إلى ماحولهم من ظواهر الطبيعة ؛ فقد كان العهد لا يزال قريباً بكشف نيوتن ^(٢) لقانون التربيع العكسي في الميكانيكا ، وما انتهى عليه من تفسير لحركات الكواكب حول الشمس ، وحركة القمر حول الأرض ، وغيرها من كثير المسائل الفلكية ، حتى عمت موجة من المردة عقب نجاح هذه التفسير الميكانيكية نجاحاً ظاهرياً . وقام كثير من الكتاب في أوروبا - وخاصة في فرنسا - وفي طبيعتهم قولتهم ، يهاجمون القسس ويحاولون هدم المعتقدات الدينية .

وإذا كان بعض العلماء غالى في مدى ما وصل إليه العلم ، فإن الكثيرين كانوا ينظرون إلى الكون نظرة الإله كبار فينيون العظيم كان يعتقد بوجود إله قادر عاقل دائم الوجود في كل مكان ، وكان يقول بأن قوانينه التي كشف عنها ، ما هي إلا موسيقى تسمح بقدرة هذا الخالق القادر ، وقد لخص أعماله واكتشافاته في قوله : « إنني لا أعرف الثوب الذي سأبدو فيه للعالم ؛ ولكنني أمام نفسي لست إلا طفلاً يلعب على شاطئ البحر ، مسلماً تقى بلعبة من

(١) بيير - سيمون لابلاس Laplace رياضى فرنسى كبير ولد سنة ١٧٤٩ ومات سنة ١٨٢٧ .

(٢) إسحق نيوتن هو أعظم العلماء والرياضيين الذين أنجبهم إنجلترا . ولد سنة ١٦٤٢ ومات سنة ١٧٢٧ ، تناولت مباحثه الرياضيات والميكانيكا والطبيعية ، وخاصة الضوء ، وصنفه لاجوانج - وهو أكبر رياضيين القرن الثامن عشر - بأنه الخائن لأعظم عقل جبار ، ووصف أعماله بأنها أعظم إنتاج لعقل بشري .

الحصى المستدير الناعم أو القواقع الملون البديع : بينما محيط الحقيقة الواسع أمامي غامض مجهول غير مكشوف » ، فتأمل كيف كان هذا « العقل الجبار » ينظر أيضاً لـ « ما كشف من العلم بجانب « محيط الحقيقة الواسع » ، رغم اعتماد العالم على اكتشافاته ما يقرب من ثلاثة قرون .

بين هذا الغرور بمدى نجاح الإنسان في تفسير معضلات الطبيعة الذي يتجلى في رد لا بلاس على نابليون ، وبين هذا الإيمان العميق الذي نجده في كلام نيوتن محقراً ما وصلنا إليه من نجاح في كشف غوامض الكون ، بين هذين التقيضين يتقلب البشر منذ قرون عدة ، ولستكنهم كما ازدادوا وقوفاً على غموض الطبيعة ، تتجلى لهم عمق المجهول وبعد غوره ، وبانت لهم في وادي الحقيقة وهاد ونجاء ، خفي على أسلافهم حتى مجرد كشف وجودها .

لنرجع عشرة قرون إلى الوراء ، ولنقرأ ما كتبه أحد الحكماء في « رسائل إخوان الصفا » (١) ، في بيان طاقة الإنسان في المعارف وإلى أي حد هو « قال : « ومن الأشياء ما لا يمكن دراكها وتصورها ، لحفاها ودقتها وصغرها . مثل الجزء الذي لا يتجزأ ، ومثل الهبولى الأولى المنجردة من الصور والكيفيات ، ومثل عجزه أيضاً عن معرفة كيفية تصوير الجنين في الرحم ، وخلقه الفرخ في جوف البيضة ، والحب في الغلف ، والثر في الأكمام فمن يرد أن يعلم كيفية حدوث العالم وعلة كونه ، فينبغي أن يتفكر أولاً في هذه الأشياء ، فيعدها ، ويتصور كيفية حدوثها ، ثم بعد ذلك يتمكر في كيفية حدوث العالم وعلة كونه . فمن ادعى أنه يعرف ذلك فليخبرنا عن صورة العالم : كيف هي على ما هي عليه الآن ؟ - وهذه تباشرها حواسه هو وتشاهدها - دع ما مضى مع الزمان لتسياته ، أو ما سيكون في المستقبل وكيف يكون ؟ أو فليخبرنا عن علة كثرة السكواكب وعلة أبعادها ومقاديرها وأعظامها ، وحركاتها ، وما هي عليه الآن ؟ وما العلة في ذلك ؟ أو فليخبرنا عن المجرة وما هي ، فإننا لم نجد إلى وقتنا هذا أحداً من الحكماء قال فيها قولاً مرضياً ، أو فليخبرنا عن شيء واحد ، هو الأثر الذي نراه في وجه القمر : ما هو ؟ مع أن الناس يشاهدونه دائماً ، دع ما لا يشاهدونه من كون العالم ؟ أو فليخبرنا عن علة اختلاف أجناس المعادن وأشكال الناس وهياكل الحيوان ، بما هي عليه الآن . وما العلة في ذلك ؟ » .

هذه المجموعة من المسائل التي يعدها لنا كاتب « إخوان الصفا » هي دليل على قصور الإنسان وعجزه ، وفيها يجد الباحث شيئاً من الضياء قد ألقى على الكثير منها ، فالأثر الذي نراه في وجه القمر قد كشف عنه جاليليو (٢) بتلسكوبه منذ أكثر من ثلثائة وعشرين عاماً كجبال ووديان ، وصار تخطيط خريطة الجزء الظاهر من صفحة القمر يحياها وتلاها عملاً عادياً بفضل المناظير المقربة .

(١) الجزء الثالث طبعة المطبعة العربية - دمشق ص ٤٢

(٢) ولد جاليليو سنة ١٥٦٤ في بيزا ومات سنة ١٦٤٢ ، وهذه المؤرخون بأقواسهم أساس عام الديناميكا والميكانيكا على التجربة والمشاهدة ، وقد حوكم بقوله بديوان الإمبراطور النمساوي .

ولما تسكوب والعلماء الحديثين التفضل في الإجابة عن المجرة و«ما هي»، فتجن نعم الآن كيف أن شمسا وهذه النجوم التي تبدو للعين منتشرة كالدرر في السماء تكون طالما مستقلة بين لمن يلقى عليه نظرة خاطفة عن بعد كما أنه رقيق الخبز أو قطعة البسكوت المستديرة ، تحتل شمسا وكواكبها المحيطة بها مركزاً يقرب من وسطه . ونهر المجرة هو النجوم التي تبدو متراصة ، لأنها تحدد حافة هذا العالم المستدير .

كذلك يتساءل كاتب «إخوان الصفا» عن الكواكب وكثرتها وعلّة أبعادها ومقدارها وأعضائها . والعلم يقدم له الآن فروضاً تصلح لكي تكون أساساً للإجابة . ففي عصر ساجدة في القدم — يقدرها الفلكي الطبيعي بألاف الملايين من السنين — كان العالم ممثلاً بادة مخلقة جداً — الهولي الأولى كما يسميها الأوائل — أشد تخلقاً من أي سديم . ثم بدأت تعمل فيها الجاذبية شيئاً فشيئاً فجمعت ، وتكونت مجاميع نجمية ، كل منها يسمى سديماً . تنتشر في الفضاء الواسع كما تنتشر الجزر الصغيرة في الأقيانوس المحيط . ثم بدأت كل مجموعة في الانقسام مكونة شموساً ، وهذه أحياناً تكون مجاميع كوكبية كجموعتنا الشمسية المكونة من الشمس والكواكب الكثيرة التي تدور حولها . هذا هو هيكل النظرية التي يتقدم بها الفلكي الطبيعي محاولاً ملء تجاريفها بالحواشي والتفاصيل .

كذلك يتساءل كاتب «إخوان الصفا» عن اختلاف أجناس المعادن . وقد بذل العلماء كثيراً من الجهد في الكشف عن العلة . فالنظرية القديمة القائلة بإرجاع المواد إلى عناصر أربعة هجرت ، واستقر الرأي الآن على أن العناصر المختلفة تزيد على التسمين . وفحصت هذه العناصر بطرق ما كانت لتخطر ببال الأوائل ، للبحث عن أصول مشتركة بينها . حتى كشف العلم عن الحجارة الأولية التي بنى منها كل عنصر ، وإذا بالحجارة المذكورة لا تختلف عن بعضها في مختلف العناصر ، (فقوال) البناء الأساسية هي الإلكترونات والبروتونات ، تربطها طاقة هائلة هي (مونة) الطبيعة في بناء عناصرها وموادها . ويحاول العلم أن يقلد الطبيعة بإضافة أو أخذ بعض القوالب من عناصر ليبنى عناصر أخرى ، وقد أصاب في هذه السبيل بعض النجاح .

وأشكال الناس وهياكل الحيوان ، وكيفية تصوير الجنين في الرحم وخلق الفرخ في جوف البيضة ، والحب في الغلف ، والثر في الأكمام ؟ لقد أصاب العلم كثيراً من التوفيق في كشفها والإبانة عنها بفضل جهود الباحثين ومعجزة المكروسكوب ، وكونت الردود على هذه الأسئلة علوماً قائمة بذاتها .

وفى العلم إذن — بدرجة كبيرة — للإجابة بنجاح عن كثير من هذه المسائل التي عرضها تعجيراً كاتب «إخوان الصفا» . ولكن علينا ألا نفتر كثيراً ، فإن العالم في إجابته عن تلك المسائل قد عرض له مباحث أعوص وأشد تعقيداً ، وهو يحاول وسيحاول كثيراً للكشف عنها .

ها هي ذى مباحته في الذرة — الكوكب الفرد وتركيبه — تقوده إلى أغاز الميكانيكا الموجية وتقف به مندحشاً متحيراً أمام أصغر جسيم مادي صور له خياله ، وهو الإلكترون ؛ فخواص الإلكترون التي يكشفها (العقل) لا يمكن أن يتصورها (الخيال) ؛ فالبحث العلمي يرينا الإلكترون كجسيم مادي ، له خراس الأمواج ، تلاءم الوجود ؛ ولكنه يثوب المكرو سكوبات لصفير حجمه بما لا يتصور ؛ قد تقول إن هذا تناقض ولكن معذرة فهو هكذا يقول العلم ؛ وبهذا تنطق المعادلات الرياضية . ومباحث العالم الطبيعي في الفلك والأجرام السماوية قادت إلى هذه الأحاجي في الفضاء وتركيبه ؛ فنذا الذي يتصور بسهولة — إن أمكن تصوره إطلاقاً — فضاء منحنياً متناهيًا غير محدود الزمان أحد أبعاد الاربعة ؟ .

هكذا يصف العلم الفضاء ، والانحناء فيه هو الذي يمكن أينشتين من تفسير ما عجز نيوتن عن تفسيره ؛ وقاده لقانون جديد للجاذبية بدل قانون نيوتن (قانون التربيع العكسي) . أما كيف تصور فضاء متناهيًا غير محدود ؛ فالعلم يتصالح بأن تصور سفوح كرة . وأيضاً في نظر المخلوقات التي تعيش عليه بدون نظر إلى بعد ثالث ، وهو متناه وغير محدود ؛ ويمكن السير عليه في اتجاه واحد والرجوع إلى حيث بدأنا ؛ كذلك الفضاء ، فإذا قدر لك أن تسافر فيه في اتجاه خاص ، أترجمك انحناءه مسافة ملايين الملايين التي لا تحصى من الأحيال إلى حيث بدأت ، دون أن تخرج عن هذا الفضاء لحظة . يمثل هذا الغموض يحاول العلم أن يزيل ويكشف عن المسائل الغريبة ، فيكسبنا المعرفة على حساب الغموض والإبهام . وبسلب منا الصور الواضحة المحددة ليعطينا بدلاً عنها ما كل غير واضحة الحدود ؛ وكأنه يعطى باليمين ليأخذ باليساراً ثم هو لم يصبح في تقليل عدد المسائل المحتاجة للإبانة والحل ، فعدد الباحثين من العلماء الآن أكثر منه في أي وقت مضى ؛ هم يعالجون من المعضلات المتنوعة ما لا يحصى ؛ وكلما نجح أحدهم في تذليل إحداها ، ثبت أمامه من وراء المجهول وعن طريق الحل الذي عثر عليه ، مسائل جديدة تحتاج من الأخرى للتوضيح والإبانة .

لم ينته العلم إذن من مهمته ، وسوف لا يقتفى ، فسوف يجد الإنسان على مدى الأجيال أمامه من خفايا الطبيعة ما يستثير فيه غريزة حب الاستطلاع ؛ إنهم يفرغ الإنسان بعد من كشف ما بداخل جسمه من المواد وما لأعضائه من الوظائف . دع درس ما حوله من أصناف الحياة — نباتية وجوانية — على سطح الكرة الأرضية وهي في متناول يده .

فإذا فرغ منها فأمامه الكواكب والأجرام السماوية ، ينازها بمقله ، وعليه أن يكشف باحثاً منقباً عن صور الكائنات الحية فيها ؛ أين توجد ؟ وكيف ؟ فإذا وفق ، فليشبعها بحثاً وتخصاً كما فعل بمثيلاتها الموجودة على الكوكب الذي يعيش فيه . ولت شعري هل لهذه الغاية من

سبيل؟ صحيح أنه يستعين بآلات ما كان يعلم أجداده الأوائل يصنع مثلها، كالمكسكوب الدقيق الذي بحث به عن خفايا الحياة والمواد، والتلسكوب المكبر الذي كشف له عما بعد من الأجرام السماوية الهائلة، والسبكتروسكوب التحلل للضوء والذي يخبره عن درجات الحرارة في الشمس البعيدة ثلاثين الملايين من الأميال، حتى استأنها في تناول يده، وعن سرعتها الهائلة، اقتراباً وابتعاداً، ولكن مدى هذه الآلات محدود.

هناك كائنات حية ليس في تناول المكسكوب مهما أدخل عليه من تحسين أن يكشف لنا عنها، والنجوم التي في السدم البعيدة لا يطلع عالم في رؤيتها مهما زادت قوة تكبير التلسكوب. وإذا كانت النجوم التي قد تبلغ ألف مرة قدر شمسنا في الحجم يكاد يكون من المستحيل رؤيتها بأقوى ما نطلع في عمله من الآلات، فهل نعلم يوماً برؤية كواكب مثل تلك الشمس إن كان لها كواكب؟ ثم رؤية أصناف الحياة في مثل تلك الكواكب — إن كان فيها حياة —؟ ثم نحن ضئوف هذه الكائنات الحية؟

ثم ما الذي نعلم من خواص المادة الجامدة؟ كل ما نعلمه هو نتيجة درسنا ما حولنا من الأجسام في كرتنا الأرضية، ندرسها في جونا ذي درجات الحرارة التي في إمكاننا الوصول إليها بطرقنا البدوية، ونبحث الضغوط التي يمكننا إحداثها، وهذه تلك ليست إلا كمرأ ضئيلاً من الحالات المختلفة الموجودة في أنحاء كثيرة من الكون، فهناك درجات حرارة في قلب بعض النجوم تبلغ الملايين من الدرجات المئوية، وتوجد ضغوط هائلة جداً في بعضها، حتى إن كثافة المادة قد تصل إلى مليون مرة قدر كثافة الماء عندنا، فإذا وصلنا إلى كشف كل خواص الأجسام الجامدة عندنا، وودعنا ما لم نصل إليه بعد — فلنخفف من غلوائنا قليلاً، فالمادة التي كشفنا عن كل خفاياها تختلف خواصها باختلاف الأوساط التي تحيط بها، وقد رأينا أن ما عندنا ليس إلا كمرأ بسيطاً مما يعم الكون بسكواكبه وشموه.

وحتى عندما نحيط علماً بكل ما هو كائن الآن من الغاز تحفها الأرض والسموات، فهل نضع أن نكشف عما (كان) قبل أن توجد أرضنا، وعما (سيكون) بعد أن تختفي نحن ونختفي أرضنا في عالم الغيب؟

إن حياة الإنسان على ظهر الكرة الأرضية ليست إلا دقة واحدة في ساعة الكون الأبدية، وقد دارت عجلة الزمن قبل أن يوجد هذا الإنسان، وستظل دائرة بعد أن يفنى؛ فإذا علم شيئاً فسيجهل بلا شك أشياء، ولقد حق عليه إلى الأبد قوله تعالى «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» ما.

الاسلام

وأثره في العرب في لغة العرب

بقلم الأستاذ السباعي السباعي يرومي
أستاذ الأدب العربي بدار العلوم العليا

لغة الأمة مرآة ترى عليها صورتها بالحال التي هي عليها ؛ وهي شديدة الحس والتأثر بكل ما يعثرها ، ومن ثم كانت الانقلابات السياسية والدينية والاجتماعية ذات أثر يبرز في اللغات ؛ وبقدر ما يكون لتلك الانقلابات من قوة وسعة ؛ يكون التأثير في اللغة ؛ صعوداً وسقوطاً ، رفعة وانحطاطاً .

ندلى بهذه المقدمة لتحكم بأن الاسلام - وهو ذلك الانقلاب الهائل الخليلي - غير من أوضاع الأمة العربية تغييراً تباركها في كل نواحيها بدرجة لم تكن لأى حدث في أية أمة سواها ، حتى ليقال دون - مبالغة ولا تزبد - إنه خلقها خلقاً جديداً جعلها في حساب ومعناها غير ما كان عليه أسلافها ، فكان لذلك في اللغة من الأثر البالغ والتغيير الكبير ما نريد إجماله هنا .

١ - الانقلاب الحسي

عاش العرب محصورين في جزيرتهم لم يحاذيهم فيها غيرهم ولم يرتحوا للإقامة بعيداً عنها ، وهي كما تعلم جزيرة - على سعتها - ليس بها نهر يجري ولا سهل يزرع كما للأمم حولها ؛ إنما هي أرض تكاد تنقسمها الصحارى والتجود ، وفيها من الجبال ذات الأودية تخط الغيوث والأمطار ما يفتت العشب والكلاء مما تعيش عليه ماشيتهم من إبل وضأن وممز يعيشون عليها ؛ فمن بلاد يحبس أهلها حياة البدو ، إلا من كان في بعض أطرافها من الحضر المتحضرين وهم قليل .

طالبتهم هذه الحياة أن يجيدوا وصف الأرض في الناحية التي عليها ؛ بلادهم من الصحارى المترامية الأطراف ذات الرمال المحرقة والمفاوز المهلكة ؛ ومن التجود العظيمة تشعبها الأغوار البعيدة ؛ ومن الأودية المظلمة تحدها الجبال الشامخة ، وأن يجيدوا ما تتبع لذلك نعت الإبل من رواحل وجزر . فعلى الإبل حين الرحلة عاديهم ، ومن لحامتها وألبانها شبعهم وريهم ، ومن صوفها وآوارها ملابسهم وخيامهم ، كما يجيدون وصف نبات الياوية من كلاً وعشب ، ورياحيتها من عذار وبهار ، وشجرتها ذات الصلة الوثيقة بها وهي النخلة التي برح البدو في معرفتها والوقوف على خصائصها ، فلم يتركوا منها شيئاً دون استخدام وانتفاع .

وطالبتهم - وهم قوم يعيشون فيها على المطر، إذا جادهم أخسبوا وأمرعوا، وإذا أظلمهم جددوا وأقسطوا - أن يطيلوا النظر إلى السماء يتعرفون مواطن السحب والغيام، والمطر منها الجاهل، ومهاب الرياح باردها وحارها مستقيمها ونكباتها لما لها من العلاقة الوثيقة بالأمطار. على أن لهم إلى نثار السماء إذا صفا الجو وتبددت الغيوم - حاجة أخرى، فإن بها من النجوم عليه هدايتهم وفيه إرشادهم حيث يسرون في ظلمات الليل البهيم، وما كان ممرهم غالباً إلا به فراراً من حر الشمس التي تذيب بوجهها في صاريهم أنفة القباب.

وطالبتهم - وهم قوم رحل ينتجعون منابت السكك ولا يستقر بهم قرار - أن يعدوا الرحلة نديها، فيخذوا بيوتهم من التمر يرفعونها إذا ارتحلوا ويضربونها إذا أقاموا، وأن يحسنوا رصف ذلك وما تعلق به من الصوف والوبر والأعمدة والآوتاد والفواصل والأطواب.

ثم طالبتهم أخيراً أن يكثرن في ما كاهنهم وملايسهم على حال من التقشف والتبدي لا تدع لهم ثوباً في ما كل ولا ثوباً في ما لبس ولا تنوعاً في أئمة ولا قسيمة لأثاث أو ريش، مما هو بالحضر كثير الشاهدة ليس منه لسكان المدن مخيص.

هذا هو الميدان الحسي الذي كانت تتطلع فيه العرب بأبصارها، ومنه تنبع حواسهم، وتثار مشاعرهم فلا يصدرون في تصويرهم إلا عنه، ولا يعرفون في جسمهم إلا منه، ولكن الإسلام إذ جاء غير من كل هذا فز يكدهم بالجهاد والغزو في مملكات الفرس والروم، حتى خرجت بهاديرهم إليها غروج السيل المندفع، فلم يمس صدر من خلافة عمر إلا وقد دخلوا ما بين الدولتين. فازالوا الأولاء عن رقعتهم فارس والعراق، وضموا الثانية بما أخذوا من مصر والشام، وبهذا احتلوا ما اتسع من الأرضين بقاحولها وبزروعها، واستولوا ما غظم من المدن يمتدحون بحيرها ونعيمها، وشاهدوا من بحالي الطبيعة الجديدة: الأنهار الجارية، والسهول الناضرة، ومن آثار الحضارة العريقة ما أتتته حكمة فارس وصنعة الرومان وعلم مصر، فتبدلت بهم الحال غير الحال، ونسوا الصحاري وإبلها وأنجاد ووهدها والبوادي ونبتها، ولم تعد حياتهم حبيساً على المسطر يتشوفونه من الجو المتبدل، معونه في الرشح المازج، ولا يندابهم وقتاً على السماء الصافية ذات النجوم اللامعة، ولا طلب إليهم رهناً بالرحلة يشدون أكرارها فضعف في كلامهم كل هذا وخلصوا منه، إلى ما يقابله مقابل الحضارة للبداوة أو مقابلة التمتع للتقشف، بل السعادة للشقاء. وكانوا بذلك كجند منتفعين، فاهر إلى الساعة من نهار حتى أشرعوا هذه المدنية وتقدوا بها وامتلكوا ناصيتها وزادوا فيها، وظهر ذلك عليهم ظهوراً حقيقاً ليس بالمقلد ولا المعارض ثم ما هي إلا عشية أو ضحاها حتى طبت هذه الحضارة بطابعهم واستحقوا عن جدارة باحوروا وابتكروا - أسبغها عليهم، قليل الحضارة العربية لا حضارة كذا ولا كذا، وحدث للفتن كل هذا فأحسنت تصويره وأجادت نغته. وأصبحت تسمع فيها منذ الصدر الأول في ميدان الحس، ألم تلك تسرع،

في حسن أداء وسمة خيال ؛ وإن كتب المغازي والفتوح للملأى بالأمثال والشواهد على ما وجد في هذا الباب .

٢ - الانقلاب المعنوي

وجاء الاسلام والعرب شتى المذاهب مختلفو المشارب ، لا دين يجمعهم ولا عقيدة تفتطمعهم ، فمنهم المذرك عابد الصنم والوثن ، وما هو إلا حجر ينحته بيده وينقلب يعبده دون نفع يرجى ولا ضرر يخشى ، ومنهم العاصي عابد الكواكب والنجوم لا يرى في أفولها نقصاً ولا في اختلاف أحوالها طمأنينة ، ومنهم الجوسي عابد النار والشمس يسجد لها في طلوعها ويقم بيوت النيران معظماً لشأنها ، ومنهم الدهريون الذين ينكرون البعث والنشور ويقولون : ما هي إلا حياتنا الدنيا موت ونحيا وما يملكنا إلا الدهر ، ومنهم الزنادقة التنويون الذين يجعلون الصانع اثنين : فاعل خير هو النور ، وفاعل شر هو الظلمة ، ويقولون : إنهم اقدميان باقيان ، ومنهم عباد الشياطين مخافة شرهم ، وعباد الملائكة رجاء خيرهم ، ثم منهم اليهود والنصارى ، ومنهم غير من ذكرنا ؛ فجاء الاسلام يدعوهم إلى دين واحد أساسه شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ؛ وإيتاء الزكاة ؛ وصوم رمضان ؛ وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً ؛ فبدأ تلك القواعد الخمس بالتوحيد وجعل الجهاد من أجله قرصاً ، وأذنهم أنه يغفر ما يشاء لمن يشاء إلا أن يشركه ، قال عز شأنه : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ؛ وهذا واحد بينهم في العقيدة وجميعهم في صعيد المعبادة ، وكان هذا الاتحاد القلبي النعمة الكبرى التي آمن بها عليهم ، إذ يقول لهم : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » .

وجاء الاسلام والعرب أسرى أوهام وخرافات يدينون بالعرفاة والكهانة ويعتقدون في الزجر والمعافاة ، بل فيما هو دون ذلك من سائر الأوهام كالصدى والهامة وتعليق الحلي على الملدوغ ليسلم ، وكى الصحيح ليبراً الأجرب ، وضرب الثور ليشرى البقر ، ووطء المقلات دم الشريف ليعرش ولدها ، إلى غير ذلك مما ران على قلوبهم وغشى من أبصارهم ، فانتزع الاسلام عنهم وانتزعهم منه ، وبذلك خلصت من الأوهام عقولهم وسلمت من التخريف أفكارهم .

وجاء الاسلام والعرب تدين بالعصبية والقوة ، يفتي كثيرهم قليلهم ، ويأكل قويهم ضعيفهم ، لا يرون يرون الزهب والسلب والابتناز والنصب ، تقوم بينهم الحرب لأوهى سبب ويطول على بقائهم الأمد ، فتفتي لذلك كبارهم وتنقطع منه ذراريهم وأنسا لهم . جاء الاسلام فكان راية السلام يتطلعون بظلمها وآية الوثام يعملون على تأييدها ، فلا قتال إلا في نصر دين الله ولا غزو إلا في إعلاء كلمته ، وبذلك تم توحيد كلمتهم وصاروا يداً واحدة على من سواهم ، في غير تفاخر بالأباء والأجداد ، ولا تسكائر بالأموال والأولاد ، وكما سوى بينهم فجعل أكرمهم عند الله أتقاهم ، جعل هذا أساس تفضيلهم على غيرهم ، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى

وجاء الاسلام في العرب غلظة دونها أكباد الأيل، وقسوة أهون منها قسوة الحجارة، يقتلون أولادهم للفاقة ويثدنون بناتهم للقاللة، وإذا بشر أحدكم بالأنثى قتل وجهه «سوداً» وشو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألساء ما يعملون»، فنعى عليهم جهوتهم وشدد التكبر على فعلتهم، قال تعالى «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً»، وقال في موطن آخر «وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت» فسلكتها مع جسام الحوادث نهويلاً لها ونيشيماً، ثم أكثر مطالبتهم أن يكونوا أرفاء القلوب رحماء فيما بينهم، فكانوا كما أراد، وظهر ذلك فيهم فلم يور الشمس في الرابعة حتى في الشخص الواحد من مختصر ميمهم، وآية ذلك عمر رضى الله عنه، كان في جاهليته من أقصى القاة وصار في إسلامه أرحم الرحماء إلا ما أشاب بشدته فيه داعي الدين.

وجاء الاسلام والعرب مضطربة في معاملتها، تأكل الربا الفاحش وتلعب الميسر المدمر، وتنقسم على أعمالها بالانصاب والأزلام فتكف عما أرادت وتقدم على ما كرهت، فأجل الله البيع وحرم الربا ونهى عن الميسر والاستقسام، حيث نهى عن الخمر، ونظم لهم معاملتهم فبدل من ظلمهم عدلاً ومن فوضأهم نظاماً، وجعل لهم تشريعاً مدنياً شاملاً لم يسبق مثله، ولم يلحقه إلا ما هو منه أو ما هو دونه، وكذلك فعل في التشريعين: الشخصي والجنائي، وسائر التشريعات الأخرى، مما لا تزال السمحاء تعلق به سائر الشرائع وعند العالم من بالبرهان الساطع والنور اللامع الذي لا ينقطع ضوءه ولا يخبو شعاعه، والذي لا يزال على مدى الأيام تكشف أسرارها وتضاعف أنصارتها، فيعترف به الجاحدون، ويرى بعد نظره المتبحرون، وإن في ذلك لآيات لقوم يعقلون.

هذا طرف مما أتى به الاسلام غير أنفسيات العرب في عقائدهم وعباداتهم: عاداتهم وأخلاقهم، معاملاتهم ونظم حياتهم، وما كان أسرع ما طبعوا عليه وعملوا به واتخذوه الإمام الذي لا يعصى والتدوة التي لا تنسى، وظهر ذلك في عامة أحوالهم وأولادها لغتهم، فقد حادوا بها عن القديم إلى الجديد، فلم يك فيها للمعبودات السالفة شأن، ولا للأوهام والخرافات ذكر، إلا ما كان على سبيل الزاوية والعييب. كذلك لم تبق ميداناً للتنازع بالصينية والدعاء بدعوة الجاهلية، وأداة للمتهمين ما تقبحه العقول، والترغيب فيما تنفر منه النفوس، دون تورع ولا حياء، إنما صار الشأن فيها كل الشأن لإقرار كلمة التوحيد ونشر المذهب والدين والعمل على تنفيذ الأمانة بروحه ووقتها على أسرارها، حتى تستعصم بحبله الذي لا ينقطع، وتستمسك بمروته التي لا تنضم. وشأن ابن ما كان وبين ما أصبح كائناً من كلام، فقد هجرت ألفاظ وجدت ألفاظاً ومعان ونشأت معان وعدل عن أغراض إلى أغراض، وما هذا بالاحتياج إلى إيراد الشواهد وضرب الأمثال.

النتيجة

وإذن فقد تغير من العرب بالاسلام جسمهم ومعانهم، بصرفهم وبصيرتهم، إن استوحوا الخيال من ميدان غير الميدان، وإن استلهموا القلب من نفس غير النفس ووجدان غير الوجدان، على أن التغيير لم يقف بهم عند هذين الانقلابين خصب. وقد كانت فيهما السكافية كل السكافية.

بل أمدح بما دل آخر هو القرآن الكريم ، في قوة بلاغته وتعام إعجازه ، فكان أمامهم المثل الحى وموطن المحاكاة والتقليد ، في كل ما يحاولون من قول ويريدون من كلام .

به هم يبدع أسلوبه ويحكم آياته وتلازم قواعده بنفروا أمامه ساجدين وطفقوا به يستمعون ومنه يقتبسون ، فكان النبع المعين ذا الماء الصافى والقرار المسكين ؛ ومع غمام عجزهم عن محاكاته ، ظهر أثره فى كلامهم ، لفظاً وأسلوباً ، معانى وأغراضاً ، وأخذ بيد اللغة إلى الذروة التى بلغتها والمكانة التى احتلتها ، حتى حق للباحثين فى الأدب - من أجل ذلك - أن ينسبوا إليه كل ما حدث بها من رفق وظهر فيها من قوة وسلطان .

نعم إن للاقتلابين السابقين من التأثير فى اللغة ما كنا نجد آثاره لو جاء الكتاب - كجاءت الكتب قبله - بلغة لا إعجاز فيها ولا إتمام - وإلا سلطنا الأحداث الدينية والسياسية قوتها وطعننا فى نظم العمران والاجتماع ، ووقفنا إزاء الحوادث تسكذب دعوانا وتقوم شاهدة على النقيض منا ، ولكن القائلين بهذه النسبة لا يقتضون من أثر القرآن فى اللغة عند حد الفصاحة والبلاغة فى الالفاظ والأساليب من حيث التعبير عن المعانى والأغراض ، فيكون لما أوردناه آنفاً محل الإيراد ، وإما يتجاوزون هذا الجانب منه إلى أنه موطن التسميع والتلويح والتهديد ، إلى أن هذا الانقلاب المعنوى قد جاء بدعوتهم وتم على يده ، فكل ما عند العرب منه ، إليه ينقلب ، ومنه يتشعب ، لا مبالغة فى هذا ولا مراء . أما ذلك الانقلاب الحسى فرجعه إليه آت من تشريعه الجهاد . فإن الدعوة الحميدة لم تبيح غلبة يقوم صاحبها بما جاءت به العدا للدعوات وإتمامها فامة للناس كافة وتقرر لتحقيق هذا التعميم وجوب الجهاد . فكانت على الله عليه وسلم أن يسمو الأمم جمعاء إلى ما فيه سعادتهم وهو دين الله ، فاما أجاوبوا وسموا واما جعلهم على ذلك بالسيف قتلاً ؛ فكذا فعل فى سياسته . وبه افتدى خلقاً مؤثراً من بعده ، وفرج العرب من جزيرتهم إلى ما أسلفنا من أقاليم ذات مزارع وأنهار ومدن وأبصار شاهدوا فيها ما شاهدوا من كل جديد عليهم ، وتأثروا بما تأثروا من كل غريب عنهم ، وبذلك انقلبوا الانقلاب الحسى المذكور ولولا تشريع القرن للجهاد تشريعاً جعل الموت فيه أحب إلى العرب من الحياة ، وجعل الخساء وقد قضت جاهليتها بأكية أخاها لأبيها ، تسجد لله شكراً ، حين جاءها من القادسية نهي بنيتها ، لما فتحت العرب تلك الفتوح ولا خرجت للجهاد ثم للإقامة هذا الطروج ؛ فمن هنا يكون صدق الدعوى واستقامة الكلام ؛ ومن ثم يجب أن يكون للقرآن دراسة مستفيضة تشرح ماله باللغة من علاقة وفي شئ أو اثنين من تأثير . ومن بعده تكون دراسة الحديث ، فقد رأت العرب فى كلام رسول الله - وهو منهم وكلامهم من نوع كلامهم الفصاحة المتدققة والبلاغة المتسكنة - نجاح كل قبيل يأتى ما عرف فى لغته وأتقن ما سمع من لهجته . كأنه نشأ فيهم وربى فى أوساطهم ، وكان ذلك فيه عن سليقة وطبع ، فأخذوا يتعدون قصده وينهجون نهجه ، حتى ازدادت ألفاظهم بדרך ألفاظه واشترقت معانيهم بقرع معانيه . وجاءت السنة ممثلة للكتاب فيما دخل اللغة من تقدم وارتقاء .

علاقة الآباء بالأبناء

بقلم المربية الفاضلة

الدكتورة زينب الحكيم

يبينا في مقالنا السابق الرابطة بين الآباء وأبنائهم من الناحية الطبيعية والعقلية والانفعالية والاجتماعية ، بحيث لم يبق هناك شك في صحة وجود تلك الروابط ؛ على أنه قد يكون من السهل أن نتكلم عن هذه العلاقات ونثبت وجودها ، دون أن نقدر قيمتها الحقيقية كعوامل أولية هامة في توثيق الصلات بين الآباء والأبناء ؛ ولقد يكون من الميسر أن ترى كيف تدوم تلك العلاقات صحيحة ، مع استمرار محاولة العمل على تقويتها وعدم فطم عراها .

فاذا آمننا بأن العلاقات بين الآباء وأبنائهم تتكون بواسطة الاتجاهات النفسية المديدة ، وأن كل اتجاه أو ميل نفسي يشتمل على تجارب عدة ، لايقنا أن كلاً من الآباء والأبناء يتأثر بوحدات ومجموع التجارب التي تحصل بينهما .

كيف تنمو الاتجاهات ؟

الميزات العقلية والطبيعية المختلفة تؤهل كل طفل لتجارب مختلفة ، والتجارب المختلفة هذه تنشئ اتجاهات وميولاً مختلفة أيضاً .

وبما أن كل إنسان له نشاطه الذاتي ، فإن كل نشاط يشترك فيه الآباء وأبنائهم هو تجارب مشتركة ، وعلى هذا الاعتبار ، فالتجربة معناها عمل ، وكل شيء يعمل له نتيجة ، ونتيجة هذا العمل إما شعور إقناع أو عدم إقناع .

ونتيجة كهذه إما أن تقوى أو تضعف العلاقات الأبوية والبنوية . فإذا كانت النتيجة شعور إقناع فكل فريق يتمنى تكرار نفس العمل ، أما إذا كانت العكس فإننا نتجاشى إعادته . وهنا نلاحظ أن نشاطنا يقوى أو يضعف تبعاً لشعورنا الخاص نحو كل شيء نعمله . فاذا رغبتنا في تكرار عمل واحد عدة مرات ، فيمكننا أن نقرر - دون أدنى تردد - أن اتجاهنا خاصاً قد نما نحو ذلك العمل .

مثال ذلك : إن ميلك نحو شخص خاص أو نحو شيء معين ، توضحه أفعالك بالنسبة لهذا الشخص أو ذلك الشيء .

فمثلاً لو قابلت شخصاً لأول مرة ، وشعرت بشعور متنافر نحوه ، فإنك تحتاجي لقائه مرة أخرى . ولقد تصرّح بأنك لم تحب هذا الشخص ، (وأنتك أحسست أنه ثقيل الظال عليك) ، وإذا تكرّر شعورك هذا كلما رأيت نفس الشخص فإن ميلك إليه يكون ميل عدم صداقة ، واتجاهك نحوه اتجاه عداة ، فتعمل على مقاطعته كلما استطعت ذلك . فإذا كان ولا بد من مقابلته (كأن يسبب لك المواجهة اجتماعكما في بيئة واحدة أو مكان واحد لضرورة عمل أو مصلحة مثلاً) ، فإن علاقتك الاجتماعية تختلف كل الاختلاف عن علاقتك برجال ونساء آخرين تكون علاقتك بهم علاقة صداقة .

انظر إلى الطفل الذي يرسم شيئاً بسيطاً ، ويرى أن رسمه هذا يسر والديه على حقارته ؛ فإن الطفل يتشجع بهذا الشعور ويستمر يرسم مهما كان في ذلك من مشقة عليه ، فإذا لحظ أن محاولاته نجحت في اجتذاب رضاء والديه فإنك ترى ميلاً قوياً للرسم ينشأ بوضوح في الطفل خصوصاً إذا كانت له موهبة الفن . وقياساً على هذا نرى أن الاتجاهات النفسية هامة جداً في حياة الأفراد والجماعات حيث إن كل اتجاه أو ميل يتبع دائماً بعمل من أي نوع ، حتى ولو كان هذا العمل مجرد قرار لا ينفذ مطلقاً .

والقرار الذي لا ينفذ في حالة الأشخاص البالغين يمكننا اعتباره شدة حرص منهم .

واسكننا نعتبره في حالة الأطفال الصغار ، عناداً أو إهمال واجب أو عدم انقياد .

كيفية أسماء الصلات:

عرفنا أن الصلات بين الآباء والأبناء نشأت في الطفل منذ ولادته ، ويصح للمرء أن يسميها عادات عملية ، أو عادات عمل الأشياء ، أو طرق عمل الأشياء . وهناك مئات الأشياء التي يعملها كل طفل يومياً ، فتنشأ هناك مئات الميول المطابقة لتلك الأعمال ، فهناك الاتجاه نحو الغذاء والنوم والحب والمشى والكلام والطاعة والصداقة ومشاركة المواطنين والحب والشعور المثين . ويشترك في تكوين كل هذا جميع أفراد الأسرة الواحدة ؛ وهذه الاتجاهات عوامل قوية في تربية الطفل ، فهي التي تشكل الأسرة والعلاقات الإنسانية ، وهي القوى الفعالة في حياة كل مخلوق إنساني .

وهذه الاتجاهات هي أسس جميع الأعمال الإنسانية المتوطنة ، والعلاقات الإنسانية الضرورية ، ومع هذا فنلاحظ أن الوالدين أكثر ميلاً إلى الإهمال من حيث التجارب التي يمرضان أبنائهما لها يومياً ، من وقت ولادتهم إلى سن البلوغ .

ومن الغريب أنهما لا يفهمان أو لا يريدان أن يفهما أن الاتجاهات التي نشأت في أبنائهما هي دعائم الصلات التي كوناهما بين نفسيهما وبين أبنائهما .

وكثير من الآباء يظنون أنه يمكنهم أن يكونوا أصدقاء لأبنائهم دون اعتبار صلات الصداقة التي تمت بينهم وبين أبنائهم بنفس الطريقة التي تنشأ بواسطتها علاقاتهم مع أي إنسان يصادقهم. ولكن الطفل لا بد خاسر بالنسبة لعلاقة كهذه ، لأنه عديم الخبرة ناقص التكوين ، غير مستكمل النمو الجسدي والعقلي ، أما الوالدان فكاملان النمو ، لهما خبرة وذراية بشئون الحياة تمكنهما من فهم ما لم يفهمه الطفل بعد ، كما أن لهما قدرة على الطفل الصغير ، فربما لذلك يرضاهما للتجارب المختلفة .

وما لم ينتبه الوالدان إلى ماسيعود على الطفل من تلك التجارب ، فن الممكن أن ينميا في الطفل اتجاهات مخالفة لما أرادا أن ينميا فيه .

الفتاة «سعاد» وعمرها اثنتا عشرة سنة ، لحظ عليها الهدوء الشديد ، والكتان لأفكارها ، ولم تحدث والديها في شئونها الخاصة ، الأمر الذي أقلق أمها واضطرها إلى الجاهرة بأن الآباء يجب أن يكونوا خير أصدقاء لأبنائهم .

وسعاد هذه لازمتها دائما مربية كانت يقظة من حيث إرشادها إلى عمل أشياء مختلفة ، ولكنها لم تشجعها مطلقاً على إبداء رغبتها في الأشياء التي تريدها ، بل كانت دائماً تمنعها على أقل الهبات التي تصدر عنها دون أن توضح لها كيف أتلفت تلك الهبات الأشياء التي كانت تعلمها ، مما جعل سماداً تصل إلى حكم قاطع بأن كل شيء تسلمه إما أن يوافق أو لا يوافق عليه .

ببالغون ، تبعاً لميولهم الخاصة وحالاتهم النفسية . وكان والدها رجلاً كثير الأشغال ، ولم يكرس شيئاً من وقته للتحدث إليها ، وكانت أمها «مقتنعة بالقاعدة » الأطفال ترى ولا تسمع « ، ولم تصرف أي جزء من وقتها معها أثناء الخمس سنوات الأخيرة من عمرها ، على أنها شعرت برغبة ملحة في مصادقتها وهي فتاة ، ولكن تلك الأم قد نسبت أن إنماء روح صداقة مع ابنتها يستلزم تجارب صداقة مستمرة ، بحيث تضمن رضا الطرفين وتستوعب انتباه كل منهما ، وبحيث يتكوز ميل صداقة وتعاون وتناغم ، ينمو بممارسته في المشا كل اليومية حتى يؤثر في حياة الفتاة .

من أجل ذلك نصحت الأم أن تعمل كل ما تستطيع لكي تغطي بعض الوقت مع ابنتها كل يوم ، حتى يتسنى لهما الحصول على تجارب سعيدة معاً ، وتكون هذه التجارب مثل المني البسيط حول الحديقة ، أو الجلوس في مكان معاً للتحدث الطريف أو ما شاكل ذلك

ولكن الأم لم ترقها هذه التصيعة ، وقالت إن مثل هذه الأشياء «ينقص من سلطانها على ابنتها» ويدعو إلى عدم حفظ مركزها ، وأشارت إلى أن كل ما تريده «صداقة بدون منح السكافة

بينهما » ، واستمرت المشادة بين الأم وابنتها إلى أن تزلت الأم ، ففهمت ان هناك فرقاً عظيماً بين مجرد المعرفة ، والصداقة أو المرافقة .

وبعد سنتين من هذا التاريخ قالت الأم « إني أعجب إذا كنت سأستطيع تمويض هاتيك الخمس سنين التي أضعتها في جفاء مع ابنتي ، ولقد وجدت أني ملزمة بإيجاد شعور حقيقي من المودة والصداقة بيننا ، وأيضاً كان لزاماً علي أن أزيل من ذهن ابنتي شعوري الجمود والقسوة اللذين جعلاهما قليلة الفهم عديمة الاهتمام بالأفراد الذين في بيئتهما » .

تأثير الوالدين في أبنائهم :

بما أنه يشترك في إنتاج الطفل فردان (هما أمه وأبوه) فلهما عليه تأثير كبير من حيث توجيهه ميوله ، فهما معاً يعرضانه لأنواع من التجارب الخاصة المحددة ، وأحياناً بيننا نجد أحدهما أكثرهما للطفل وأدأف به ، نجد الآخر شديد النقد له ، ضيق الخلق معه ، كثير الجفاء له . وغالباً يظن هذا الأخير أنه لا يقابل من الطفل بمثل ما يقابل به الجانب الأول ؛ وذلك لأنه متسلط مع الطفل أو كثير الشفقة به ، ويسبب هذا الشعور إخلال التوازن بين الوالدين . وهذه الحالة من أشد العوامل إنتاجاً لفشل الترابط العائلي .

فالطفل عند ما يحاول إطاعة أوامر والديه ، يشعر دائماً بأنه ملزم بتطبيب نفس ذلك الوالد وتهديئة نفس تلك الأم خوفاً منهما ، وخشية غضبهما ، بدل أن يقبل على تنفيذ أوامرها برغبة ، وطمعاً في تعلم طرق عمل الأشياء منهما ، فلما منه أنهما على حق فيما يأمران به . لذلك نرى الطفل يتعود جملة عادات خلقية منحطة كعدم الإخلاص ، والكذب . وأمثال هؤلاء الأطفال من بنين وبنات هم الذين ينشئون في الحظوظ ، لا اعتماد لهم على أنفسهم ، بل تتأثر أفكارهم وأعمالهم برأي آخر فرد يتحدث إليهم ، وأمثال هؤلاء لا يوثق بكلامهم ويشك في إخلاصهم وولائهم ، ونحزن على اعتراضهم في الحياة ، ويستحقون منا الإشفاق بهم .

محبة الأطفال وأهمية استعمالها بحكمة :

إن إنماء العلاقات الانفعالية في الطفل أمر له أهميته وخطورته ، ومن الضروري أن يتعلم الطفل كيف يحب ، إلى جانب ما يتعلم من باقي الأشياء الضرورية في الحياة . وإن معرفة نوعية وكمية الحب الأبوي لمن أهم الأمور ، لأن ذلك ضروري جداً في حالة تشكيل وصقل الرابطة الانفعالية بين الآباء والأبناء . لذلك يلزمنا تمييز ما إذا كان حبهما أنانياً أو غير أناني ، إن كان حباً تعجلى فيه المتدبرة على فهم الطفل والعمل على إرشاده وتكوينه ليحتل مكانه الطبيعي في

الحياة أم عكس ذلك ، إن كان حياً يحيط الطفل كمضو من البشرية جماء لا تابعاً لأسرة خاصة أو العكس .

وكيف ينمو حب كهذا ؟

هل ينمو بواسطة الملامح الدالة على المحبة في أبسط مظاهرها ، كتدليل الرضيع ، ومداعبة الطفل ، وتشجيع العبي ؟ وهل تنمو طائفة الحب هذه ومشاركة المواطن عندما يبدأ احتياج الطفل للإيضاح عن مكنونات نفسه بطرق ربما لا يستطيع الوالدان فهمها ؟ وهل نوعية حب الوالدين من النوع الذى يستطيع إنعاده مربيات أولادهما إلى علاقة صدقة بينهما إذا ما كبر الأطفال وصاروا غامقاً ؟ وهل تستطيع المربيات إنعاء مواهب الأطفال الطريقة دون تسليط أفكارهن الخاصة عليهم . ؟

سواء أ كان هذا أم ذاك فإنه يجب على الآباء أن يمكنوا أبناءهم من مواجهة الحقائق وجهاً لوجه ، وأن يعلم هؤلاء الآباء أنهم تابعون للماضى وأطفالهم مهيئون للمستقبل ، وأن الآباء يرون الحياة فى ظل الماضى ، أما أطفاله فيرون دائماً ممكنات المستقبل .

وحب الآباء يجب أن يقوى دائماً بنهم كيفية تربية الطفل والأخذ بيده وفق طبيعته واحتياجاته ومؤهلاته ، حتى يمكنه التصميم على الخطوة التى يجب أن تعقد عليها صلاتهم السليمة .

والآباء الذين يتوصلون إلى فهم ذلك يصبح زاماً عليهم ألا يبتسموا أو يشجعوا الأعمال التى تصدر عن الطفل وعمره ثلاث أو أربع سنوات كأعمال مضحكة أو وقحة دون قصد ، فإنهم لن يسمحوا لهم بعملها إذا ما بلغوا السادسة والسابعة من أعمارهم ، ولا بد أن يقدروا أنهم لن يستطيعوا منعهم منها إلا بالمقاب .

وهنا يجب أن يرسم الآباء خطة حكيمة لتربية أبنائهم ، يكون ضمن برنامجها ألا يسمحوا لأنفسهم بتشجيع ما يستملح من صفاتهم وهم صفات أبرياء وقع منهم وهم كبار ويعقلون ، وفى ذلك من اقتصاد النشاط والجهود والمشاقة الشئ الكثير .

أما إذا اتبع الطريق الهمجى فى تربية الأبناء كما هى الحال الآن ، فإن ذلك يكون من الخطر العظيم والخطال البين فى حفظ صلات المحبة والمودة بين الآباء وأبنائهم ، إذ تبعاً لذلك يظل الطفل محتاجاً إلى الرعاية بقدر ما يشعر بالحيرة الدائمة .

وليس شعور محبة الآباء بأكثر أهمية من أغراضهم نحو أبنائهم ، فإنه - كما قدما - توجد الاتجاهات ، وتنمو الميول بواسطة التجارب اليومية ، ولكن هل هذه الاتجاهات وتلك الميول هى التى تعلم الطفل قيم ألوان الحياة المختلفة وشؤونها ؟ إنها كذلك ، خصوصاً بالنسبة للوالدين

والاشقاء ، والشقيقات ، والأصدقاء ، وفي حالات اللعب والعمل ، وبالنسبة للحيوان والقرن والدين والرغبة في علم ما لم يعلم ، وفهم معنى ما لم يفهم ، وكل هذا يتوقف نحوه وتكوينه على مرمى الحب الأبوى .

وهن العلاقات بين الآباء والأبناء:

كلما اعترضت الوالدين صعوبة معينة بالنسبة لسلوك أحد أطفاليهما ، فهذا دليل واضح على أن العلاقة بينه وبينهما ليست مرضية ، وبذلك لم يتمكنوا من الوصول إلي الغاية التي قصدوا إليها ورغبوا فيها . وبالنظر إلى هذا الإخفاق ، كثير ما يصرح الوالدان ، بأن سلوك ابنهما غير مرض ، فهو عنيد ، يخالف للأوامر ، لا يوثق به ، وهو متلف ومشاغب ، يذكر أن هذا دون استحياء أو خجل من تصنيفهما لعجزهما عن تحويل سلوكه هذا إلى سلوك آخر أفضل منه .

ومن المدهش أنهما لا يفتنان إلى أن هذا الإخفاق سببه ضعف العلاقات بينهما وبين طفلهما . لذلك كان حتما علينا أن ننظر إلى المشاكل السلوكية في الأطفال كأنظر في كل مشاكل

العلاقات الإنسانية

ولقد نلاحظ المرة بعد المرة ، أن أحد الآباء لا يجد صعوبة ما في اكتساب معاونة ومشاركة طفله ، ولقد يقرر هذا الوالد أن طفله مطيع ولطيف ، في حين يقرر الآخر أنه لم يستطع اكتساب معاونة ومشاركة طفله لأنه يخالف عنيد وخشن ، ووالد آخر يستطیع كسب ثقة الطفل وصداقته ، وآخر يجده جافاً له ومقاوما لإرادته .

وكثيرا ما نسمع بعض الآباء يقولون : « عندي أربعة أطفال ، لم تعترضني صعوبة ما مع ثلاثة منهم ، أما رابعهم (فكلهم) ، فهو يختلف عنهم كثيراً لشدة عناده ، وعيوس وجهه ومخالفته ، ثم أقوى الرأس لدرجة تحير ، ولا أدري ماذا أصنع معه ، وترون أنني غير متعجب مع باقي أطفالي ، وبذلك لا يستطيع أحد أن يقول إنني لا أفهم عن تربية الأطفال شيئاً »

بناء على أمثال التصريح المتقدم ، يكون من الصعب دائماً إقناع أمثال هؤلاء الآباء بأن أشباه الطفل الرابع هذا ؛ إنما يرجع عيوسه وعناده إلى التجارب التي عرّضه والداه لها ، مما أدى إلى تكوين هذه الميول والعادات عنده .

ونسمع كثيراً في هذه الأيام ، عن الاختلافات الفردية عند الأطفال . على أننا لا ننزع أنفسنا بأن هذه الاختلافات تعرض الأطفال لتجارب متعددة ، مما يعمل على ازدياد مشاكلهم وتعميق حياتهم ، أكثر مما يعود عليهم من اكتساب المنافع والخبرة ، لعدم رعايتهم وحمايتهم الكافيتين أمام هذه التيارات السريعة المتواصلة ، في عصر مركب كالعصر الذي نعيش فيه

وفي هذه الحال ترى ضرورة سن خطة حكيمية لتربية الأطفال في الأسرة ، وليس معنى هذا أنه يجب على الوالدين اتباع شكل خاص من التربية لكل طفل على حدة في الأسرة الواحدة ، وإنما معناه أن يلجأ إلى الخطة المرسومة كمثل أعلى للتربية في هذه الأسرة ، وإنما تمنح هذه التربية بتنوع ، بحيث تفي بحاجات الأطفال كل بحسب ما يناسبه .

الطفلة « فريدة » ولها من العمر عشر سنوات - أحضرت إلينا ، لأنها أخفقت في أعمالها المدرسية ، ولم تكن مهتمة بالألعاب ، وكانت تغار من أخيها البالغ الحادية عشرة من العمر ، وكانت لا تطيع والدتها ، لأنها لم تنقبه لما كانت تكلف بعمله ، فكانت في نظر والدتها ، من الأطفال غير المرضي عنهم .

فلما حدثنا فريدة وسألناها عن الأشياء التي تحب أن تعملها ، قالت « لا أعرف شيئاً عن الأشياء التي أحب أن أعملها » ، ولم نظن أن هناك شيئاً بل أشياء تستطيع عملها جيداً . وبعد أن تردت فريدة عدة مرات على المعمل التجريبي ، وشعرت باطمئنان ، وروح صداقة ، وجدت من نفسها رغبة لعمل أشياء كثيرة ، بل لقد أحست أنها عملت أشياء كثيرة فعلاً ، ولكنها تطمع في أن تعمل أحسن من هذا كله ، لدرجة أنها ختمت حديثها معنا باقتراح حضورها مبكرة إلى المعمل ، لكي ترقب بعضاً من الكتب ، وتنقل بعض الخبر من القطار .

هنا ظهر من حال فريدة أنها فتاة حساسة للغاية ، وإن عندها قوى عقلية ممتازة ، وانضح أن المشكلة لا بد أن تكون في ناحية أخرى . وبعد أسبوعين ، جاءت الأم فجأة إلى المعمل لتستعلم عن سبب ترك فريدة المنزل مبكرة عن الميعاد المحدد ساعة كل يوم بحجة أنها يجب التأخر عن عملها ! ! فلما أخبرت عن الحالة التي وصلت إليها فريدة أثبت أن تصدق ما سمعت أذناها ، وظلت على اعتقادها ، وهو أن فريدة أصبحت شديدة الشوق للذهاب إلى المعمل ، كما اعتقدت أنه لا بد يوجد شخص في المعمل كرس كل وقته للملاحظة ابتها وتحريضها على العمل ، وارتأيت كثيراً في أن فريدة لم تشغل وقت أي شخص بالمعمل ، وأنهم لم يراقبوا مطلقاً ، وإنما تبرعت من تلقاء نفسها بالحضور مبكرة عن عاداتها .

وهنا انضح أن الأم من فريق الأمهات المتكدرات القلقات ، وإنما لم تكلف نفسها مشقة تعلم فريدة كيفية عمل أي شيء ، كما أنها لم تسمح لها بوقت كاف لتأدية أي عمل بل عوضاً عن ذلك اتهمتها دائماً ، وانتقدتها وفارقتها بأخيها الهادي الطبع ، الطبع لأوامرها ، والذي نشأ على أن يكون رجلاً ، ولوانه ما زال في عهد طفولته . وكانت الأم دائمة الشكاية من وجع الرأس ، كما انتظرت من « فريدة » أن تقوم بأكثر مما تستطيعه من الأعمال المنزلية : وانضحت

الحقيقة ، وهى أن فريدة كانت تؤدى أعمالاً منزلية أكثر مما تستطيع أدائه فتاة فى عمرها .
وظهر أن عدم خبرتها واحتياجها إلى الإرشاد والمران سبب النزاع الدائم بينها وبين أمها ،
كما سبب هذا الشقاق ذاته شدة حساسية فريدة ، بحيث جعلها تخطئ كثيراً فى عملها
إذا ما أحست أنه غير مرض .

من ذلك نرى أنه يجب على الوالدين أن يفهموا طبائع أبنائهم ، فإن هذا هو السبيل القويم
الذى يجب أن يسلكه الآباء حتى يأمنوا على أطفالهم من التجارب التى يعرضونهم لها ، بحيث
ينمون أصحاء الأجسام ، سليمة العقول والأخلاق .
والتجارب التى يشارك الآباء أبنائهم فيها توجد ثلاثة ، إما أن تكون تعليمية مساعدة ،
وإما أن تكون مثقلة ضارة فى تربية أى طفل . فإذا كان سلوك طفل غير مرض ، فيلزمنا
قبل كل شيء أن نختبر التجارب التى ملأت حياته ، وإذا أردنا تغيير سلوكه ، فلنغير تجاربه
أولاً ولنزل ما يكون منها عائقاً لتكوين اتجاهات وميول نافعة فى التربية ،
ولنستبدل بالميول الأقل ثمة ميولاً أخرى تنمو قوية حسنة . فإذا جعلنا ذلك غرضنا
فإننا نهض بالتربية التكوينية ، عن طريق العلاقات الصالحة بين الوالدين وأبنائهم .
زينب الحكيم

مخاطر الحب

رواية مصرية حافلة بالمواقف النبيلة والمفاجآت العنيفة
تجمع إلى الحب العذرى تحليلاً دقيقاً لأنهم خواج النفس الشريفة
بقلم الأديب : حسن رشاد بمعهد التربية
منقحة ومصدرة يبحث فى أدب القصة وتطورها بقلم صاحب « المعرفة »
صفحاتها (٢٠٨) وثمنها (٥) خمسة قروش مصرية
تطلب من المؤلف أو من إدارة « المعرفة »

المرأة الشرقية

وشقاء حياتها الزوجية

بقلم الأستاذ اعجاز سامي حقي

تمهيد

من جملة أمراضنا الاجتماعية الكثيرة التي تفتت أعبائها ، والتي أصبح كل واحد منا يشعر بها ويرى ضرورة تلقيها ، المرأة وما تناسيه من تعاسة وشقاء وما تتحمله من ذل وهوان في هذه الحياة ، التي هي حياة لغيرها وموت لها . وإن من ينظر بعين المنصف إلى ما تسكتبه الجرائد والمجلات ، ويصغي بأذن واعية إلى الشكايات في المحاكم ، ويسمع بإخلاص ما يقال من حكايات وروايات في الطرقات وحافلات القطر وفي السيارات والمركبات ، بل في كل مكان عما تناسيه المرأة الشرقية من أية مائلة كانت ، ومن أية طبقة من طبقات الناس ، لا يسهه إلا أن يقر لها بذلك ويعترف لها بأنها معذبة مظلومة .

وقد كنت أنا ممن تنبئ هذه القضية ومطالعها بعين مجردة من الأهواء ، فوصلت - نتيجة أبحاثي وتحقيقاتي - إلى أن تعاسة المرأة الشرقية إنما ترجع إليها هي نفسها ، وهي المسئولة عنها لا غيرها . ولست أريد أن أبحث حال الفتاة الشرقية من حيث صحتها قبل الزواج ، لأن حياتها تلك لا تكون بيدها ، وليس لها فيها أي اختيار طير أو شر ، بل أريد أن أبحث في حياتها بعد الزواج ، لأنه القسط الأوفر من الحياة ، ولأن عليه تتوقف حياة الفتاة قبل الزواج ، أو بمعنى آخر ، إذا نحن أصلحنا حال الأم وبخشنا عن دواء لتلافي أمراضنا الاجتماعية ، ثم لنا إصلاح الفتاة بواسطة أمها ؛ فبحتى إذا محصور في الحياة الزوجية وشقاء المرأة الشرقية فيها .

سر تعاسة المرأة

والرأي عندي أن تعاسها إنما ترجع إلى عدم معرفتها بعلم الحياة الزوجية ، وإن لم يكن هذا بالعلم الجديد ؛ أقول ذلك وأنا على يقين من قولي ، إذ من المشهور والمسلم به أن الرجل رجل إلا أمام المرأة . وليس لنا أن نبحث عن المرأة ، ما هي وكيف هي ، لأن النساء - كما قال أحد الظرفاء - كلهن سواء عند إطفاء المصباح . وليس مرجع التعاسة إلى وجود أو انعدام الجمال ، لأنه من الأمور النسبية ، فأراه رجل جيلاً ، يراه آخر قبيحاً ؛ وإنما نعالج هنا مسألة المرأة والرجل معاً .

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن تعاسة النساء المتعاملات في الحياة الزوجية لا تقل عن تعاسة الجاهلات، إن لم تقل إنها أشد وأكثر من تعاسة غير المتعاملات، بينما كان التعلم يقتضى أن يبرى الأمر على عكس ذلك، لأن الإنسان كلما ازداد في العلم ازداد في العقل، ومن كان هذا شأنه كان حرياً بأن تكون حالته أحسن من غيره. على أننا نرى الأمور تسير عكساً، فما هو الداعى إلى ذلك؟

أما السبب عندى فهو نقص في «علم التربية الزوجية»؛ ولست أعنى بالتربية: العلوم والفنون، أو الحصول على الشهادات المالية، أو إطاعة الزوج وتقبيل يده في الأعياد والموااسم، وانتظاره على الطعام، والوقوف له إذا جاء، وتحيته إذا خرج، مما يفعله بعض الناس، بل هناك شيء آخر هو أجدد بأن يلتفت إليه من كل هذه السقاسف؛ ولا أراى أشد عن الموضوع إذا ذكرت النكسة الآتية للتمسكه بذلك أن أحدهم ذكر مرة أمام صديق له أن ابنته نجحت بتفوق في امتتحان البكالوريا، وأنها تتقن بوجه خاص علم (الجيولوجيا) و(البكتريولوجيا) و(الفسولوجيا) و(السايتكولوجيا) الخ، وسيتم اقتراحها عما قريب بفلان، فقال له صديقه: وهل أتقنت ابنتك (الطبخ لوجيا) و(العجن لوجيا) و(الغسيل لوجيا) و(ترتيب المنزل لوجيا)؟

وطبعاً لست أعنى أن تحصل العلوم ونيل الشهادات شيء غير جدير بالفتاة؛ بل إنى لأراه لازماً لها لزوم الخبز والماء؛ ولكنى أريد ألا تحرم الفتاة من أمور لا تقل فائدتها لها في الحياة عن فائدة هذه العلوم، إن لم أقل إنها تزيد عليها، وهى علم الحياة الزوجية، أعنى به تلك الأمور التى تؤهل الفتاة لأن تكون زوجة حقيقية سعيدة في حياتها الزوجية.

ترانا نعلم فتاتنا كل شيء، ونرسلها إلى المدارس، فتدرس وتطالع كل كتاب يليق أو لا يليق بالمطالعة، ونأخذها إلى السينما ونربها شئون العشق والمخالعة والتمتلك، ونبشها إلى الأسواق والحوانيت والمتنزعات؛ فتسمع وترى كل شنيعة ورذيلة؛ ولكننا إلى جانب ذلك نرى من العبث والمار أن نذكر لها في يوم من الأيام أنها ستزوج وتكون أما؛ وبدل أن نعددها لذلك اليوم ونفهمها معنى الحياة الزوجية، نعد ذكر الزواج أمامها في أحاديثنا عاراً؛ وفي حديثها أمامنا أو أمام غيرنا منتهى الوقاحة وغاية الفجور، حتى لكأنها لم تخلق لهذه الغاية أو كأن الزواج جرم عظيم ومعصية كبرى ارتكبتها أمها من قبل بزواجها من أبيها، ولا يليق بها أن ترتكبها هي أيضاً؛ بينما العقل والدين والمصلحة تقتضى علينا بأن نفهمها كل شيء عن الحياة الزوجية، ونجعلها تستفيد من تجارب أمها — على الأقل — لتعد نفسها — بالإضافة هذه التجارب إلى علومها وعقلها — للحياة الزوجية السعيدة؛ ولكن — وبأسف — هكذا شامت لنا تربيتنا وجودنا؛ فكان من جراء ذلك أنه إذا تزوجت الفتاة ودخلت بيت زوجها

ورأت وجوهاً غير الوجوه التي تعرفها وأخلاقاً وتربية وعادات خلاف ما عهدت ، وقت في حيرة ، وأخذت الأمور عليها ، فلا هي عالمة بالحياة الزوجية حتى تتدبر أمورها وتعيش بهناء وتعمل كل ذي حق حقه من أهل الدار وتزول نفسها المزلّة اللاتقة بها ، ولا هي جاذلة فتضع وتستكين وتتضى حياتها بين تلك الجدران حيث لا يعلم بها إلا الله ؛ فلا يكون منها - والحالة هذه - إلا أن تشرعن ساقها وتحوض مع كل أهل الدار في بحر من المخاصمات والمنازعات ، فيسبب هذا الزواج شقاء ، لا للزوج وحده ، بل لكل أهله وأقاربه ؛ هذا إذا كانت الزوجة عودت ذلك في بيت أبيها ، وتملت هذه الدروس من أمها ؛ وإلا فلا يكون منها إلا أن تستصرخ أهلها ، وهناك تكون الطامة الكبرى والويل والتبور .

أصناف الشرع

ثم إننا نرى - إلى جانب ذلك - أن كثيراً من شبانا ما تكاد تمضي عليهم أيام العرس حتى يهجروا زوجاتهم منجراً ملياً ، ويتخذوا لهم من الممرسات خليلة يترددون عليها ، بل يقضون عندها كل أوقاتهم ويضيئون زهرة حياتهم في تلك الحياة الشائنة الوخيمة ؛ كما أنهم ينفقون كل ما تصل إليه أيديهم ، وهم لا يبتغون من الحياة إلا رضاها الذي هو عندهم منتهى السعادة وعين النعيم ؛ على أنها قد لا تكون أجل من زوجتهم ولا أعلم ولا أكمل . ومن الناس من قد صانهم شرفهم وجاههم من الوقوع في مثل هذه التهلكة ، فتراهم يهجرون زوجاتهم ويتخذون المقاهي لهم داراً ، فلا يأتون إلى منازلهم إلا غراراً ، وإذا دخلوها فإنما يدخلونها مجبرين ، إما لعدم الراحة أو لنوم أو لتبديل ثياب بنيرها ، ثم لا يلبثون أن يخرجوا منها سراعا وكأنما هم نازلون في فندق أو كأن في الدار وباء ! وكثيراً ما يستغنون عن الدار أياماً طويلة يقضونها عند الأصدقاء والأحباب . والبعض ممن لا يدينون بأحد المذهبين السابقين ، وحالتهم المادية لا تساعدهم على الجلوس في المقاهي أو المتنزعات ، تراهم يأتون إلى الدار ويجلسون كالجلادين ، إن كلمته أخته لطمها ، أو أمه أنبها ، أو زوجته سبها ، وإن ضحك أحد صب العذاب على الدار وأهلها ، وبكى مقل تقوم الهاججة الكبرى ، ويضع صاحباً ويشور لأقل حادث ويسى وقاره ويتجاوز حدوده ؛ وهو معذور في ذلك ، لأنه يكون في حالة عصبية غير سليمة ؛ ومن الناس من يولع بشرب الخمر ليروح عن نفسه ، ومنهم من يقضى حياته على الموائد الخضراء أو غيرها من الأمراض الاجتماعية التي يمرقها كل واحد منها ، إما في نفسه أو في صديقه أو في أحد أقربائه أو جيرانه ؛ كل هذه الأمراض من المرأه وحدها ، فأنك إذا سألت واحداً من هؤلاء الأزواج ، لماذا صرف زهرة شبابه في جمع المال من أجل أن يتزوج وما هوذا قد تزوج وبيت الزوجة يطلبه ولا يجب له أن يعيش في الطرقات ؟ أو إذا ذكرت تلك الأيام التي كان يتبها فيها للعرس ، تراه يتأوه في حسرة وتراجع ، لا عناء ، ساخطاً ذلك اليوم الذي

كانت له فيه تلك الصلة بزوجه المشئومة ويقول : لقد ضاعت آمالي وثلاثت مع
المواصف ، فأنا اليوم غيرى بالأس ، عرفت بالتجربة ما لم أعرفه من الأقوال ، ونصحتني إلى كل
من لم يتزوج ألا يحدث نفسه بالزواج ، فحديث الزواج كالأفي ، ناعم للمس قاتل السم .
ثم يزيد على ذلك أنه لا يحب زوجته ولا يميل إليها . وقد رأيت أن أكثر متبعي الثقافة
الأوربية ومقلدي الطراز الحديث يزرون ذلك إلى آب الشرقيين - وخاصة المسلمين -
لا يتزوجون كما يتزوج الأوروبيون عن محبة وتعارف . أما أنا فم أثنى من السفودين ،
فلست أرى فائدة لهذا النوع من الزواج في توطيد العلاقات الزوجية ، وأرجح أن الزواج
الذي يكون بمعرفة الوالدين أو من يقوم مقامهما هو غالباً أنجح من زواج يتم بواسطة الشخص
نفسه ، وذلك لأسباب :

منها أن الشاب في زمان شبابه وهياجه لا يثق للجمال معنى ، فالشاب لا يرى امرأة إلا يتخالجه
نحوها من الميل ما يتخالجه لرؤية غيرها ، سواء بسواء ، وهذا دليل على أن ميله للأولى أو
للثانية ليس ناشئاً عن ميل خاص وإنما هو نتيجة ما ودع الله فطرة الذكر من الميل إلى الأثني
والعكس بالعكس .

ومنها أن الجمال ليس جمال الوجه والجسم فقط ، بل هو ما تقدم مضافاً إليه ميزات باطنية
كثيرة لا يميزها إلا العارفون ، أما أنا فإني لا أرى جمال المرأة إلا في الصحة والحياة ، وأما كونها
بيضاء اللون أو واسعة العينين أو صغيرة القدم أو نحيلة الخصر ، فهذا ما لا أعده الجمال . لأنه شيء معارض
وزائل . وفي زوال الجمال معنى غير جميل وأرجو ألا يفهم من قولي هذا أن لا بأس من كون المرأة
شوهاء أو قطعاء أو عرجاء ، فأية عاهة وأي عيب لا يمكن أن يدل على الصحة الحسنة ، ولست أرى
من النساء من ليس فيهن من معاني الحسن والجمال المتعارف عليه ذرة واحدة مما في ذوات الخال
والخلخال والقوام والهندام ، ومع هذا فإنك لتتعمق دائماً الجلوس إليهن واجتماعاً ثم آدابهن .
فلماذا يضعح الإنسان إذا بشرقه وجاهه وماله وينقاد إلى بيوت العمر ، وهو صاحب زوجة ،
وزوجته جميلة شريفة مهذبة ربما لا يوجد من يضاهيها في جمالها الطبيعي ، ناهيك عما انصقت
به من آداب وعصمة ، وحسبك ذلك من جمال ؟

ولكن ماذا تفعل هذه المسكينة لحظها القائم الذي جعلها لا ترى زوجها إلا غيباً ، ولا تمتع
برفقته ساعة واحدة يقضيها في سرور ، مما جعلها لا تعرف هل هي زوجة أو خادم أو مربية
أو مريض ، عيشها كله شقاء وعذاب وهي هدف كل لوم وعقاب ، ذلك لأن المؤسسات قد
درسن علم الحياة الزوجية فاستملن الرجال إليهن ، على ما هن عليه من قحة وتبذل وسفاهة
وقذارة وغير ذلك ، ولم تدرسه الزوجة فتباعد عنها الرجل ونفر منها ، مع ما هي عليه من عصمة
وآداب وأخلاق وطهارة .

علم الحياة الزوجية

فما هو ذلك العلم الذي خرب دور الزوجات الشريفات لجهلن إياه، وعمر دور الماهرات لمعرفتهن به ؟

هو أمور كثيرة أخصها لك في كلمات هي : معرفة كيفية استعمال الزوج لاغير ، وهو علم مختصر كما ترى من ألفاظه ، إلا أنه في الحقيقة وفي الوقت نفسه ، علم واسع لا يمكن معرفته إلا بدراسة علم النفس بمروعة كلها ؛ فإذا سألتني كيف يتسنى إداً لكل الزوجات أن يستملن أزواجهن طالما هذا يحتاج إلى دراسة علم دراسته وعرة الطرق ، قلت إن على الزوجة في كلمة مختصرة أن تجعل نفسها عشيقة لزوجها لا زوجة له فقط ، وأن تعامله معاملة الشقيق لعاشقة . ومن أولى منها بذلك افتتدل وتخضع ، وترضى وتغضب ، وتستعطف وتسكر ، وتطلب وتمنع ، وتحب وتنفر ، وتلين وتتصلب ، وتحالف وتوافق ، وتبكي وتضحك ، وتذبح وتشدو ، وهلم جرا . . .

هذا هو علم الحياة الزوجية الذي أخصيه والذي أرى أن عليه الممول في سعادة الحياة الزوجية . وإني لملي يقين من أنه إذا سارت الزوجة في حياتها الزوجية على نحو ما قدمنا فإنها تستطيع أن تقود زوجها بلحظة من لحاظها ، وتجعله طوعاً وأمرها وإشارتها بلقطة من لفتاتها . وكيف لا يكون الرجل خادماً لزوجته وكيف لا يضحى حياته من أجلها مهما كان شريفاً أو ضيعاً ، سقيماً أو سليماً ، تحت أقدام هذه العاشقة المعشوقة التي بذل للحصول عليها دمه وماله ، والتي يعلم أنها له وحده دون سواه ، وهو لها وحدها دون سواها ، بينما تراه يتغافل ويتهاون في حب مومس ، يكون لها من المشاق عدد كبير ؟ هذا ما لا يتصوره مائل قط .

وإني -- في كل تعاسة زوجية ومخاصمة بيتية -- لا ألوم إلا المرأة وحدها ، لأنها هي السبب في حدوثها ؛ ولا ألوم الرجل ، لأنه صعب على الرجل أن يقوم امرأة ويهذبها إليه ، إذا كانت هي لا تعيل إليه من ذاتها . بل العكس فذلك سهل على المرأة . فالحياة المنزلية إداً في يد المرأة ؛ إن شاءت جعلت من الزواج نكاحاً ، وإن شاءت صيرته موتاً آخر .

وكمثيرة هي نماذج الحياة الزوجية التي ترى فيها التماسكة مخيمة ، إذا فقدت الزوجة « علم الحياة الزوجية » ، وبالعكس فإن كل شقاء وعذاب وألم يصادفه الإنسان في هذه الحياة من رجل أو امرأة ، يتضاءل مفعوله إذا سكن كل زوج إلى زوج ، وهذا هو مفهوم الآية الكريمة « لتسكنوا إليهن » ، فعلى هذا العلم وحده تتوقف سعادة الحياة الزوجية ، لا على المال ولا على الجلال ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنما تنسكح المرأة الثلاث إما للمال أو للجمال أو لدينها ، فعليك بذات الدين تربت يداك » ، وبالدن هو مجموعة الأخلاق كما تعرف .

وإنني أقص عليك الآن قصتين تعلم منهما ما لهذا العلم من الأثر في الحياة الزوجية . ذلك أن صديقاً لي تشاجر مع زوجته وهي بينهما وطيس الخصام حتى لم يبق أمل في الصلح ، فسعيت للتوفيق من قبل الرجل فلم أفلح ، فلما أتميت إليه من قبل الزوجة ، وكنت قد أوديت إليهما بشيء مما قد مضى من الأمور التي رجوتها أن تعمل بها ، لم يمض إلا يوم واحد حتى حادته المياد إلى مجاريتها وكأن شيئاً من الخصام لم يكن ! فهل تعلم ماذا قلت لهذه الزوجة ؟ قلت لها : كوني له مشوقة فقط . كذلك كان لي صديق تركته مدة طويلة ، فلما رجعت إليه وجدته قد تزوج ، وعرفني بزوجته ، فلما رأيتها عجبت كيف يتزوج مثله مثلها ، وهو شاب ذو مركز عال وعمل كبير ، وهي تزيد عليه في العمر وليس فيها من الجمال الظاهري شيء ، ولا ح لي أن حياتهما سعيدة ، فأردت أن أعرف الحقيقة ، فسألت صديقي عن حاله فأجابني : « إن زوجتي ليست بمعاملة ، ولكنني سعيد بزواجي منها ، لأن الحب بيننا متبادل » ، فعلمت أن جمالها باطن لا ظاهري .

وقد يقول البعض : إن الرجل لا يتغنى من الزوجة إلا الطاعة ، وفلان مع أنها تطيع زوجها ولا تحرك ساكناً إلا بإذنه ، من آتس الناس خطأ ، وبالعكس فإن فلانة هي الرجل وزوجها هو المرأة ، ومع ذلك فهي سعيدة في حياتها الزوجية ، ولكن هذا القول لا يروقني ، لأن المرأة ليست بخادم تؤمر فتطيع وتنهى فتلتص ، بل هي ربة البيت ومالكته ، بل مالكة صاحبة أيضاً ، والطاعة العبداء ليست من شأن السادة ، إنما تكون لهم طاعة اختيارية مصدرها الحب وحسن المعاشرة . زد على ذلك أن الطاعة ليست كل ما يتطلبه الزوج في زوجته ، وأولئك الذين يستندون إلى الأحاديث النبوية والأقوال التي ترتبت عليهم من أن الزوجة ليس لها إلا طاعة زوجها ليسوا على حق ، لأنهم فهموا الطاعة كما يفهمها الجهلاء أما العارفون فيفسرونها على نحو ما فسر الحديث « انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا » فقد فسرهم العارفون بمساعدة الأخ ، ظالمًا بمنعه من الظلم ، مظلومًا يردعه عنه . فهكذا تفسر طاعة هنا ؛ فقد تكون الطاعة أحياناً بإصلاح الزوج . ومن الحكايات اللطيفة في هذا الصدد أن عروساً لم يحض على زواجها إلا بضعة أيام حتى هجرها زوجها ، وانقلبت حبة لم باغضاً وتورأ ، وصار يقضي ليلته خارج الدار ، ويأتي آخر الليل ، فتقوم هذه المسكينة له بكل خدمة وتحادثه وتؤانس . وهو شاء من شأنه لا يريد لها سوى الأولاد يعبأ بكلامها ، وهي آتاء كل غمًا وهماً من هذه الكارثة التي وقعت فيها ، إلا أنها كانت صابرة لا تظهر عليها أمارات شيء ، حتى طفح السكبل أنجرأ ، وبلغ منها السيل الذي ، فقضت النعسة على والدتها وكانت عاقلة مدبرة وخبرة علامة بعلم (الحياة الزوجية) ، فأمرتها ألا تلتفت إليه ولا تصبأ به في المستقبل لبضعة أيام ، وألقت عليها بعض الدروس وأوصتها بأن تعمل بها ! فلما كان منتصف الليل وعاد زوجها وفق عادته ودخل الدار ، وجد زوجته نائمة ، فخلع ثيابه ونام هو

الأخر، ولكن في دحشة من نوم زوجته على غير عادتها، وهكذا تناومت صباحاً حتى ليس ثيابها وخرج وهو لا يذكر إلا فيما حدث لزوجته من الانقلاب الفجائي؛ فما كاد ينتهي عمله حتى عاد إلى الدار دون أن يذهب إلى مقهى أو ملهى؛ فلما دخل الدار استقبلته زوجته بكل جناء وكلمها فلم ترد عليه، فاضطربت أفكاره وحار في أمره، فجعل يسلمها ويداعبها، وهي تردد في جنائنها، وزاد في المداعبة لطمته، وانحنى على قدميها يقبلهما وهو يقول: رحم الله أباك! لو أنك علمتني مثل هذه المعاملة منذ اليوم الأول لزوجنا، لما كنت في من حاجة للتردد على الملاهي.

الرجل كزوج

ومما تقدم يظهر أن الرجل - كزوج - لا يحتاج دائماً إلى لين وطاعة، بل يحتاج لبعض الأحيان إلى شدة وغضب، وليس أعنى بهذا أن تقوم حرب داحس والغبراء بين الزوجين لينم الصلح ويسود الوقت، وإنما كل ما أعنى هو أن تكون الزوجة طامحة خيرة بما يجب أن تعامل به زوجها من الدلال، وإنه ليعتري العجب من أولئك النساء اللاتي لا يستطعن أن يستولين على أزواجهن بكلمهم وجزئهم، ولا أعدهن زوجات صالحات، وإلا فكيف تصور أن يكون لرجل زوجة يحبها وتحبه، ثم تراه في أوقات فراغه لا يميل إليها، وإنما تراه حائراً تنقادته المقاهي والملاهي؟ لماذا لا تسمى هذه الزوجة فتوى زوجها من الأمور ما تجعله يسكن إليها ولا ينظر إلى غيرها. أليس هذا عجزاً منها؟ لنفرض أن زوجها يميل إلى لعب الورق، فلنتعلمه هي أيضاً وتلعب معه، أو لنفرض أنه يميل إلى الغناء، فلتغن له ويغن لها، وهكذا.

التمريض

والخلاصة أن على الزوجة: إذا كانت تريد أن تكون زوجة بكل معنى الكلمة: أن تجعل الرجل خائفاً في يدها تحركه كيفما شاءت، وليس هذا على القوة السحرية في المرأة بل برب. ثم ماذا يجب عليها أيضاً لتكون سعيدة في حياتها الزوجية؟ لا شك أن هناك أموراً كثيرة؛ فعلى الزوجة أن تقنع زوجها بأنهم له وحده، فلا تنازع أو تلاعب أو تداعب أحداً من أقربائها أو أقربائه أو أصدقائها أو أصدقائه، إن كانت هذه المداعبات تثير في زوجها الغيرة. وعليها أن تندمج في زوجها، وتعد نفسها نفسه ونفسه نفسها، في مالها وبدنها، وولعها وشراها، وأن تكون نظيفة الجسم والملبس، وأن تزين له ما استطاعت، ولا تدع أمراً يسره من الأمور إلا فعلته، وألا تظن كما تظن الجاهلات أن اللباس هو لأيام المرس فقط، بل يجب عليها أن تزين كل يوم ترى تراهي لزوجها فيه كأنها في يوم الزفاف، وأن تستقبله ببشاشة وتودعه بائسامة، وأن تستخلص لها منه وقتاً للاخوة يومياً، تذكره فيه بكل حادثات يومه فتعزى عليه

العسير وتفرج كريمة وتشاركه أفراحه وأراحه ، وألا تقص عليه من الحوادث البتية ما يكدر مزاجه ، وألا تصغره في عين نفسه من حيث عمله وعلمه ، وأن تكون مقتصدة مدبرة ، ولست أعني أن تقتصده ويذره ، بل أن تقتصده وتعلم زوجها الاقتصاد وتحاسبه على المليم ، وأن تمنى بنظافته وثيابه وكل أمور الرفاهية من تزيين شعر وحمام ، وأن تضطر إلى ذلك إذا أبى أو كان لا يعأ بنفسه ، ولكن بطريقة زوجية لطيفة ، وألا تدع له من شك في أن حياتها منوطة برفاهته وسعادته ، وأن تكسب قلبه لدرجة لا يستطيع معها أن يمكث بعيداً عنها إلا للضرورة ، وأن تحاسبه على غيابه عنها وتعاتبه عليه بدلال ، وأن تخلص له ولا تكذب عليه في شيء ، وألا تخفى عليه حالة من حالاتها أو أمراً من أمورها أو حادثاً وقع لها ، وألا تدع لحظة تفوت إلا وتكسب بها قلبه وتتغلب على لبه .

هذا ما يجب أن تفعله المرأة لتكون سعيدة في حياتها الزوجية ويكون الزوج سعيداً بها . فإذا قال قائل : لماذا ذكرت واجبات المرأة وتركت واجبات الرجل ؟ أجبت بما تقدم من أن المرأة أصل السعادة الزوجية ، وهي القادرة على تكييفها بأية كيفية شئت ، وأما الرجل فسكين ، وممكن جداً ، لاسيما إذا حصل على زوجة من هذا النوع الذي ذكرته ، فحينئذ لا يكون الرجل زوجاً صادقاً وخادماً مخلصاً ، بل عبداً مطيعاً أميناً لا يحتاج إلى قيد أو شرط ، ينتظر الأمر لينفذه والحكم ليطيعه . وأى شأن للرجل أمام المرأة إذا كانت طاملة (بعلم الحياة الزوجية) ؟

وأكرر قولي بأن الرجل رجل ، إلا أمام المرأة . وليست الحياة بعد الزواج ألماً وكدرأ ، كما يتصور شباننا ، بل منتهى السعادة وغاية الراحة ، لا بل هي الجنة بعينها بما يتصور فيها من ليم وسعادة ، وبألفاظ أخرى : إذا كانت الحياة الزوجية مبنية على تبادل الحب فهمي كذلك ، وإلا فهي الجحيم بعينه ولا شك ، ولا يحق لنا أن نسميها حياة زوجية لأنها لا تكون إلا تمرينات حرية .

إحسان سامي حقي

عليكرة [الهند]

ضحايا محاكم التفتيش

من العلماء والفكرية

للكنوز على مظهر

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين

لا يعلمون أم هل » تستوى الظلمات والنور »

قرآن كريم

يموت من الناس المئات والآلاف فلا يكاد يذكرهم إلا ذوو قرابتهم أو من كانوا في جبرتهم ومن عرفهم ثم يتناساهم هؤلاء أيضاً بعد زمن وجيز .

أما إذا مات عظيم من العظماء أو كبير من الكبراء أو عالم من العلماء أو مفكر باحث غزير المادة قوى الجنان، فعندها يشعر الناس برنة الأمل والأسف تتردد في الأرجاء دانيها وقاصيها، وتهتز أو تثار القلوب حزناً، حتى قلوب من لا قرابة له به أو من لا صلة له به أصلاً، إلا صلة العلم والفكر ونشدان المثل الأعلى للحياة الروحية؛ ولا يزال الناس يذكر ذلك العظيم ويرددون اسمه .

والعظيم في رأينا من أعاد الناس بتجارب علمه أو بما بذله من جهود صادقة لخير الإنسانية ومنفعة البشر، وضعى في سبيل ذلك بقواه وما أوتي من بأس وما أنعم الله عليه به من نفيس في هذه الحياة .

وكذلك قد رفع الله الناس درجات بعضها فوق بعض في الحياة الدنيا، وجعل لهم منازل من الذكر الطويل والآثر الذي يمتد بعدهم إلى القرون وآلاف السنين بعد أن يستريحوا الراحة الكبرى .

والحق أن موت عالم كبير خسارة عظيمة دونها موت الآلاف ممن عاشوا وماتوا ولم يكونوا إلا كأدوات متحركة إذا قاموا، أو خشب مسندة ولصب نخرة إذا قعدوا؛ وذلك راجع إلى أن تكون عالم يحتاج إلى مجهود كبير حتى يصل إلى درجة من العلم، دع عنك ما يجب أن يكون له من استعداد للنبوغ أو ميل إلى التفكير والبحث .

وأيسر لك أن تجد الآلاف من الآكرة ومئات الآلاف من العمال وصغار الكتبة في الدواوين والمكاتب، من أن تعثر على عالم أعاد الإنسانية كديسون مثلاً، أو فيلسوف ككانط. ومن السهل

أن تلد الأمهات أولاداً لا يصلحون إلا للأعمال العادية في الحياة من أن تلد الأمة بأمرها واحداً كن ذكرنا يكون له مثل ذلك الجلد والصبر على التعليم والعمل والتفكير والاختراع وعلى إخراج ما بعقله من كنوز وما بذهنه من عصير يكون فيه الشفاء للناس والنفع للبشر ، والعلماء والمفكرون للناس عامة لا لأوطانهم التي ينسبون إليها . فهم حتى مشاع الإنسانية تفتتح بمجهوداتهم ، وما أوتوا من نبوغ ومارزقوا من جلد وصبر للوصول إلى ما يمكن الوصول إليه بعد البحث والتفكير .

والعلماء والمفكرون للناس عامة لا لبني ملتهم ودينهم فحسب الذي ينتسبون إليه أو ينسبون له ، فأما عالم ظهر في بلد ما ، جدد إليه الطلاب من أقصى البلدان ومن شتى الأديان للاقتناع بمواهبه وسماع ما يفيض به على الناس في درسه ، وإذا ما احتفل به لمناسبة ما ، اشترك في الاحتفال صنوف شتى من الناس لا يفرقهم دين أو مذهب ، لتكريم ذلك العالم . وإذا ما حل به رزء أو قضى أيامه في هذه الحياة ، حزن الناس لمصابه وجرع الخلق من مصابهم فيه . ولا تارانا في حاجة إلى دليل على ذلك ، فالأدلة عديدة حتى إننا نرى من فضول القول الإتيان بشيء منها . لهذا يرى الناس أن من العار على رجال التفتيش أن فعلوا ما فعلوا بالعلماء والمفكرين ، سيان كانوا من مسلمي جزيرة أيبيريا أو من غيرهم ممن اعتنقوا ديانات أخرى ، إذ كان رجال التفتيش يضطهدون العلماء ويذيقونهم مر العذاب ويحرقون كتبهم ويكسرون أدواتهم ويحطمون بقاياهم ويضيقون على المفكرين ويدخلونهم السجون ويأمرون بحرقهم أحياء ، لالسبب جنوه إلا أنهم بحثوا في الفلك والحساب والطب ، أو أنهم درسوا الفلسفة والآداب ، أو قالوا برأى لا ينطبق وما رسخ في عقول رجال التفتيش .

والغريب أن أولئك القساوسة الجاهل المتعصبين عن ضلال وقلة معرفة ودراية ، فعلوا ما فعلوا بالمسلمين واليهود والمسيحيين أنفسهم في أوروبا . ولما ذهبوا إلى أمريكا حرقوا نيفاً وأربعة آلاف كتاب دونت فيها علوم (المايا) وهم قوم من الهنود الجر كانت لهم حضارة ولا زالت آثارهم تحدث من يراها بما كان لهم من قدم ثابتة في العلم والعرفان ، مئات بل ألوف السنين في أمريكا الوسطى . ويحرق أولئك القساوسة لتلك الكتب والمجلدات قضوا على حضارة المايا في أمريكا الوسطى كما قضوا على حضارة المسلمين في غرب أوروبا ، ولم يبقوا منها إلا آثاراً تدمى من بناها ، ومخلفات تشهد بنبوغ أصحابها .

كان (جوردانو برونو) عالماً فلكياً ظهر أثناء القرن السادس عشر الميلادي ، وقد مهد السبيل لمن جاء بعده من العلماء وأرباب الأرصاد وعشاق الفلك ، قال جوردانو بدوران الأرض حول محورها وحول الشمس ، وذكر أشياء من السكواكب السيارة ، وكانت له آراء في عدم التناهي وامتداد

اللانهاية . وكانت هذه الأقوال والآراء تخالف آراء الكنيسة وتناقض أقوال رجال الكنيسة . وقساوسة التفتيش ، ولهذا قبض عليه رجال الديوان الذي كان في مدينة البندقية (فينسيا) ، وأمروا بسجنه ستمين ، ثم سلم إلى ديوان التفتيش الروماني لحكم عليه بالحرق حياً في الساحة العامة ، ونفذ ذلك الحكم الوحشي سنة ١٥٩٨ م (١٥٠٦ - ١٥٠٧ هـ) أيام البابا كليمنصوس الثامن .

وفي ذلك القرن المذكور ظهر العلامة (دولت) وكان أيام (جوردانو) ، واشتغل بالكتاب والطباعة وقد تعلم بباريس وبأدوا وفي طلوشة (تولوز بفرنسا) .

وقبض على دولت وزج به في السجن وعمره أربع وعشرون سنة ، وذلك لأنه طبع بضعة أوراق في المطبعة ومهرها باسمه ذكر بها بعض آراء فلسفية ، وقال بوجوب البحث في أسرار الكون والخلقة ، ثم أطلق سراحه بعد أن تشفع له أسقف ايكس ، ولكن الديوان تعقبه وتبعه ثم صدر أمر بمجلس النواب بنفيه سنة ١٥٣٣ م توافق سنة ٩٤٠ - ٩٤١ هـ ، فصار إلى ليون وأذن له سنة ١٥٣٥ م (٩٤٢ - ٩٤٣ هـ) بطبع كتاب أسماء (بحث في اللغة اللاتينية) . وأحاط به جماعة لقتله فدافع عن نفسه وقد أحاطوا به وهم شاهرون خناجرهم وقتل واحداً منهم وقبض عليه وزج به في السجن المظلم ، وكانت ملكة نبرة (نافارا) معجبة بعلمه وتفكيره وكانت تعلم أنه مظلوم فصعدت حتى استصدرت أمراً من الملك بالإفراج عنه سنة ١٥٣٧ م (٩٤٤ - ٩٤٥ هـ) فعاد (دولت) إلى تابع الكتب الفلسفية والعقلية ، فهاهنا ذلك رجال الكنيسة فقبض عليه سنة ١٥٤٢ م بتهمة الزندقة والإلحاد وزج به في سجن ديوان التفتيش خمسة عشر شهراً في باريس ، وما زال يقبض عليه ويطلق سراحه حتى قبض عليه أخيراً وجيء به إلى مدرسة اللاهوت بباريس ، واجتمع القساوسة وحكموا عليه بالإلحاد والكفر ، لأنه قال بوجوب اتباع فلسفة أفلاطون ، واتهم بتهمة إحداث ثورة في البلاد وخلع الملك ، ولم يغن عنه دفاعه لحكم عليه بالموت ، فشنق في السجن وجيء بجثته وأحرقت في أحد الميادين هناك ، وكتبه معه ، وصودرت ممتلكاته وكتبه ، ولاقت زوجته وولده الصغير ما لاقيا من برس وشقاء .

أما (فيانيني) فكان مفكراً وفيلسوفاً له آراء في الإلهيات والمادة ، وله أقوال ونظريات فلسفية ، وكان من جماعة الماديين ، وقد قبض عليه وحكم عليه في باريس بقطع اللسان ، ثم بالإحراق وهو على قيد الحياة ، وقد تم ذلك سنة ١٦١٩ م (سنة ١٠٢٩ هـ) .

وإليك نهاية عالم آخر : (ديميان دي كيز) المولود في النخيز بالبرتغال سنة ١٥٠١ م ، وكان يشبه لوثر في روحه وخروجه على التقاليد القديمة ، وقد عين في عدة وظائف بالحكومة البرتغالية حتى عين سفيراً لها في هولندا سنة ١٥٢٩ م (سنة ٩٣٦ - ٩٣٧ هـ) ، وكانت أمه هولندية ، ثم استدعاه ملك البرتغال وصار كاتبه الخاص .

وحدثت بينه وبين أحد الكرادلة مناقشة فلاحظ الأخير عليه أنه لا يمتد كثيراً في عصمة الكنيسة الكاثوليكية، فشكا أمره إلى الملك ففصله من خدمته وعين آخر بدلاً منه. ولم يلبث أن اتهم بالإلحاد والزندقة فزج به في سجن التفتيش، وقيل إن القمل غطى جسده وأكله حياً، ومات في سنة ١٥٧٢ م (٩٧٩-٩٨٠ هـ)، وصادر الديوان كل ماله وضمه إليه.

وجاهرت سيدة تدعى بالسيدة (هايقيا) - وكانت على درجة من العلم والتعذيب كبيرة - بأفكارها الحرة، فقبض عليها وهي في الكنيسة، وانهالوا عليها ضرباً حتى فاضت روحها وأمر القساوسة الجلاد بقطع جسدها أربعة أجزاء ففعل ذلك بنأس ١١ وقيل إنهم أطعموا القطع لكلاب المدينة.

أما (جاليليو) فله ذكر كبير عند أرباب الفلك والمشتغلين به، فقد كان عالماً كبيراً وفلكياً له أبحاثه وآراؤه في الفلك والسيارات وحر كائنها ورصدها وله تواليف في علم الفلك والهندسة. استدعى رجال التفتيش (جاليليو) سنة ١٦٠٥ م (١٠١٤-١٠١٥ هـ) وعدوا مؤلفاته الخاصة بدوران الأرض وما شاكل ذلك من أعظم الأعمال الإلحادية التي ليس بعدها من كفر، وأن آراءه لوثر نفسه لا تعدل ما يراه هو، وحسكت عليه محكمة التفتيش بالسجن مع التعذيب، فعلق الحديد بعنقه وتولى جلادون تعذيبه، ولما مثل أمام هيئة المحكمة جنى به عريان حاقى القدمين، ولكنه لم يرجع عن رأيه وربط إلى الجحش الخشبي وجلد وألبس في رجله حذاء حديدياً يحى له مسامير، وعذبوه حتى غلبه الألم فعدل عن رأيه ليرحموه فكفوا عنه العذاب ولكنه عاد وقال به مرة أخرى فأطادوا تعذيبه وسجنه، ولم يشفقوا بشيخوخته وألزموه أن يعترف عن محبة كتبه لحرقها وفرضوا عليه قراءة سبعة مزامير كل يوم كفارة عن خطاياها ١١ ورأى البابا اكلينمنصوس السابع أن يطلق سراحه لئلا يقضى وهو في سجونهم فيستخذ البروتستانت في ألمانيا وانكثرا موته ذريعة للشهير بالكنيسة، فنظراً لبعدها صيت جاليليو، وقد أجبر على أن يتعهد بعدم طبع كتبه الإلحادية فخرج وهو يخشى أن يعود إلى السجن.

وطورد الكونت (جيوفاني بيكو دللا ميراندولا) وكان أميراً إيطالياً، وكان له ولع بدراسة العلوم والفلسفة، وكان مفكراً كبيراً، وقد ذاع ذكره وهو قتي صغير لبراعته في العلوم براعة خارقة للعادة. وخشى بابا ذلك الحين منه ومن تفكيره ومن نظرياته وآرائه، وخشى أن يؤدي ذلك إلى هدم الكنيسة وإسقاط هيبتها من نفوس من اتبعوها وصدقوا كل ما قالت من غير تفكير أو بحث. وألفت لجنة لبحث آرائه في الدين والعلوم والفلسفة وما أذاعه من آثار تفكيره، فرأى القساوسة أعضاء اللجنة أن آراءه كبيرة الخطر على الكنيسة وأن بها كفر وأمر وقفاً

عن آراء الكنيسة . كان كل ذلك وهو الشاب الذي لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره ، ورد على قرار اللجنة بكتاب سنة ١٤٨٦ م ٨٩١ هـ يبرر فيه ما قاله وما فكر فيه . ورأى أن الخبر في أن يذهب إلى إسبانيا ، ونما الخبر إلى البابا لحنى أن يذيع الشاب آراءه ونظرياته في تلك البلاد ، فكتب البابا للملكي إسبانيا (فرديناند وإيزابلا) بذلك ، وأن الشاب كافر خطر ، وأمر الملكين بالقبض عليه ومحاكمته أمام محاكم التفتيش . فاستعد الملك ومنحت فرصة للديوان لشحنه بخناجره وآلات تعذيبه تأهباً للتفتيش من المفكر الفيلسوف ؛ وعلم هو بذلك فعدل عن السفر إلى إسبانيا واتصل بالملك مديشي بغير سابقة وكانوا حماة العلم والأدب في إيطاليا أيامئذ ، وعين أستاذاً للفلسفة هناك ونشر كتباً ورسائل ، وتوفي صغيراً سنة ١٤٩٤ م التي توافق سنة ٩٠٠-٩٠١ هـ . وليس من قصدنا أن نأتى على ذكر كل من وقع فريسة لرجال التفتيش من العلماء والمفكرين ولكننا قصدنا إلى ذكر أمثلة قليلة لما كانت تفعله محاكم التفتيش من ما أشم لا تمد ولا تحصى . ومما يذكر في هذا السدد أنه إذا ما وقف أحد العلماء أو أحد المفكرين الأحرار أمام محكمة التفتيش فإنه كان يجب عليه أن يخبر المحكمة عن آله وأصدقائه وعن كل انسان يظن أنه على شاكلته في الرأي ، وعن أمانه وجودهم وعن الكتب التي يطلعونها وعن مصادرهما وعن باعها لهم وعن أمانه اجتماعهم وعن محافظهم .

وبعد المحاكمة يؤخذ المسكين فتنفذ العقوبة التي كان رجال التفتيش يتفنونون في كيفيةها إما تفنن بمن ملء البطن بالماء ونحس المعضب بالدبابيس وحرق القدمين وتفتيت الأعضاء وتسكيرها وتعزيق الأعضاء والدفن على قيد الحياة وما عرف بجزاء العنيدات وحرق الجسم كله في ميدان فسيح أمام الجماهير وغير ذلك مما قد نعود إلى البسط في ذكره في فرصة أخرى . وقد ظل ذلك الديوان قائماً في إسبانيا وبلاد البرتغال وغيرها زمناً أربعاً مائة سنة دون انقطاع ، وقد خضعت شوكتها في أوائل القرن التاسع عشر عقب الثورة الفرنسية والأمريكية .

ولأنجب أن نلمس ذكر ما أحرقه جماعات الوحوش المتبررين من مئات المجلدات وآلاف الكتب التي أنتجتها عقول العلماء والمفكرين في جزيرة أيبيريا وغيرها ، وما رموا به إلى البحر والنهر فذهبت تلك المؤلفات الثمينة طعمة للنيران وللهياه ، ولم ينتفعوا هم بها ولم يتركوا غيرهم بها ينتفع . ولو أن تلك المؤلفات أو بعضها وصل إلينا لوصلنا علم وفضل غزير ، ولكنها هي العقول الطائشة والأدمغة الفارغة من التقدير الصحيح للعلم والأدب ، تقضى في سويعات على ما قضى فيه العلماء القرون ومئات السنين في التأليف والتحرير لفائدة الإنسانية وخير البشر .

على مظهر

في التاريخ القديم:

كيف أصبحت روما سيدة إيطاليا؟

بقلم المؤرخ الانكليزي ماندل كريجرتون

لم يكن باستطاعة روما طوال فترة الصراع بين الدخلاء والوطنيين ، أن تصبح أمة ماجدة الذكر رفيعة القدر ، ولو أنها ذهبت بعيداً في جعل نفسها مهوبة الجانب حامية الشوكية داخل حدود البلاد الإيطالية . وكما قدمنا في العدد الماضي ، كانت بسالة الدخلاء في محاربة أعداء روما سبباً من الأسباب التي جعلت الوطنيين يرضخون لمطالبهم في النهاية .

وجدير بنا - لكي نستطيع أن نستوعب جيداً حروب روما - أن نستوعب أولاً طبيعة الأقوام التي كانت تحوطها من جميع الجهات ؛ وأحسب أنك ما تزال تذكر أن في أسفل نهر الألب كانت سمجد بلاد الغالة ، وعلى امتداد الشاطئ الغربي (شمال روما) كانت توجد (بلاد الطسمان) ، وعلى الشاطئ الشرقي (جنوبي روما) كان عديد من المدن الزاهرة ، أسسها واستقر بها بعض المهاجرين من (الإغريق) ، وعلى امتداد ساحل جزيرة (سيشل) كانت توجد مدن إغريقية كبيرة ومثرية ، أما باقي إيطاليا فكان مقام قبائل لاتينية قحاة ساذجة - منها قبيلة اللاتين التي كانت تحيط بروما - تختلف اختلافاً كبيراً عن بعضها البعض في العادات والأخلاق ؛ وكانت هناك أيضاً بعض قبائل شغوفة بالحروب تسكن وديان (الابينين) ، فكانت القبائل اللاتينية تخاف بأسها وتخشى سطوتها كثيراً .

حروب الرومان الأولى:

نحن الآن في عام ٩٤م ، وقد عقد المستشار (سيريو وس كاسيوس) بين روما واللاتين تحالفاً انضمت إليه بسرعة قبيلة (الهرنيين) ، وبدأ الحلفاء الثلاثة يساحون أنفسهم ضد أعدائهم ، وكانت روما غير موفورة القوة باديء الأمر ، فقد انشغلت حتى سنة ٥٠٥م بمقابلة قبيلتي (الآك) و (المولسكا) اللتين كانتا تقطنان بجوارها . ونحن لا نعرف عن هذه الحروب إلا الترتيل اليسير ، الذي لا يمدو حكايته عن هذه الحروب إلا بأش من ذكرها .

حكاية كايوس ماركوس كاريولينوس :

تريك حكاية هذا الرجل كيف أن الصراع الداخلي قد أضعف روما كثيراً، وتريك أيضاً كيف تعلم الرومان إطاعة الآباء ، فقد كان (كايوس) هذا جندياً كبيراً من الوطنيين الذين قرأوا الجيش الروماني أثناء محاصرته مدينة من إقليم التولسكا اسمها (كوريولاني) ، فلما خرج أشل (فولسكا) لمقاتلة الرومان كان القتال في صف العدو فقهره ، فأغرت الهزيمة (كايوس ماركوس) على أن يتبعهم بمفرده إلى كوريولاني ذاتها ، فلم يشعر إلا وقد خلقت عليه أبواب المدينة وشوحيده بين الأعداء ، وكان المنتظر أن يسقط في يده فيستسلم للقضاء ، ولكنه كان شجاعاً إلى حد أنه دفع التولسكيين كلهم من لدن الأبواب وفتحها بيديه على مصراعها للجيش الروماني الذي كان قد أدركه ، وعلى ذلك سقطت (كوريولاني) في أيدي الرومان ، وأعطى لقب (رجل كاريولينوس) مكافأة له على شجاعته الفائقة وإقدامه النادر .

عود إلى الوطنيين والدخلاء :

حدثت بعد ذلك في روما مجاعة كبيرة وسادها فحط شديد ، فلما جاءتها نجدة الجيوب من (سيشل) أراد مجلس النواب أن يبيعها (الدخلاء) الفقراء بثمن يطيقونه ؛ ولكن (كايوس ماركوس) بطل القصة السابقة قال : « دعوهم بلا جوب حتى يخضعوا لكلام الوطنيين » ، فلما سمع الدخلاء ذلك ثاروا وغضبوا وقدموه للمحاكمة أمام (الوكيلير) ، وأدرك (كايوس) أن إدانته ستثبت لاشاعة ، فهرب لاجئاً إلى ملك (فولسكا) وعرض عليه أن يضرط في خدمته ضد الرومان ، فأعطاه ملك فولسكا جيشاً كبيراً أساربه قاصداً (روما) ، ووصل ذلك إلى علم الرومان فتوجسوا خيفة وأرسلوا إليه في طلب الصلح : أرساوا إليه بادي الأمر كبار رجال مجلس النواب ، ولكنه رفض أن يصغي إليهم ، ثم أرساوا إليه القساوسة ومعهم صور مختلف الآلهة ، فلم يصغ إليهم أيضاً ، وهنا أسقط في أيدي الرومان ، ويأسوا من الوصول إلى سبيل للنجاة من هذا المأزق ، وأخيراً قال واحد منهم : « ربما جاز أن يقبل ضراعة أمه وزوجه » ، وصادف هذا الرأي قبولاً ، فذهبت إليه أمه وزوجه وأطفاله وعديد من كبيرات العقائل في ثياب الحداد ، فلما رأى أمه أسرع لمقابلتها ، ولكنها قالت له : « لا تقبلني حتى أعرف ما إذا كنت عدواً أم ابناً » ، فارتبك ولم يجر جواباً ، وأزاء ذلك خرجت أمه وزوجه وأطفاله على ركبهن وصرن يتوسلن إليه أن ينفذ روما ، فيكي وقال لأمه : « أي .. إن هذا انتصر كبير لك ولروما ، ولكنه خراب كبير وطارعريض لولدك » ، ثم تركها وبدأ يعود بجيشه من حيث جاء ، وبذا نجت روما ، ولم يلبث إلا قليلاً بعد ذلك حتى توفي بين (التولسكيين) .

حكاية (لوسيو كوينكتيوس سينسينيتوس):

وهي حكاية أخرى كان يتناقلها الرومان عن حرب لهم مع (الأكوين)، ومنها نستطيع أن نرى كم كانت عاداتهم بسيطة، وكيف أن جميع المواطنين كانوا يخدمون الولاية تاركين أشغالهم الخاصة إذا اقتضى الأمر: كان المستشار (ميفوسيو) يحارب (الأكوين) حتى سدوا عليه المسالك على شفا جرف واد ضيق رأسى الانحدار، وقتلوا على (فه) حتى لا يتمكن الخروج منه، وجاءت الأخبار إلى روما بهذا، فقال أحد أعضاء المجلس أخيراً: «ليس هناك إلا رجل واحد هو الذى يستطيع إنقاذ الموقف، هو (لوسيو كوينكتيوس)، فلنجمعه ديكتاتوراً حتى تضع الحرب أوزارها. فكانت موافقة من الجميع، فأرسلوا إليه رسلاً وجدوه يحرق عباءته مزرعته التى يعيش عليها، فلما أن رأهم نادى على زوجته لتحضر له عباءته، حتى يظهر احترامه للرسل. فلما أخبروه بأن المجلس انتخبه ديكتاتوراً ترك الخراث في الحال وجاء معهم إلى روما حيث أمر كل من يستطيع حمل السلاح أن يستعد وينتظم في سلك الجيش، على أن يحضر معه ما يكفيه من المئونة واثنتى عشرة عصاً، وإذ تم له ذلك سار بجيشه حتى شارب الأكوين ليلاً، وأمر جنده فأصدروا صيحة عالية أفرحت المستشار ورجاله، إذ علموا أن النجدة قد جاءت، ثم حاصر الأكوين وأمر رجاله أن يحفروا خندقاً حولهم، وأن يجعلوا من عصبيهم التى جاءوا بها كومة عالية على حد الخندق، وقمل الرومان كل ذلك ليلاً، فلما أصبح الأكويون وجدوا أنهم أصبحوا محاصرين بعد إذ كانوا حاصرين، فأسقط في أيديهم وسلحوا الديكتاتور، ونجا المستشار وجنده، وواد لوسيو إلى روما منتصراً، ولكنه ترك ديكتاتوريته في الحال وواد إلى مزرعته.

وكثيرون هم أمثال (لوسيو كوينكتيوس) ممن كانوا يتركون مزارعهم ليصبحوا ديكتاتورين إذا دعت إليهم حاجة الولاية، فإذا قضيت الحاجة عادوا إلى مزارعهم ومحاربتهم. وهو هذا الصنف الذى أكسب روما الممارك، وهو الذى خلق لروما عظمتها.

روما والاطسقانيون:

تعبت روما من تلك الحروب مع (التولسكا) و (الآك)، ولكنها لم تكن في الحق حروباً كبيرة، وكان ما يزال عليها رغم تعبها أن تراقب أعداءها الأقدمين من الطسقانيين، ولعلك ما تزال تذكر أن مدينة روما إنما أنشئت لتستطيع تحسب أن تمنع اعتداء الطسقان على اللاتين، الذين كانوا أقواماً عظيمة، عاشت في المدن وبنت المباني الكبيرة وصنعت كثيراً من الأشياء الجميلة وتاجرت كثيراً وبنجاح، وكانت لهم سفن تجارية وحرية، وكانوا في الأيام الأولى هم والقرطاجانيون

سادة البحر الأبيض المتوسط ؛ إلا أن الأارقة من سيشل وإيطاليا ، رغبوا في أن يتاجروا أيضاً بهذه المياه، خاربوا الطسقانيين والقرطاجانيين، وهزموا الطسقانيين في معركة بحرية كبيرة عام ٤٧٤ ق. م . وفي نفس الوقت هاجم الغاليون الطسقان من الشمال ، فارتبك الطسقان وبدأت قوتهم تنقلب ضعفاً، فلما رأى الرومان منهم ذلك هاجمهم من الجنوب وبدءوا حاصروهم . ٤٥٠ ق.م حصار أقرب مدينة طسقانية إليهم وهي مدينة (في) ، واستمر الحصار عشر سنوات وأخيراً سقطت في يد القائد الروماني الكبير (ماركوس فيوريوس كامبيليوس) مع عدة مدن طسقانية ضمت إلى روما حتى وصلت الحدود الرومانية سهول (الكامينيا) . وقد عرف عن هذا القائد أنه كان رجلاً شريفاً في القتال ، فقد حدث مرة وهو محاصر (فاليردي) أن جاء إلى معسكره مدرس في المدينة ومعه صببية هم أبناء أكبر مواطني تلك المدينة ؛ جاء له هؤلاء الصبية على أنهم إذا صاروا في قبضة يده فإن أهلهم يرغمون على التسليم له ، ولكن كامبيليوس قضب غضبة شديدة من هذا المدرس الخائن الدنيء ، وشد يديه إلى ظهره ثم أسلمه للصبية وأمرهم أن يعودوا إلى المدينة ويقصوا على أهلهم قصة هذا المدرس اللعين ؛ فلما عرف آباؤهم هذا ، ظنوا في الرومان أحسن الظن، وهان عليهم أن يسلموا لقائدهم باختيارهم ومن تلقاء أنفسهم .

الغاليون يهزمون الرومان

ولكن ما أسرع ما لحقت بالرومان هزيمة منكرة ؛ ذلك أن (الغاليين) كانوا هم الآخرين يهاجمون (الطسقانيين) من الشمال، بينما كان الرومان يهاجمونها من الجنوب، فلما رأى الرومان ذلك حاولوا أن يساءوا عليهم الطسقانيين، وشعر الغاليون بذلك فساروا إلى الرومان وهزموهم هزيمة بالغة على نهر (الاليا) سنة ٥٠٩ ق.م، وتقدموا إلى روما ذاتها .

الغاليون يأخذون روما :

فقد الرومان في المعركة كثيراً من رجالهم حتى إنه لم يبق لديهم أي أمل في حماية روما ذاتها فلما رأى الرومان من الأهالي ذلك هربوا كلهم إلا زركيسراً من أشجع الجنود ، أغلقوا الكابتول عليهم - وكان الكابتول هذا أحصن قلعة بروما - طازمين على ألا يسقط الكابتول ما بقي فيهم نفس يتردد؛ وبقي فيه أيضاً قليل من الوطنيين الكهول الذين صمموا على ألا يغادروا في كبرهم مدينة عاشوا فيها طوال حياتهم، فألبسوا أنفسهم أحسن ما عندهم من ثياب وجلسوا صموتاً على المقاعد في مجلس النواب فلما اندفع الغاليون إلى المدينة ولم يجدوا بها أحداً إلا هؤلاء الأشياخ الذين جلسوا صموتاً، دهشوا لذلك وحاروا، من يحاربون؟ وماذا يفعلون؟ والمدينة خالية إلا من هؤلاء الأشياخ؛ وأخيراً بدأ أحد هؤلاء الغاليين يعيث بشعرات ذقن قسيس يدعى (ماركس بايرس) فغضب القسيس لهذا الاعتداء وضرب العايب بصولجانه العاجي الذي كان ممسكاً به في يده ، وكان هذا

كافياً لأن يندفع الغاليون على الأشياخ فيقتلوه ويشتعلوا النار في المدينة . وحاول الغاليون بعد ذلك أن يأخذوا الكابتول ، ولكنهم لم يصلوا إلى أية طريق يصعدون منها له . لأن الصخرة التي أقيم عليها كانت رأسية الانحدار ؛ وكشفوا لها أخيراً عن طريق ، وفي ذات ليلة تسالت عصابة منهم تصعد بها في منتهى الصمت لئلا يشعر بهم أحد من الرومان . وكان في الكابتول بعض الأوزات ، منذرة إلى الإله (جوتو) ، فلما كاد الصاعدون يصلون إلى القمة ، بدأت الأوزات (تصبح) فاستيقظ روماني شجاع هو (ماركوس مانليوس) في الوقت الذي كان فيه طبيعة الغال على وشك الانتهاء من تسلق الصخرة ، فلما رآه دفعه إلى أسفل بدرعه فسقط إلى الأرض فوق كثير من الذين كانوا ينتظرونه ، ثم استيقظ الرومان كلهم على الضجة المصادفة ، وكان لهم من الوقت ما أعانهم على طرد الغالين كلهم ، وبذا أُنقذ الكابتول ؛ فلما رأى الغاليون أن سقوط الكابتول مستحيل عادوا إلى بلادهم ، مكتملين بما حملوا معهم من الغنائم والأسلاب .

آثار حرق روما:

وعو غزو روما وحرقها هذا ، الذي جعلنا لا نعرف عنها من الأخبار الصحيحة في تاريخها القديم إلا الترتير اليسير ؛ فقد كان القسس في تلك الأيام يكتبون مذكرات بكل ما يحدث عاماً بعد عام ويحتفظون بها في المعابد والهيكل ، وقد أحرق الغاليون المعابد فلا بد أن تكون كل هذه المذكرات أحترقت معها ، وكذلك السجلات الرسمية . ونحن في الحق لا نستطيع أن نجزم قطعاً بأي خبر قبل هذا التاريخ ، ولكننا نستطيع الفصل في صحة الأخبار بعد ذلك ، لأن الأشياء بدأت مصادرهما تتأكد وتعمد ، كما بدأنا نعرف كثيراً من الأشياء التي كان يسلمها الرومان معرفة حقيقية لا شك فيها .

ماركوس مانليوس والوطنيون

وعاد الرومان بعد جلاء الغال ليجسدوا مدينتهم خربة ، فيتحدثوا بإذى الأمر في تركها والذهاب للإقامة في مدينة (في) ، ولكن (كامليوس) يفرهم على أن يبقوا بها ويبنوا مدينة جديدة بدلاً منها . وكان هذا عبئاً ثقيلاً أتى على طائفة الدخلاء الفقراء ، وواجباً خانوا من جرائه شقاء كثيراً ، واستمدانة فاحشة ، حتى لقد حدث ذات يوم أن اتفقد إلى السجن جندي شجاع لم يجزه عن دفع دينه ؛ وسمع بذلك ماركوس مانليوس الوطني الذي أُنقذ الكابتول خزون لذلك ولم يسعه إلا أن يدفع الدين نيابة عنه وبذلك أُنقذه ؛ وآلى مانليوس على نفسه أيضاً ألا يترك دخيلاً يلقي إلى غيابة السجن في نظير دينه مادام فيه نفس يتردد وما دام عنده ولو انقليل من المال ، فأحبه الدخلاء من أجل عاطفته النبيلة هذه ، وتخوف منه الوطنيون كثيراً ، فاتهموه

بأنه يحاول أن يعيد الملكية وحكموا عليه بالإعدام سنة ٣٨٣ ق م ، ومن هنا تعلم الدخلاء أن ينظروا إلى وجود القوانين التي تحميهم ، لا إلى وجود الرجال الذين يحمونهم .

نتائج مجيئ الغال :

ولم يكن غزو الغال لروما بلاه حقيقياً كبيراً ؛ حقاً لقد دعائوا منه كثيراً ، ولكن ليس بالقدر الذي خافه (الآكويون) أعدائهم الأقدمون ، والذين - منذ غزو الغال لهم - لم يعاكسوا الرومان مرة أخرى ، فضلاً عن أن الرومان قد تعلموا كذلك أن يحسنوا جيوشهم ، وأن يكونوا أكثر حذراً في المعارك ، وكان من عادة الغاليين أن يخرجوا من بلادهم على امتداد نهر (البو) عاماً بعد عام ، ليستندوا على البلاد التي يمرون بها ويعيشوا فيها مفسدين وغافلين أسلاباً . ولكن الرومان تعلموا من هزيمتهم الأولى ، فما عادوا يخرجون لمقابلتهم في سرعة وطيش واندفاع ، بل كانوا يرجعونهم قليلاً قليلاً حتى خاف الغاليون أن تنتهي بهم القهقري إلى داخل بلادهم ، وبعد عام (٣٥٠ ق م) لا نسمع بنزواتهم لروما ، وصارت القبائل تنظر (إلى روما) بعد إذ ازدادت قوتها وقويت شوكتها بحروبها معهم ، على أنها حاميتهم .

بداية الحروب السمنية :

سحق الغاليون - إلى جانب الآكويين - كثيراً من القبائل الإغريقية التي كانت تسكن المدن الواقعة جنوب روما في الإقليم المسمى إقليم (كامبانيا) ، وكانت هذه المدن غاية في الضعف ، وفي نفس الوقت غاية في الثراء ، حتى إنه عندما جلا عنها الغاليون ، هاجمها قبيلة لاتينية تسمى (قبيلة السمنية) ، كانت تعيش في جبال الإيبين وسط إيطاليا ، وأُثلفت تلقاً هائلا بمدينة (كايوا) ، فأرسلت الأخيرة إلى روما في طلب النجدة سنة ٣٤٣ ق م ، وأنجدها روما فبدأت الحروب السمنية التي دامت أكثر من خمسين عاماً ، أي إلى عام ٢٢٠ ق م ، وهي نتيجةها التي كانت ستقرر ما إذا كان سيقدر لروما أن تحكم إيطاليا كلها أم لا .

كان (السمنيون) أضخم أعداء روما وأشجعهم ، وما لبثت الحرب السمنية الأولى أن انتهت دون أن يكون لها نتائج خطيرة ، وكان كل من الطرفين راغباً في عهد تحالف ، وخاصة روما التي كانت في ذلك الوقت قد بدأت تخاف عداوة أحلافها (اللاتين) .

حرب اللاتين :

والآن بعد إذ رحل الغاليون عن اللاتين ، لم يرد اللاتين أن يظلوا تابعين للرومان

فأرسلوا إلى الرومان سنة ٣٤٠ ق م يطلبون منهم مساواتهم بهم، ولم يعترضوا على بقاء روما عاصمة الحلف، إلا أن مجلس النواب يجب أن يضاعف عدده ويجب أن يكون هناك مستشاران من اللاتين كما يوجد مستشاران من الرومان. ولكن لم يوافق الرومان على هذه المطالب، فنشأت حرب اللاتين الكبيرة لتقرر أي المتحاربين هو الذي سيحكم الآخر؛ ودامت هذه الحروب ثلاث سنوات (٣٤٠ - ٣٣٨) وكانت شديدة جداً وقاسية للغاية. وكانت كبرى معارك الحرب عند سفح جبل (مونت فيزيوس) وكان النصر فيها مشكوكاً فيه لمدة طويلة، ولكن المستشار الروماني (ديسيس مس) ألهم أن الجانب الذي سيفوز هو الذي يقدم قائده نفسه للموت، ومن ثم فقد غلب رأسه بعباءته واندفع بين صفوف الأعداء فقتل، وفملاً بدأ الرومان ينتصرون قليلاً قليلاً.

قسوة مانليوس :

وربما كان في مكتبتك أن تقدر كم كان الرومان قساة أصلاً، إذا سمعت تلك الحكاية التي حكيت عن المستشار الآخر تيسبيوس مانليوس، فقد أصدر أمراً بأنه لا يجوز لأي إنسان أن يتحارب فردياً مع أي عدو له، فحدث ذات يوم أن ابنه شخصياً تحداه أحد الأعداء فتمازك معه وقتله، وأتى بجثته معه، فلما سمع بذلك والده أمر به أن يشق لعصيانه ووقف بنفسه يرقب تنفيذ الحكم، ومع أن هذا الحكم قد أربع الناس كلهم فإنهم اعتقدوا أن مانليوس كان عادلاً إلى الحد الأقصى.

كيف حكمت روما اللاتين ؟

وإذن فقد غزت روما اللاتين وأخذت كل مدائنهم. وقد عرفت كيف تخضعهم، فأعطتهم امتيازات مختلفة، وعلمتهم كيف ينظرون إلى روما، وإليها قطع، وكيف يعنون بها أكثر مما يعنى أحدهم بالآخر. كما أنها في نفس الوقت لم تنظر إليهم كأجانب عنها فقد كانوا حلفاءها، بل لقد تمازكوا حلفاء جنباً إلى جنب واستعملوا نفس الأسلحة، وكانوا في السلم إخواناً، فلما تمردوا أخضعتهم ولم تعاملهم بخشونة، وإنما عملت فقط على ألا ية وموا في وجهها مرة أخرى، وحسنت تجارتهم على حساب ذلك، فلم تسمح للمدينة بالتجارة المباشرة مع أخرى، وإنما جعلتها كلها تتاجر مع روما، ومن هنا أصبحت روما عاصمتهم التجارية إلى جانب كونها العاصمة السياسية والحربية. ومنهم كثير أن يصيروا مواطنين رومانيين، إذا أبقوا على ولائهم لها، فبدوا يلبسون أنهم غزوا، وصاروا يفتخرون بأن روما تحكهم.

وهكذا تعلمت روما كيف تربط بها البلاد التي تغزوها، حتى إنها قلما فكرت في الوقوف

في وجهها، ويجب أن نذكر أن روما كانت بعد ذلك في غزوها الخارجى تفعل نفس ما فعلت مع اللاتين، وبذا جعلت إيلاتها كلها تطلع في أن يكون أهلها مواطنين رومان، فيكون ذلك لهم خير جزاء على إخلاصهم لها.

الحرب السمنية الثانية :

ولقد كان من حظ روما أن صفت حسابها مع اللاتين وجعلتهم حلفاءها اختياراً، فقد بدأت عام ٣٢٧ ق م الحرب السمنية الثانية التي دامت إلى عام ٣٠٠ ق م، أي مدة خمس وعشرين سنة، وقا تل فيها كل من الفريقين بشدة، لأنهما كانا يعلمان أن المنتصر منهما هو الذي سيحكم إيطاليا، وكان للسمنيين قائد شجاع اسمه (كابوس بونتيسوس) استطاع مرة أن يهزم الجيش الرومانى بحيلة غريبة، فقد جعل جيشه يتظاهر بأنه هرب فقبعة الجيش الرومانى من أقصر طريق ليجد أنه قد حوصر وأغلق عليه الوادى وحاطه السمنيون من جميع الجهات وهو ليس بمستطيع مخرجاً فلم يسمعهم إلا أن يعترفوا بالهزيمة للسمنيين الذين عقدوا معهم صلحاً وأطلقوا سراحهم؛ ولكن هذا الصلح لم يقره البرلمان فى روما، وكان اعتراضه أن الصلح القانونى هو الذى يصدر عن مجلس النواب فقط، وأرسلت الولاية المستشارين اللذين عقدا الصلح كأسيدين إلى (بونتيسوس) فرد بونتيسوس بقوله إنه كان فى استطاعته أن يسحق الجيش الرومانى بأسره لو أراد، ومن هنا كان يرغم المجلس على عقد الصلح، فإذا كان المجلس لا يرضى بالصلح فليرسل الجيش ثانية إلى عمر (كوديوم) بسلاحه كما كان، وتستمر الحرب، ولكن الرومان أبوا ذلك قائلين إنهم أرسلوا إليه القائدين اللذين ارتكبا الخطأ، وإن هذا هو كل ما يستطيعون عمله؛ فأعاد بونتيسوس القائدين واستمرت الحرب من جديد؛ ولم يكن رأى المجلس صائباً هذه المرة، ولكنهم كانوا قوماً يعتقدون أن الواجب يقتضيهم أن ينفذوا القانون بحروفه.

فلما استمرت الحرب تخوف الطسقانيون من قوة روما، وحملوا على شلها فساعدوا السمنيين، ولكنهم هزموا أيضاً، وأخيراً فى عام ٣٠٤ ق م اضطر السمنيون إلى إلقاء السلاح وعقد الصلح.

الحرب السمنية الثالثة :

ولكن هذا الصلح لم يستمر طويلاً، فقد بدأت الحرب السمنية الثالثة عام ٣٠٠ ق م. وفيها نرى كل الأقوام من إيطاليا التي كانت حتى ذلك الوقت يقاتل بعضها بعضاً، قد اتحدت ضد روما التي أصبحت قوتها تخيف الجميع فرادى ومجتمعين، فكانت هذه الحرب صراعاً يائساً من السمنيين والطسقانيين والغاليين، للحد من سلطان روما وغتوها. وكانت كبرى المعارك سنة ٢٩٥ فى مدينة (سلتينيتم)، وفيها انتصر الرومان عليهم جميعاً. وبعد ذلك بعامين أسر الرومان قائد

السمنيين الشجاع (كاوس بونتيوس) ولم يعاملوه بأية شفقة بل قتلوه ؛ ولقد أظهر الرومان أنفسهم دائماً بظهر القامى ضد من ينور في وجههم ، وكانت فعلاً هذه القسوة سبباً آخر من الأسباب التي جعلت الأمم التي تغزوها روما لا تنور ضدها غالباً .

الحرب مع المدن الاغريقية :

والآن وقد قررت الحرب السمنية الثالثة أن روما هي سيده إيطاليا الجنوبية بعد إذ أخضعت السمنيين والطسقانيين وقهرت الغاليين ، لم يبق أمامها إلا المدن الاغريقية المتسود روما كلها . كانت هذه المدائن في زمن ما قوية جداً وكانت مازال غنية جداً ، كانت غنية إلى حد أنها لم تكن تعنى بالحرب والدفاع عن نفسها ، بل تؤجر غير ها على القيام بذلك نيابة عنها ، وكانت من أهم هذه المدن مدينة (تارتم) على خليج تارتم الكبير في جنوب إيطاليا ، وكان الرومان يساعدون بعض المدن التي تجاور تارتم ضد أعدائها ، وكان أهل تارتم يحسدون روما على قوتها ، فلما عرفت روما ذلك أرادت أن تؤدبهم ؛ ففي ذات ليلة بينما كان القوم كلهم جالسين في (المرح) على شاطئ البحر في الهواء الطلق حيث المقاعد تشرف على الماء ، ليشاهدوا إحدى الروايات التمثيلية التي كان الاغريق بها جدمفرمين ، إذ رأوا فجأة عشر سفن رومانية لصق الميناء ، فاندفعوا في عنف وهياج إلى السفن الرومانية وهاجموها وحطموها ؛ وابتدأت الحرب عام ٢٨٢ ق.م .

الحرب مع فيرهمس :

ولكن التارتميين كانوا يخافون الحرب بأنفسهم ؛ ولم يكن في إيطاليا كلها من القبائل الأخرى من تصاح لان تصف أمام دوما ؛ فلم يجدوا بداً من أن يتجهوا إلى بلاد الاغريق ويطلبوا مساعدة (فيرهمس) ملك (ايرس) التي كانت على الشاطئ الغربي من إغريقيا ، وهي أقرب جزء إلى إيطاليا . و (فيرهمس) إذا تيح له الفرصة لتحقيق أمنيته ، فقد كان على صغر سنه يطمع في أن يكون غازياً كبيراً . وكان حقاً قائداً جيداً فأحضر معه جيشاً من الجنود المدربين ، وقصد إلى إيطاليا . وكان شيئاً خطيراً بالنسبة للرومان أن يتقوا أو يتقاتلوا مع أناس يعيشون خارج إيطاليا ، لأنهم كانوا مضطرين إلى الحرب بطريقة دفعهم الخاصة التي لم يجربوها إلا مع أهل إيطاليا .

نزل فيرهمس إلى الأرض الايطالية عام ٢٨٠ ق.م في جيش كبير ، فتصدى له الرومان ، فهزموا عند (هيراكلس) على نهر سيريس الصغير ؛ لأن قسم الراكبين في جيشهم لم يكن جيداً مثل (سوارى الاغريق) ، وفزعت خيلهم كثيراً عند مارات قبلة جاءها الاغريق معهم ؛ ولكن على الرغم من أن فيرهمس كسب المعركة فإنه خسر كثيراً من جنوده حتى لقد قال : قليل من مثل هذه الانتصارات ثم أهزم !! وذهب بعد ذلك إلى روما وحاول أن يسعى في الصلح بشروط جيدة ، له

ولتأثرهم، فأرسل إليهم رجلاً لبقاً جداً اسمه (سينيز) كان دائماً يغير من وجهة نظر المجلس الاغريقي، وكان له عليه تأثير كبير، ولكن نبيلاً رومانياً - كان مستشاراً ومراقباً وتقاعداً وقد تقدمت به السن - أمر بنفسه أن ينقل إلى مجلس النواب الروماني، حيث توسل إلى المجلس ألا يسمح بصلح ما دام فيرهس لا يزال موجوداً في إيطاليا. وأخذ المجلس برأيه وطاد (سينيز) بهذا الرأي إلى فيرهس، فلما سمعه قال: «من العبث المقاتلة مع روما لأن مجلس نوابها هو مجلس ملوك لا مجلس نواب!!»، وفي العام التالي هزم فيرهس الرومان مرة أخرى، ولكنهم لم يسدوا له، فيئس فيرهس وجلاء عن إيطاليا إلى سيشل وقاتل هناك عامين، ثم عاد إلى إيطاليا، وكان جيشه أضعف بكثير مما كان عليه، وكان الرومان قد لاحظوا ضعف «راكبيهم» فدرّبوهم وسلّحوهم جيداً، كما عودوا أنفسهم على المقاتلة ضد الفيلة، حتى صاروا يستطيعون الوقوف في وجه فيرهس وقفة الند، وفي سنة ٢٧٥ ق م نشبت بين الجيشين معركة غلب الرومان فيها فيرهس، فرجع إلى ايرس وقد فقد جنوده تقريباً، وانتهت بذلك آماله في الفتح والغزو بعد هذا الاندحار الشنيع، وبعد ذلك بثلاث سنوات قتل في إغريقيا بحجر ألقتة امرأة على رأسه حينما كان يحاصر أرجوس.

حكم روما لايطاليا :

بعد جلاء فيرهس لم تجد روما أية صعوبة في أخذ كل جنوب إيطاليا. والآن فهاهي ذي روما تحكم كل الأراضي الواقعة جنوب خط يرسم من النهر الصغير (ماكرا) الواقع على الساحل الغربي إلى (الرايكون) على الساحل الشرقي، وفوق هذا الخط كانت بلاد الغال، وكانت روما ذاتها مدينة، حكمت نفسها وحكمت كل المدن الإيطالية، لأن إيطاليا كانت مقسمة إلى أقاليم يتبع كل إقليم منها مدينة، وصارت الحال في إيطاليا هكذا: كان المواطنون الرومان يحكمون كل الباقيين، وصار كل من غير المواطنين يحب أن يكون مواطناً رومانياً، وبعد الرومانيين يحى (اللاتين) الذين كان لهم بعض حقوق المواطنين الرومان، وكانوا يأملون في الحصول على بقية امتيازات الرومان بمرور الزمن، وبعد اللاتين يحى الإيطاليون الذين كانوا يحكمون مدنهم التي يعيشون فيها، ولكن كان عليهم أن يطيعوا روما وأن يخدموا الجيش الروماني عندما كان يحتاج إليهم. وكانت هناك طريقتان بواسطتهما احتفظت روما بسلطتها على إيطاليا، ويجب أن نذكر دائماً هاتين الطريقتين فقد كانتا دائماً الوسيلتين اللتين استعملتهما بعد ذلك في كل مستعمراتها. وهما

١ - إنشاء المستعمرات الرومانية .

٢ - إنشاء الطرق .

المستعمرات الرومانية

المستعمرات كما نعرف هي أراض من بلد يستوطنها أناس من بلد آخر، ليعيشوا فيها باستمرار كأنها جزء من وطنهم. فكان الرومان يأخذون جزءاً من الأراضي التي يفزونها ويرسلون إليها مواطنين رومانيين ليعيشوا فيها ويكونوا هناك ولاية رومانية لأنفسهم. ومن هنا فإن عدداً من (رويمات) صغيرة قد انتثر في أنحاء إيطاليا، وكانت روما تستطيع على الدوام أن تعتمد على مواطنيها في المستعمرات، لأن الروماني الوطني لم يكن ينسى روما مطلقاً، وكانت هذه المستعمرات حاميات تحفظ السلم بين الإيطاليين، ولكنها أحسن من الحاميات العسكرية لأنها كانت حاميات من رجال سلبين يشتغلون يومهم في مزارعهم ويعلمون الآخرين أن يحذوا حذوهم، ومن هنا أحب الإيطاليون الرومانيين وحاولوا أن يكونوا مثلهم، وكانوا راضين بأن تحكمهم روما.

الطرق الرومانية:

كان الرومان صناع طرق ماهرين، إذ كانوا ينشئون بها بالجودة والمتانة التي تنشأ بها الطرق في الوقت الحالى وبنفس الطريقة أيضاً، وكانت هذه الطرق تنفرع من روما إلى سائر أنحاء إيطاليا، ومن هنا كان في استطاعة روما أن ترسل الجند إلى أى مكان يحتاج إليهم، ويمكنها بسهولة أن تتلقى الأخبار عن مستعمراتها، فكانت هذه الطرق وسيلة جميلة لحفظ النظام، وقد يستطيع القارئ أن يتصور إيطاليا في ذلك الوقت، ويذكر أن هذه الطرق كانت منتشرة، ليعرف أنها كانت عبارة عن سلاسل تقيد المدن بروما.

أخلاق الرومان القدماء:

هكذا كانت روما تحكم إيطاليا. وكانت أيام حربها مع السمنيين وفيهرس مأزق أيامها، لأنه كان ما يزال على الرومان أن يشتغلوا بجند لينتصروا، وكانوا أمناء وشجعان ونبلاء، وهناك كثير من القصص التي تحكى لنا كيف كان الرومان القدماء يحبون، فلم يكن قوادهم وسياسيوهم أعظم ولا أغنى من بحرى حياتهم من الناس الآخرين، واعتادوا حيناً كانت ترسل الهدايا إليهم أن يرفضوها. حدث مرة أن أرسل السمنيون إلى القائد الروماني (مانليوس سيريوس) هدية من الذهب، فلما حضر الرسل وجدوه في مزرعته يطبخ لنفسه طعام غداً الذي لم يكن يزيد على لفطة تشوى في النار؛ ولم يكن لديه إلا طبق من الخشب يأكلها فيه، فلما قدموا له الهدية الذهبية رفض (سيريوس) أن يأخذها قائلاً: «ليس الشرف في حيازة الذهب إنما هو في سيادة من يحوزونه».

ولكن ما أسرع ما يأتي الزمن الذي يثرى فيه الرومان من الحروب الخارجية، وما أسرع ما تنتهى تلك الحياة الساذجة البسيطة التي كانوا يحuibونها مما ستراه في الجزء القادم.

اسماعيل باشا صبرى

شيخ شعراء العصر

١٨٥٤ - ١٩٢٣ م

بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاته

تذكر أيها القارئ، أنى وقعت فى كلتى (١) السابقة عن شيخ شعراء العصر، اسماعيل باشا صبرى عند حداثته، وكان فى السادسة عشرة من عمره، ما قىء يواصل طلب العلم فى فصول إحدى المدارس الثانوية بالقاهرة، ويحارس فى أوقات فراغه قرض الشعر، وينهج فيه منهج متأدى الجليل الماضى، من مدح الخديوى ورفع التهانى إلى اعتابه بمناسبة حلول الأعياد، إلى غير ذلك من مختلف المناسبات.

وتذكر فوق هذا أن مجلة «روضة المدارس» كانت تنشر له فى أيام تلامذته تلك قصائد لاغبار عليها، ثم عن شاعرية عبقرية، غير أنها ما برحت لجة كامنة طوى براعمها، لم يأن أوان ربيعها، لتنفق عنها الأكام، ويتضوع شذاها معطراً أرجاء النفوس.

وإخلاء، لم تنس بعد أنى قلت: إن صبرى لم يكن من أبناء العائلات العريضة الجاه، اللاتي يفاخرن بها بمجد آبائهم وشرف أجدادهم، وقد دلت على ذلك بأبيات جاءت فى مرثية أمير الشعراء «شوقي» لشيخ الشعراء، منها هذا البيت:

قل للمشير إلى أبيه وجده أرايت لأعز من أسلاف؟

وبعد تذكرة القارئ بهذا، أعود لمتابعة الحديث فأقول:

أتم «صبرى» دراسته الثانوية بمصر سنة ١٨٧٣، وهو فى الثامنة عشرة من عمره، ولما كان بعد من نبأ التلاميذ اختارته الحكومة فى ١٧ مايو من السنة المذكورة ليكون ضمن أعضاء بعثتها الذين تعلمهم على نفقتها فى الخارج؛ فسافر إلى فرنسا وتلقى علومه العالية فى معاهدها، وعاد منها إلى مصر بعد أن أحرز شهادتى البكالوريا واليسانس فى الشرائع والحقوق وهو قىء لم يتجاوز الثالثة والعشرين، وما لبث أن اندمج فى سلك رجال العدالة والقضاء، وذلك فى إبريل سنة ١٨٧٨.

(١) راجع عدد مايو سنة ١٩٢٣ من هذه المجلة

ولا شك في أن دراسة « صبرى » لفلسفة القانون ، واشتغاله بحل مشكلات القضايا ، وتضلعه في الأدب الفرنسى ، قد وسع من أفق خياله ، وغذى عقريته بأراء حديثة قيعة في نقد الأدب العربى ، وما يجب أن يكون عليه الشعر المصرى .

« والمترجم له من النواذر القضائية ما لا يقل فى الطرافة والقيمة عن نواذره الأدبية » ، ومنها هذه النادرة التى رواها الدكتور هيكال ، وهى تدل - كما سترى - على تعمق « صبرى » فى دراسة سرائر تفسيات القتل والجرمين وهيات المامح وجوهرهم ، قال الدكتور :

« اعترف أمامه متهم بجرمة القتل ، فلما خلا مع زملائه للمداولة ، ورأى أن العقوبة هى الإعدام ، ذكر لهم أنه يشك فى اعتراف هذا الرجل ، لأنه لا يرى فى سيما معنى شجاعة يمتاز بها على غيره من أمثاله . وحىء بالرجل إلى غرفة المداولة وقال له : إن اعترائك هذا يجعلنا نحكم عليك بالإعدام ! فكان جواب الرجل : لكن العمدة لم يقل لى هذا ، بل قال لى - حين دفع إلى الجنيهين - : إنه سيمضى عنى لأنى كنت فى السجن حين ارتكاب الجريمة ! ! وتبين فملاً أن الرجل كان فى السجن فلم تكن له فى الجريمة يد ، وقضى ببراءته . »

فتأمل كيف أن هذه الملاحظة التى أبداهها هذا القاضى البعيد النظر ، قد أفضت عنق هذا الفلاح الساذج عن حبل المشنقة ، وضمنت له الحياة بعد أن أصبح على حافة قبره ! وقد أخذ قاضينا الشاعر يرتقى سلم المناصب القضائية ، إلى أن تبوأ فى سنة ١٨٩٥ منصباً رفيعاً لم يتبوأه أحد قبله من القضاة المصريين ، أعني منصب النائب العمومى ، أو « قاضى القضاة المدنيين » ، إن شئت .

ومن أروع النهاىء التى وصلت « صبرى » حين إسناد هذا المنصب إليه ، قصيدة رفع بها إليه صديقه القاضى الأديب المرحوم « حنفى بك ناصف » ، أجزىء منها هذه الأبيات ، والقصيدة فى مجملها آية من آيات الشعر البليغ الخالد الحى :

لم يزلها سواك من أهل مصر	والمعالى يا مخاطب الكفاء تدرى !
طمعت أنفس إليها فصارت	حسبها عنهم صيانة بكر !
راودوها عن نفسها فاستجفت	بنهاهم وقابلتهم بهجر
وابتغت كفاها فكانت رضاها	ففى شمس جرت إلى مستقر
أمنس فينا القانون لا فرق فيه	بين زيد من الرعايا وعمر !

ولشيخ شعرنا أبيات ثلاثة من هذا البحر والروى ، يثنى فيها على حنفى بك ، لإهدائه إياه رسمه التوتوغرافى : وبما زاد لأبيات طلاوة تضمين « صبرى » لمصرع الأول من قول حنفى المتقدم ، قال صبرى :

حظيت راحتي برسمك حفتى منسا فاض بالمسرة صدرى
صورة ما شفت غليلاً ولكن حيرت فى صفات ذاتك فكرى
أذكرتنى محاسناً لك غراً «لم ينلها سواك من أهل مصر» ١١

وتعين «صبرى» فى سنة ١٨٩٦ محافظاً لثغر الاسكندرية ، ثم تقلد وكالة نظارة الحفانية فى سنة ١٨٩٩ ؛ وعند ما حل يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٠٧ ، كان الشاعر قد بلغ من المعاش ، فتقاعد ولزم داره ، وانقطع لمذاكرة الأدب ومجالسة رجاله ومراسلتهم .

ويظهر أن المترجم له كان يتمنى أن يساعده الحظ لكي يصبح فى عداد النظار «لوزراء» بعد أن صار فى عداد الوكلاء ، بدليل أنه عند ما شكت وزارة «بطرس باشا غالى» فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨ - وقد دخلها بعض أصدقائه - نشر بجريدة الأهرام - على سبيل المداعبة التى لا تخلو من مغزى - هذين البيتين اللذين يطيران طرفاً وخفة روحاً بمضاء بنتاؤور^(١) قال :

أين صبرى من يذكر اليوم صبرى بعد أيام غزله وشهوره ؟
اسألوا الشعر فهو أعلم هلا أكلته الأسماك وسط بحوره ؟

وربما كان السبب الذى باعد بين صبرى وبين تمتعه بالجلوس على كرسى نظارة ما ، هو إياه نفسه واحترامه لوطنيته ؛ وقد حملته عزة نفسه على ألا يتعرف إلى الحاكم بأمره يومذاك فى مصر ، وهو المعتمد البريطانى اللورد كرومر ، ومع أنه كان قاضياً لقضاة مصر ، ثم محافظاً للاسكندرية ، ثم وكيلاً لوزارة الحفانية ، فإنه لم يسمح لقدمه أن تعبر عتبة «قصر الدوبارة» ، إلى أن ودعت روحه الشاعرة هذه الحياة ؛ وهذه نادرة نعد من الشواذ ، وقل أن تحصل من رجل سواء من رجالات الدولة المصرية .

ومن الكلمات المأثورة عن شيخ شعرائنا :

«أحب الحرية فى ثلاثة : فى المرأة تحت ظل زوجها ، وفى الرجل تحت ظل شريعته ، وفى الوطن تحت ظل الله .

ومن حق شعراء العصر أن يحمّدوا تلك العوامل التى أثرت فى نفس شيخهم وجعلته يمازى الاشتغال بالسياسة بطريق تتنافى مع مبدئه القومى ، فينصرف إلى أداء رسالته الأدبية البليغة الخالدة .

ولقد كان صبرى فى الشطر الأخير من حياته مهتماً بتهديب فن الشعر ، وما يتعلق بالشعر من موسيقى ومن غناء ؛ وقد تحولت داره بعد إحالته إلى المعاش إلى شبه منتدى أدبى يؤمه كل يوم أشهر شعراء مصر المعروفين عندنا الآن ، وذلك لكي يسمعوا منه أشعاره أو يسمعه أشعارهم ، لالنقد والتثنية قبل إذاعتها ، ومن هنا منح بحق لقب «شيخ الشعراء» .

(١) بنتاؤور بعد من أعلام الشعراء فى عهد قدماء المصريين

ويقول الأستاذ «محمد صبرى» : إن صبرى لم يلقب بشيخ الشعراء، إلا لأنه جمع بين مزاي ثلاث :
 فضل السبق في السن ، وفضل السبق في قول الشعر والتبريز فيه ، وسلامة الذوق في نقد الشعر .
 ويقول الأستاذ الشاعر «مصطفى الرافعي» : لم يكن في مصر ممن يحسن ذوق البيان ، ويميز
 أقدار الألفاظ ، كالإمام محمد عبده ، وإبراهيم المويلحي ، والبارودي ، وإسماعيل صبرى ،
 فالإمام يتذوق بالبصرة النفاذة ، والمويلحي بالثرف ، والبارودي بالسليقة ، وأما صبرى ،
 فيتذوق برقة العاطفة ، وذلك شيء ركبته الله في طبيعة صبرى ، لم يحصله بالدرس أكثر مما
 حصله بالحس !

والآن أضح بين يدي القاريء شذرات من مرآتي أساميل الشعراء لصبرى وأقوال مشاهير
 الأدباء ، التي أفتوا فيها أن المترجم له كان أستاذهم الذي كانوا يأخذون عنه ويتعلمون عليه
 ويتبدون بأرائه المأثبة في نقد الشعر .

ها هو ذا الحق «رأيه ويزنه بآله» إن في إبان حياته الأدبية يعدو خطاه كما يعدو المهر
 وراء جواد سبات لا يشق له خبار ، ليتعلم منه كيف ترأى الغايات في حلبة القوافي :
 قاضي القضاء حيث عليه قضية الموت ليس لها من استئناف
 ومصرف الأحكام ، وأقول إلى حكم الشدة ماله من كافي
 وثأب الحسين «بحية شريك من روح وربحان وحسن نظاف
 وسأزم أهل دونه وصحابة جبرى على تلك الخلال هاف
 هل في يدي سمى قوافي خالد ثوجيه بين يديك لا تخاف
 هذا هو الزخايل إلا أنه زاجات تلك الروضة المنضاف
 والدر إلا أن مهد يديه بالأمس لجة يحرك القذف
 أيام أرح في غبارك ناشد نهج المزار على غار خفاف (١)
 «أعلم» الغايات كيف ترام من مظهر فضل أو عيال قواف

وها هو ذا حافظ «ينده» ، ويقول إنه كان يمرض شعره عليه لتشجيع :

إذا قيل «صبرى» ذكرت لوأيد وموت بنفسى ذكري حمرو
 يزين قواضيه تذكره كما زان حسن الملاح الخمر
 زكي المشاعر عن الموى شمس الأحاديث حلو السمرو
 لقد كنت أغشاه في داره ونابيه فيها زحوا وزدهرو
 وأعرض شعري على مسمع ليليف يحوس أو أوتر !

(١) تصانف هو من الجباد الدوايق أيام العرب

فيمقل لفظ الجان ويكره رقة أهل الحضر
يرفرق فيه غير الجنان فتحناف منه النهى والفسكر
كذلك كان عليه السلام إماماً لكل أديب شعراً
فكنا الجدول زوى الثناء فناء العقول وكان النهر
وما هو ذا «المطران» يكلمه ، ويقول إنه كان له وارثاؤه الشعراء بمثابة الأستاذ :

اليوم نجم من نجوم الشعر أدركه الغروب
يا خطيب إسماعيل صبرى رى ليس تبلغك الخطوب
أى صاحبى لقد قضى «أستاذنا» البر الحبيب
فعرأ فلادتنا وكا نت زينة الدنيا شحوب

مات الذى منظومه لأولى النهى سحر خطوب
شعر على الأيام ربه وبه مردد الطروب
وكأنما فى أذن قا ربه يغنى عندليب
لله صبرى وشو له لفة التى انتهت غضوب
بالرفق ينقذ ما يزا ف الخطوب ولا يعيب

فأذهب أبها الشعراء غنى رك ليس ضاردهم الدحوب
لك فى النهى بعد الذوى شفق ولكن لا يغيب

وكتب أحد الأدباء بجريدة السياسة يوم وفاة الشاعر يقول: أعرف «صبرى» منذ ثلاثة عشر عاماً ، وكنت أغشى مجلسه كثيراً وأتردد عليه ، وكانت بيننا صلة الابن بالأب البار ، والتلميذ بأستاذه ، وكان يفيض علينا أدباً ومكارم أخلاق ، وكان حلو السمر عذب الحديث ؛ ولعل السرى ذلك هو أن «صبرى» كان فى حياته كما كان فى شعره قنانياً ؛ وكما مرة استرعى نظره فى الطريق منظر رائع من تلك المناظر الدقيقة التى لا يلتفت إليها أحد ، فوقف واستوقف يتمتع منها ناظره ، حتى إن المرء ليتساءل أيهما أشعر ؟ الرجل فى حياته أم الشاعر فى شعره ؟ ! ويقول الأستاذ الراقى : كنت أعرض عليه مرة قصيدة نظمها فى العام الهجرى ونشرها بجريدة المؤيد سنة ١٩١٢ ، فاستحسن منها هذين البيتين :

مضى العام مذموم الفعالم مشيماً بأنة محزون ودعوة مشفق !
فلا الغرب فى ساح اليقين يمهتد ولا الشرق من الأسار يعمق !

ثم قال لي: أولى بك أن تنظم خمسة عشر بيتاً من هذا الطراز، بدلاً من أربعين؛ ومن ذلك يتضح حب الرجل للإيقان، ومحض النصيحة للناشئين.

وبعث «شوقي» أيام تقيته بالأندلس «لصبرى» بهذه الأبيات التي يبدى فيها شوقه لمصر وإلى ماء نيلها العذب، لكي يدلى فيها شيخ الشعراء برأيه؛ والأبيات من نونية «شوقي» التي طارح بها نونية الشاعر الأندلسي أحمد بن زيدون المشهورة، ومطلعها «أضحى الثنائى بديلاً من تدانينا» الخ. وهاك أبيات شوقي:

ياسارى البرق يرمى عن جوانحننا	بعد الهدوء وروى عن مآقينا
ترفرق الماء في دمع السماء دماً	هاج الأمى فحضبنا الأرض باكيننا
ياساكى مصر إنا لا تزال على	عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا
هلا بعتم لنا من ماء نيلكم	شيئاً نبل به أرواح صاديننا؟
كل المناهل بعد النيل آسنة	ما أبعد النيل إلا عن أمانينا!

وقد كان إعجاب شيخ الشعراء عظيمًا بهذه الأبيات التي أبدع شوقي في إبداعها حرارة أشواقه لمصر وساكنيها وماء نيلها؛ وقد أرسل صبرى إلى شوقي بالأندلس هذه الأبيات:

يا وامن البرق كم نبت من شجن	في أضلع ذهلت عن دأها حيننا
فالماء في مقل والنار في مهبج	قد حار بينهما أمر المحييننا!
لولا تذكر أيام لنا سلفت	مابات يبكى دماً في الحى باكيننا!
يا «آل شوقي» عودوا لا عدمتكم	وشاهدوا - وبحكم - فعل النوى فينا!
يانسة ضمخت أذيالها سحراً	أزهار أندلس هي بواديننا!

وعندما اطلع شيخ الشعراء على قصيدة شاعر القطرين في الحرب الطرابلسية، هلل لها طرباً، وكان يتغنى منها كثيراً بهذا البيت:

يقول للعالم الخفاق في يده فيء من الأرض ما تختار يا علم!

وقد قال للمطران: أسكرتني، إنك قد فت الشعراء بستائة طام!!

وسئل صبرى يوماً عن رأيه في الشعراء الثلاثة فقال: شوقي ينظم، وراىظ يبنى، ومطران يبتدع، وقيل له أيضاً: أيهما أشعر: شوقي أم حافظ؟ فأجاب: إن الفرق بينهما كالفرق بين المليم والجنبيه الذهب!

والآن سلاماً أيها القارىء، لنلتقى أعلى صفحات العدد الآتى، فتحدثت عن بقية نوادر الرجل الأدبية وطريف أشعاره.

ظلامه الكريم

امريتا زمرسى شاكر الطنطاوى

ظلموا الكريم فجرّ دوه حُلَّة
لم تعدّه يوماً إلى آبتاس
ورأوه بالعين التي لم تكتحل
إلا بما في القلب من وسواس
وإذا «العمى اللوني» حَفَّ بناظر
عكس القياس فكان شر قياس
كم ذا يحار الرأى في تكوين من
عاث انحلال كيانه في الراس
وكذاك تعثر بالظنون دخائل
تجري بحكم في الإرادة قاس
لا تعجبوا فلكل نفس في الهوى
شأن يمكن عزمها بأساس
من لم تزوده الشجاعة نفسه
جهل الشجاعة في نفوس الناس
زمرسى شاكر الطنطاوى

عمدة الاجتماع

لهنريك إبسن

لهنريك إبسن مكانة سامية في تاريخ المسرح، ولا أظن الفلرف يسمح بإغفائه حقه من الإشادة بما كتبت أحب أن أفي به؛ ولكنني أخلص له رواية، هي في أسلوبها وغاياتها آية بيّنة على أسلوب إبسن وغاياته من الروايات المسرحية، التي جعل منها موضوعاً لدراسة الاجتماع ومشاكله؛ ولا أحدثك عن ميزات إبسن العالية ومهارته في حبك الموضوع وصياغة الحوارات، وتوجيه ذلك كله إلى ما يقصد من نقد وإصلاح، فهذا كله لا يكفل وعيه في النفس إلا دراسة الرواية والاستمتاع بها؛ فإذا كان مثل هذا التلخيص الذي نعرض له الآن يحفز على هذه الدراسة؛ وذلك الاستمتاع، فقد وفقت إلى أقصى ما أريد.

نحن في حجرة بحديقة قصر القنصل (برنك) باحدى موالي الدنمارك، وهي معمورة بسرب من السيدات والآنسات، جلسن يستمعن إلى الأستاذ (رولند) وهو يقرأ في كتاب، من بين هؤلاء السيدات مسز برنك زوج القنصل، ومارتا أخته، ودينا وهي فتاة ربيبة القصر؛ وإذا أصبحت بأذنك لما يدور من الأحاديث، علمت أنك في قصر أكبر رأسماني في الميناء وهو برنك صاحب المشاريع الخطيرة والأعمال النافعة للمجتمع، مما جعل قومه يرفعونه إلى أسمي المساكنات ويظلمونه مثلاً جيللاً على الإخلاص وبقاء السريرة وعزو الهبة والغيرة على المصالح الاجتماعية والمبادئ الخلقية؛ وإنك لتعص أنك في وسط أريستقراطية شديدة الخفاضة تطغى عليه ظاهرة واحدة لعملها تدل على عظيم أثر القنصل فيمن حوله، وهي التفاني في الاجتماع والحرص على ما يهد له سبل السعادة والتقدم والخير.

ويرجع الحديث بالمتحدثين إلى الماضي، ويذكر كل منهم ماواجهه الحنين والذكرى في نفسه من المؤثرات؛ ويشرح الحديث شيئاً شتتة وضروباً متباينة، يكون من بينها التمثيل والفرق التمثيلية التي كانت تزور البلدة منذ خمسة عشر عاماً؛ والظاهر أن هذا الحديث يوقظ في بعض النفوس الأخفياً، فانهما تكاد تخرج مسز برنك ومارتا ودينا والأستاذ ويحلوا الجولات، أثاراً، حتى تنطلق إحداهن تلوم تلك التي تحدثت عن الفرق التمثيلية، وتأخذ عليها أن تذكر الخبر أمام مسز برنك والفتاة دينا المسكنة؛ فإذا تنبعت الحديث، وضع لك من قصر برنك ما لا تكاد تصدقه؛ فذلك الرجل العظيم لم يتورع العار أن يتعرب إلى بعض نواحي بيته منذ خمسة عشر

عاماً ، بما كان حديث الجميع ؛ وكان القنصل في ذلك الوقت شاباً يافعاً حديث العودة من البلاد الأوروبية ، وكانت تزور البلدة فرقة تمثيلية من ضمن أفرادها الممثل دورف وزوجه ، وكان لخطيبة القنصل (زوجه الآن) أخ شاب حديث السن موظف في بيتهم المالي - الذي كانت تديره حينذاك أم القنصل - ... وقع القى في حب الممثلة واندفع في سبيل الحب الوردي لا يلوى على شيء. وفي ذات ليلة رجع الممثل دورف من المهوى على غير موعد ، فأبدرى إلا ورجل يقفز من النافذة وينعوص في لُحج الليل العميق ؛ ولم يشك أحد في شخص الهارب ؛ وزاد الأمر تأكيداً ، هرب جوهان (شقيق مسز برونك) إلى أمريكا . ويعلم الجميع أنه لم يفر صدر اليدين فإنه سرق من مال البيت الذي كان موظفآ به مما سدده بالخراب بعد الثبات والثقة ؛ وختمت المأساة بأن هجر الزوج الممثل زوجه وابنتها ؛ وجاهدت المرأة حتى سقطت ميتة ؛ ولولا أن مارنا آوت الابنة للحققت بأمرها سريعاً ، ولما صارت ديناً فتاة يافعة .

ويستمر الحديث ، ويدور حول لونا أخت زوج القنصل والتي يتلأ جوها من الشبهات ما يتلأ جو أخوها ، ولا يزال السيدات يذكرن كيف كانت تسير في شوارع المدينة بحالة تلفت الأنظار وتحرك الألسن بالثرثرة ، ويقال إنها كانت تظن أن القنصل ينوي الزواج منها ، فلما فوجئت بمقد خطبته على أختها نصرفت تصرفاً شائناً لم يعف من الأذهان ... وقد فرت خلف أخوها ووصلت إشاعات مختلفة من وراء الحيط تقول إنها انتهت الرقص وما شا كل ذلك .. هذا ما كان منذ خمسة عشر عاماً ولو أن الأراجيف لا تنام عنه .

وإذ دخلت دينا ، حولن الحديث إلى مجرى جديد واختلسن من الفتاة نظرات إشفاق ورناء وعطف ، والفتاة لا تضيق لشيء ضيقها لهذا العطف والإشفاق اللذين يشعر أنها بالذلة والهوان . ولا تبرم بشيء يرمي بحياتها في هذا القصر الذي يجالس أهلها على الابتساماة الصغيرة إذا خرجت عن حدود التقاليد المرعية . وهي تعلم أن الأستاذ رولند يحبها ؛ ولكنه يحرس الحرس كله على ألا يصل علم ذلك الحب إلى أحد ؛ لأنه يشفق بنفسه أن يصيب مكانته الاجتماعية رذاذ مما يقتاتر حول تاريخ الفتاة ؛ وهو يستعملها ويعبدها وينميها ، ولكنها لا تستطيع أن تقنع نفسها بأنه يحترمها ما دام ينحجل أن تقتصب إليه .

ويظهر القنصل والرأسماليون ، وتعلم مما يدور بينهم من حديث أنهم مقدمون على تنفيذ مشروع خطير ، هو إنشاء خط حديدي في المدينة ؛ والحق أن القنصل شخصية فذة محترمة ، وكأنه ما وجد إلا ليعمل للمجتمع ويسهر على سعادته ؛ ولا يزالون في حديثهم حتى يصبح بهم صائح أن (سركا) أنى المدينة . وأن هام أولاء عماله يسرون أمام القصر ، فليست الجميع يشاهدون المارين ؛ ويلاحظ هيلمار (ابن عم مسز برونك) أن سيدة تومي - برأسها إلى القصر ، فينبه إليها ويعجب الجميع من شأنها . وقد شئوها من بنات السرك ! وتزيد دهشتهم إذ يرونها متجهة إليهم بل داخلية عليهم

تذابروهم بأسمائهم كأنها تعرفهم حق المعرفة؛ ولا يطول تساؤلهم لأنهم يعرفون فيها «لونا» أخت مسز برنك وبطالة ما ذكرنا من حوادث... وتخيرهم أن جوهران أن معها؛ وأه في طريقه إلى القصر.

وتستطيع أنت أن تتصور نفسك ما أحدثه ظهور لونا وجوهران في نفوس الزائرات وأصحاب القصر على السواء، من الدهشة والآلم والحجل، بعد إذ علمت من أمرها ما علمت.

طبيعي جداً أن يحدث قدوم الأمريكيين انزعاجاً في الأسرة، وطبيعي جداً أن يصلى ناره القنصل وزوجه، ما دامت هذه تحس إحساساً قوياً بما تسببه له قرابتها لهذين الشخصين من تكدير صفو الحياة، وما دام هو قاسياً فيما يمس السمعة والخلق؛ ويؤكد هذا النور والآلم بين الزوجين شكوى هيلمار من الزائرين اللذين منذ قدومهما لا يفيان عن السير في طرق المدينة ومعها دينا وأولاف (ابن القنصل الصغير) بحالة لئيمت الأنظار وأيقظت الذكريات وأطلقت الآلسن بالأحاديث المرة؛ ومستر برنك يآلم لذلك من غير شك، ولكنه يرجو من هيلمار أن يتغاضى عنه، وألا يذكر الماضي بكلمة أمام الزائرين رحمة بهما؛ فتهتف به زوجته: ما أكرمك أما أنبلك! وينصرف هيلمار ومسز برنك ويدخل أون رئيس بنائى السفن في مصنع برنك وشركاه، ويبدو لنا أن العامل ورئيسه مختلفان بسبب إدخال الآلات الحديثة في المصنع؛ فالرئيس يضع أمامه مصلحة المجتمع ويستشهد باختراع آلة الطباعة، فقد كانت بلا شك سبباً في خراب آلاف البيوت، ولكن العاقل لا يمكنه أن ينكر فضلها أو يكابر في أن فوائدها لا تدع مجالاً لذكر مضارها التافهة، والعامل من جهة أخرى يذكر العمال وبؤسهم ويسأل سيده ما عسى أن يكون رأيه في أمر آلة الطباعة، لو أنه كان عاملاً مثله! على أن الرئيس يضيق بالمناقشة ويحتم على العامل أن ينتهى من إصلاح السفينة الأمريكية «الفتاة الهندية» قبل غدا، لتبحر في موعدها، فإذا طلب الرجل أن يعد له في الزمن، أصر القنصل على رأيه وهدده — إذا أخلف أو تأخر — بالرفق. فيقبل الرجل مكرهاً ويخرج وهو كظيم.

ثم يدخل الأمريكيان دينا وأولاف، وقد تولدت بين جوهران ودينا علاقة ودية وسحرية؛ فهي لم تلق في حياتها إنساناً مثله صراحة وبمبدأ عن التكلف، كما أنها لم تلق من يحترمها احترامه من غير دافع عطف وإشفاق ومن غير خجل وخوف من الناس وأقوالهم؛ إلا أنها لا تحب أن يطلق العنان لعواطفه، فتمرضه لما لا يدري من الشكوك التي تشيع جوها... ولا يلبث أن يدخل الجميع إلى القصر، إلا جوهران بطل قصة الممثلة، وبرنك عمود المجتمع؛ ولا يكاد يخلو بهما المكان حتى ينظر القنصل إلى الفتى بوجه يطفح بشراً وامتناناً ويتقبض على يده ويقول:

برنك — صرح بيتي هذا ، سعادتي المزاوية ، مركزي في المجتمع ، هذه جميعاً أنا مدين لك بها .

جوهان — حسناً ، إني مسرور يا عزيزي ، وكيف لا يسرني أن يأتي خبر من وراء هذه الحكاية القديمة ؟

ويقول له القنصل إنه أنقذ حياته وما هو أئمن من حياته ، فيقول الآخر :

جوهان — صه... كنت وحيداً حراً يتيماً ، وكان يسعدني أن أتخلص من ربقي وتلفتي ، وفي صدد ذلك كانت أمك مازال على قيد الحياة ، وكانت خطبتك معقودة سراً على أختي ، فإذا يحدث لها لو أتيج أن تعلم الحقيقة ؟

برنك — حقاً ، حقاً ، ولكن ...

جوهان — ألم يكن بسبب أختي أن صرمت حبل المودة مع مدام دورف ؟ ألم يكن من أجل أن تقطع هذه العلاقة أن كنت في بيتها تلك الليلة ؟

برنك — نعم... تلك الليلة المشؤومة... لما رجع ذلك الوحش السكير إلى البيت ...

نعم يا جوهان ، كان ذلك من أجل أختك ، ولكن مع ذلك... كم كان كرمًا منك أن تحول الشبهات إليك وتقر بعيداً .

أرأيت كيف أميط الانعام عن الإله إذا به صنم ؟... ويبدى برنك قلقاً من رجوع جوهان ، فيطمئنه ويقول له إن بقاءه إلى حين فقط... ولكنه يعترف له أن أخته لو نأ تعرف الحقيقة أيضاً وأنه اضطر إلى أن يعترف لها ، لأنها عزيزة عليه ، ولأنه لم يتو على لومها... ولكنه يطمئنه أيضاً لأن أخته لن تبوح بكلمة لإنسان .. أما عن مجيئه فهو تلبية لرغبة أخته التي نحن إلى وطنها ؛ وهل كان يستطيع أن يرفض لها رجاء وهي التي بذلت ما هو أغلى من حياتها لتوفر له السمادة والراحة عند ما كانا فقيرين بأمريكا ؟

وتخرج جوهان وتدخل لو نأ فتلقى القنصل وحيداً ويتجاذبان أطراف حديث تمتد به الذكري إلى الماضي البعيد ، ونعلم منه أن برنك كان يحب لو نأ فيما مضى وأنه كان يعدها بالزواج ، ثم كان أن سافر إلى أوروبا ، فلما رجع نجدها ووقع في حب الممثلة مدام دورف ، كما مر بنا ، وفي ذلك الوقت رأى أخت لو نأ الصغيرة وعلم أنها الوريثة الوحيدة لعمه لها ؛ فبادر إليها بتودد ، حتى علقها بحبه وعقد خطبته عليها ثم تزوجها .. وهو يكاد لا يتناسك أمام نظرات لو نأ ، ولكنه يدافع عن نفسه دفاعاً يراه وجيباً ، وتراه مميماً ، إذ يقول إنه كان يحبها حباً صادقاً ، وإنه إنما تزوج أختها لثروتها لا لحبها ، لأنه لما رجع وجد أن بيت آباءه مهدد بالخراب ، وناداه واجبه نحو آباءه والمجتمع ، فلباه على الوجه الذي ترى ؛ ولكن لو نأ لا تحفل كثيراً بمثل هذا الواجب ، وإنما يدهشها

أن ترى حياته قائمة على ثلاث أكاذيب : كذبه على جوهان لأنه يحمله من الذنب ما لم يفعل ، وكذبه على زوجته لأنه يتحدثها بحب لا يسعه قلبه ، وكذبه عليها لأنه ضحى بها ... نأية حياة هذه التي تعتمد من الأكاذيب ؟! أفلا تراه يتألم لذلك ؟! إنه رجل عملي له ضمير من معدن آخر ، وقد يستحيل عليه أن يتصور إنساناً يرضى أن ينهار بنيانه ، لأنه يقوم على كذب ؟ أليس لكل إنسان هدف أو هفوات يحرص على إخفائها ، وربما لو كشف عنها الستار بارت حياته ؟ ... ويقطع حبل الحديث ويدخل جميع من صر بنا من أهل القصر ... ويعلم دولند أن ديننا تميل إلى جوهان ، فيجن من الغيرة ... ويصرح لها أن ذلك الشاب الذي توشك أن تضع فيه ثقتهم ، هو الذي اعتدى على أمها ، مما كانت تتبجته أن هجرها أبوها وتركها وحيدة تموت ... وهو - إلى ذلك - سارق .. سرق البيت الذي كان موظفاً فيه ، وها هو ذا القنصل - وهو لا يشك في صدقه ! - يشهد على ذلك : ويعجب جوهان من ذلك أشد العجب ، لأنه أولاً لم يسرق ، ولأنه ثانياً لا ينتظر من القنصل - الذي ضحى في سبيله - أن يذيع عنه ما لم يرتكب ، بل لعله انتظر أن يدافع عنه كثيراً .. ويتكهرب الجو . ولا ينقذ الموقف إلا دخول بعض الرأسماليين في طلب القنصل ، فإن مشروع الخط الحديدى في خطر ولا ينقذه إلا القنصل ، للثقة الغالية التي يتمتع بها ، ولما هو معروف عنه من جدارة بهذه الثقة !

نحن في حجرة الحديدية أيضاً ، وفي الحجرة القنصل ورئيس كتابه (كراب) ، والكتاب ينفذ لأمره بتصریح غاية في الخطورة : ذلك أنه لاحظ مراراً أن الإصلاح الجارى في سفينة القنصل الهندية يلابسه إهمال وسرعة هو جاء ، وأن شكاً قوياً يداخله فى أن (أون) يعتمد أن تبخر السفينة وعن واهية البلبان ، بحيث لا تستطيع مقاومة الرياح ، تتفرق ويقوم غرقها برحاناً قوياً على فساد الآلات الحديثة ، الأمر الذى يحرص أون على الدعاية له : ويضطرب برنك لذلك ويصرف كتابه بعد إذ يطمئننه ويعدده بالاهتمام بالأمر ، ولا يكاد يفتق من كابوس هذا الخبر حتى يتاجراً بدخول لونا وهى متلهفة على معرفة أمر السرقة المزعومة ، ويخبرها عمود المجتمع أن سرقة لم تقع ، وأن الأمر لم يتعد الإشاعة ، ولكنه استغل الفرصة وشجع هذه الإشاعة فجرت بحرى الحقائق ، وكان مطمئناً إلى أنه لم يأت أمراً نكراً ، لأن سمعة جوهان كانت حينذاك من السواد بحيث لا تؤثر فيها بقعة جديدة ، ولأن انتشار مثل هذه الإشاعة يبنى الثقة فى بيت برنك ، فلا يعزو الناس سوء حال ماليتهم إلى إهمال أو ضعف ، وإعنا إلى أمر خارج عن كل ذلك وهو السرقة : وقد استطاع بفضل هذه الإشاعة ، وبفضل مال أختها ، أن يسترد مكانة أجداده ويحتل المكان العزيز الذى سما إليه .

وهذا يحض مجوهان ، والفني لا يحفل كثيراً بأمر السرقة، فقد تخلف بأخلاق الأمريكيين ،
 وهم عادة لا يحفلون بأراء الناس عنهم ، واسكنه من جهة أخرى يحب ديناً، وقد عقد العزم على أن
 يتزوج منها ويقيم معها هنا في الميناء .. ويراع القنصل لذلك الظن الذي فيه التعمد عليه
 ويشرح بسر خطير، هو أنه قبل أن يعلن أمر مشروع الخط الحديدى اشترى مرأ جميع الأراضي
 التي سيمر بها، كالنابات وساقية المياه والمناجم واشترى لها بئمن بخمس حتى إذا تم المشروع صار
 مليوناً. وإذا نزل هوى إلى الخراب .. وأعداء المشروع كثيرون، وهو ما زال يتكلم على خبوطه
 من حبيب، وسئل هذا الزواج قد يتطوع هذه النايوا رهوى بالمشروع إلى المضيض ..
 ويرضى الفنى أن يسافر إلى أمريكا، ولكن إلى حين، على أن يعود ويطلب باسمه وبإعلان الحقيقة،
 فإذا عجز القنصل للمقاومة وتسلم عن التمس به، هذه الآخر بخطابات عنده، فيها الحديدين
 ملطية والكذب ! أما الآن فسيسافر غداً في « السعاة الهندية » !

ويخرج الفنى ويخرج لونا، وحى ما تزال مفكرة في شراء القنصل للأخيرة التي يمر بها الخط
 الحديدى . وفي عتليتة التي تعمل لنفسها وتهدي لسطها تؤذيها وقوتها وإرضاء لانتها، بينما يقن
 الرجل أنه يعمل للمجتمع واقومه ، وأنه يوفر حياته وما تلك لغيره !

ويخفى السكان برونك، وتكر به ساعة عصبية ، فهو الآخر أصبح يعتمد ويتيم بما يشاء فيه
 كاتبه كراب . من أن السفينة الأمريكية إنما أصادت لتفريق ، وقد أصبح أمر السفينة وأرواح
 من عليها في يده هو ! نعم إن سمعة المينع قد تسال بعض الشيء، إذا تأخر، وبعد ابتكار السفينة ،
 ولكنها إذا أبحرت وغرقت، فلا شك أن هذه السمعة تتعرض لسوء أشد ! ومن جهة أخرى -
 وهو ما يشاء كثيراً - فالسفينة تحمل جوهان ، وخطابات، فضاء كفيفاً بالتعمد عليه فضاء
 مبرماً ، فإذا يصنع ؟

وأخيراً تبرد حراة قلبه وتهذاً المواقف في نفسه، وتسكن الجواذب في ضميره، وتتماض
 هذه النيرة عن رأى واحد... وهو أن تبحر السفينة في موعدها !!!

البلدة حمة النشاط متدفقة الحياة ، يتأهب كل فرد من أفرادها للاحتفال بالرجال العاملين
 محمد المجتمع، وعلى رأسهم القنصل برونك.

والقصر كذاث كثير الحركة ، ضيق بمن فيه ، وقد وضع هيلمار قطعة موسيقية به علم
 القنصل ، وحضر (رولند) خطبة طويلة كلها إطراء وثناء على القنصل، والجميع يث مستر برونك
 على أن يتأهب ليلتي الجمهور، محاطاً بزوجته وولده ، وليخطب فيه .

وفي ناحية ساكنة من نواحي القصر، اجتمع جوهان ودينا ولونا ومارتا، وقد فكر الفنى

أن يستصحب معه ديناً على ألا يعود ثانياً. ومارتاً تنصح الفتاة أن تقبل بالفتاة نفسها تجدد من الدوافع القوية والإغراءات الساحرة، ما يجعلها تلبي الطلب من غير نصيحة : إلا أنها اشترط عليه أن يدع لها فرصة ترسم فيها حياتها بنفسها. فتعطي نفسها بمحض إرادتها لمن تشاء وترضى. من غير أن تؤخذ أخذاً، ثم يتو ادعان وبخرجان، ولعلها يجهلان أنهما متركا خلفهما قلبين كبيرين انتزع من كليهما عرشه الذهبي، فلونا كانت تحب أخاها كابنها، وكان هو يتعلق بها كأُمٍّ، وهما من ذى قد تقلص ظلها من قلبه دفعة واحدة، وكذلك مارتا كانت تجد عند ديننا عزاء يهون عليها مرارة الوحدة والعزوبة، وهما من ذى تجد نفسها وحيدة. وهى تعترف للونا أنها كانت تحب جوهان. وطالما أحبت، وقد ارتأى لها هذا الحب — عند ما علمت بالجرعة — أن تؤذى الفتاة الصغيرة وتربيتها، لتكفر عن ذنبه. وترتضى كل منهما بين يدي الأخرى، لعلها تجد عندها ما فقدت من حب وحبيب.

وتقصد لونا إلى القنصل فتجده وحيداً، عظيم الاضطراب، وذلك لأنه قد قبل أن يظهر أمام الجمهور على غير رغبة منه، وهو إلى ذلك لا يجد زوجه ولا ابنه — على كثرة سؤاله عنهما — وتهنئه لونا على أن قد أنت ساعة التكريم والتبجيل التى تحلم بها كل النفوس الطامحة، ولكنه يفجؤها بأنه ليس سعيداً كما تظن، وأن حياته تبدو لعينيه باهتة ثقيلة... وحتماً لقد خدع نفسه حين ظن أنه عمود يقوم عليه المجتمع... والحق أنه آله يميت بها هذا المجتمع!

لونا — ولماذا لم تر ذلك إلا الآن؟

برنك — لأنى ما فكرت فيه إلا أخيراً، بعد رجوعك إلى هنا، بل هذا المساء على وجه الخصوص. أواه يا لونا! لم أعرفك فى الأيام القديمة؟

لونا — فماذا كنت فاعلاً؟

برنك — كنت لا أتركك أبداً. فأتجنب هذه الحالة التى هويت إليها.

لونا — ألم تفكر بشئاً فيما كان يمكن أن تكون لك تلك التى آثرتها على؟

برنك — إنى أعرف على كل حال أنها ليست شيئاً أحتاج إليه.

لونا — ذلك لأنك لم تشاطرها حياتك العملية، ولأنك لم تضعها إليك بعهد حرسا، ولأنك رضيت بحمل العار الذى لطلعت به من حولك.

برنك — نعم... نعم... نعم... كذب ودناءة فى أعماق كل شئ.

لونا — لماذا لا تتحدث على هذه الأكاذيب؟

برنك — الآن؟... لقد طأت الوقت يا لونا.

على أنه لا يضيع وقته عبثاً، فهو يهد لابنه من بعده كي يحظى بحياة أسعد من حياته. حياة لا

يقوم على الأكاذيب . ولاستمد سلطانها من الدنات .. ولكنه لا يمكن أن يعد مسئولاً وحده عن أخفائها المتع ، ولسوف يدافع عن نفسه . افكرت في فضحه أمام الجميع ، ولكنها تطمئن على مكانته ، فأخوها قد سافر مع دينا إلى أمريكا ولن يرجعا ثانية ، وقد اختار سفينة غير الفتاة الهندية ، لأنه شك في مقدرة ربانها ؛ وهي لا تفكر في الإيقاع به ، وكل ما في الأمر أنها عدت بسر حياته وقذارتها ، فأنت إليه لتؤنبه وتلفت نظره . لعله يستيقظ ، ولكنه يأبى إلا أن يبقى نائماً ؛ وإذا فليبق كما يشاء .. ولكي تبعد عن نفسه كل شك ، فهاهي ذى تمزق الرسائل التي تهدد سمعته ؛ وتضعفه هذه التصريحات صمغاً ، فجوهان يختفي إلى الأبد ، والخطابات التي صار مجرماً من أجلها ممزقة تحت قدميه ، وفضلاً عن ذلك ، فالفتى قد سافر على غير الفتاة الهندية .. وهو لا يستطيع أن يأمر بتأجيل إبحار الفتاة الهندية الآن .. فكأنه دبر القضاء على أرواح بريئة ، من غير فائدة ومن غير ذنب !

ويدخل عليه هيلمار وفي يده خطاب .. والرجل شديد الاضطراب لا يدري ما يقول ؛ فإذا سأله برنك عن زوجته وأولاده ، زاد اضطرابه ، ولكنه لا يجد مفرأ من أن يقول للقنصل إن ابنه أولاف عثف في الفتاة الهندية ؛ وإنه كتب إليه خطاباً يذكر فيه أنه سيسافر مع خاله جوهان إلى أمريكا ليرتاح من تقييد أبيه له .. أمام ذلك يئن القنصل من الألم .. وقد قضى على حاضره ومستقبله وغاض كل أمل في الحياة ؛ فمن هنا ترى أن المكر السيء يحقق بأهله .. ولكن الذين يحيطون ببرنك لا ينهمون كل شيء ، فإذا كانت السفينة الأمريكية ستبحر بالصبي إلى أمريكا ، فمن السهل أن تمود به كذلك ، ويذكرون أنه أب للجمتمع وليس لأولاف فقط ؛ أما هو فلا يذكر مجتمعا ولا مجتمعين ؛ وإنما يذكر أمراً واحداً يحز في فؤاده حزاً ، ذلك أنه قضى على ابنه بيده شر قضاء ، وقضى على نفسه في آن واحد ؛ وفي تلك الأثناء تدخل مسز برنك فتلفت إليها الانتظار . لأنها كانت غائبة إلى حين ظهورها . ويتوجه القنصل إليها بالملامة إذ تغضى العين عن طفلها ، حتى يفر هارباً ، ولكنها تؤكد له مطمئنة أنها أعظم حذراً مما يظن ، وأنها أحصت بحركات الطفل وتبعته إلى السفينة ، وأمرت أون زعيم العمال أن يبحث معها عنه ، ولكن السفينة أوشكت أن تتحرك ولما اثر عليه ، فاضطر أون بسبب ذلك - أن يأمر بتأجيل موعد إبحار الباخرة إلى الغد ، وبذلك استطاعت أن تنقذ الفتى من الهلكة ؛ وهي تتوسل إليه أن يبعث عن عصيان ابنه ، ويعفو عن مخالفة أون أوامره ؛ وهكذا انتقذ الله السفينة ومن بالسفينة ، وانتقذ على وجه الخصوص أولاف ، وبث في قلب برنك حياة جديدة لاعهد له بها .

وأتى القوم المتفلون وهم يهتفون بحياة برك ، وخطب رولند خطبة جامعة أشاد فيها ببرك وأعماله وتضحياته ، حتى إذا ما انتهى توجه القوم إلى برك شغوفين باستماع كلمة منه .

وقام القنصل ليخطب وصمت القوم حتى ليحاسبون أنفسهم على أنفاسهم ، ولكن الخطبة لم تأت كما كان يحب الأصدقاء ولا كما كان الجمهور ينتظر ، أو قل إنها جاءت كما شئنا يكره هؤلاء وهؤلاء ، وأعلمها كانت أقرب إلى الاعتراف بالنفس منها إلى خطبة قومية ، استعملها بالظلم في المجتمع وتعاليمه وتوسله إلى الله أن يقيه شرها ، وصرح بكل زبانه بأنه — وهو أكبر عمود في المجتمع — صاحب الفضيحة الكبرى التي أثارت استنزاز الألمان منذ خمسة عشر عاماً ، وأن الفتى جوهان بريء منها ، وأنه هو الذي اشترى جميع الأراضي التي سيمر فيها الخط الحديدى ، ولم يدع غير ذلك إنما افترقه إلا اعترف به ، حتى انتهى وقد أحس أنه وإن كان قد خسر كثيراً ، إلا أن ربحه أوفى على خسارته .

وبترك القنصل الجليج ويترب من زوجه ويسألها أن تغفر عنه وتجيبه المرأة إلى طلبه ، وعلمت أنه لم يكن لها ، أما الآن فستربحه بعد إذ كانت تقاين أنه كان لها ثم خسرته ، ثم يغفر عن أولاد ويعطى له من الوقت ما يشاء لكي يتم إصلاح الفتاة الهندية ، ويغفر عن أولاد ويعده أنه ما عاد متداخلاً في حريته بحيث يرهقه ويهزقه ، وأنه سيهب له حياته يتصرف فيها كيف يشاء .

ويجلس إلى زوجه وأخته ولونا . وكانه يجلس إلى أسرته لأول مرة ، أو كأنه كان دائماً من جراه مرض خبيث ثم أفاق ، ويسأل لونا ، إذا لم يكن بدافع الانتقام قد فعلت ما فعلت ، فبدافع أى شيء ؟ فتجيبه ببساطة : بأنه بدافع الحب القديم ! !

برك — إلى ... إلى ... أيتها السيدة العذراءات الوفيات ! لقد تعلمت الآن أنكن أنتن عمدة المجتمع .

لونا — إذا قد تعلمت حكمة فقيرة ... كلا ... كلا ... إنها آيات الحق والحكمة ... تلك

نجيب محفوظ

هي عمدة المجتمع .

المعرفة في تونس

تطلب « المعرفة » في تونس من حضرتي وكيلينا السيد محمد الأمين والسيد طاهر صاحبي المكتبة العلمية رقم ١٢ نهج الكتبية .

أو من حضرة السيد محمد بن الحاج صالح الثمين صاحب مكتبة الاستقامة رقم ٣٤ نهج سيدى ابن عروس .

في الأدب الانجليزي :

لانجلاند الانجليزي

شاعر الأخلاق والدين

بقلم الأستاذ رشدي مينايل الميسى

تاريخ الأدب الانجليزي حريص على أن يحضر اسم « لانجلاند » ضمن أسماء الشعراء الانجليز الذين ظهوروا في المرحلة الثانية من تاريخ هذا الأدب ، تلك المرحلة التي تنحصر في الفترة بين القمتح النورماندي عام ١٠٦٦ ميلادية ، وبين وفاة (شوسار) الشاعر الكبير ، في العام الأخير من العقد الرابع عشر ؛ فروبرتسون وبروك وثومبسون وغيرهم ممن عالجوا كتابة هذا التاريخ من المعاصرين والقدماء لم ينقذوا الرجل من هذا الحشر ، ونحن ومن سبقونا واللاحقون من دارسي هذا الأدب وراغبى الكتابة فيه لا بد لنا ولهم جميعاً من أن نحذو هذا الحذو بالذات . نعم لا بد لنا أن نحذو هذا الحذو مترجمين خطأ السابقين ، ولا بد لنا من أن نعتبر « لانجلاند » شاعر أ رغم عدم اطمئناننا إلى هذه التسمية التي درجت عليها الأجيال المتعاقبة ، والتي لا يقوم لدينا دليل على صوابها سوى نثر الرجل « المنظوم » الذي لا يعبر عن عواطف النفس وخلجات القلب ، شأن الشعر المطبوع ، وإنما عن أفكار وآراء لا تخاف من تنوع وجدة ، ومن تهكم وتمرد وثورة أيضاً .

أفهم أن يكون الشاعر رسولاً أميناً للطبيعة غير المحدودة والقلب الانسانى الطليق ، ولساناً ناطقاً لما قلما يخطئ . أو يعين ، وإنما يعبر للعالم في صدق مما يحويانه من أسرار الجمال والحق ، بعد أن ينشئ حول هذه الأسرار المذاعة نسيجاً مذهباً من وشى روحه الهائمة الطليقة وشعوره الصادق الجميل ، وأفهم أنه قد يكون الشاعر إلى جانب هذا مفكراً جبار الفكر ، أو مصلحاً بنشد الكمال ، أو داعية إلى مذهب جديد ، إنما لا بد له كما يستكمل رسالة الشعر المخصص لها من أن يملك قدرة التعبير عن مكنونات الطبيعة وعن مكنونات القلب ، تعبيراً رائعاً فيه حياة وقوة ، وفيه حق وجمال ، فإذا أخفق في الاستحواذ على هذه القدرة في الإيالة والتعبير أصبح الأدب في حل من اعتباره شاعراً . . . فأنا « مثلاً » لا بد لي من

الاعتراف بأنه كثيرًا ما يتقاضي عجز عن مشايمة القائلين بأن « فيلسوف المعرفة » قد أدى رسالة الشعر كاملة غير مشوبة، إلا إذا اعتبرنا الشعر ضرباً من الفلسفة، وهذا ما لا يسلم به أحد، وإلا إذا اعتبرنا كل أديب يتناول المواضيع الاجتماعية أو الاقتصادية في صدد بحوثه الأدبية طاملاً اجتماعياً أو إحصائياً في علم الاقتصاد، وهذا ما لا يصح أن يكون، ... بيد أني وإن خالفت مذهب المؤمنين برسالة « الممرى » الشعرية، فلن تنقم هذه المخالفة من عظمة الممرى كـ فيلسوف طامى جبار، وكأحد الدعاة الاجتماعيين ... فالممرى وإن عبر عن آرائه وأفكاره بنظم موزون مقفى، راعى في بعض قصائده مثل « لزوم ما لا يلزم » أن يشتط في تقييد قافيته تقييداً يعجز عنه أربع شعراء العرب، فإن هذا لا ينفى القول بأنه أخفق أو كاد في أن ينقل إلينا رسالة العاطفة الخالصة التي لا يشوبها النهم العميق المعقد، والطبيعة الصريحة غير المحدودة التي لا تعرف قيود الفلسفة ولا تحترم أوضاعها، وهي رسالة الشعر التي لا يتيسر لامرئ مالم يهبط عليه وحيها أن يصبح شاعراً ... ولو أن أستاذنا « العقاد » لم يكشف لنا عن ملكته الشعرية في « ديوانه » وفي « وحيه »، لما ترددنا كثيراً عقب الاطلاع على أى من مؤلفاته الأدبية غير المنظومة أن نحكم بأنه شاعر مطبوع؛ ذلك لأننا لا بد سنحس بنسب عواطفه المؤرجة المليئة بالحياة تهب علينا من بين ثنايا سطوره، وذلك لأنه لا بد ستأخذنا روعة مطمئنة غير غارزة عندما نشاهد لهب روحه الشاعرة تندلع من أكثر أنماط شعره المنثور المبثوث في تضاعيف كتابه، فتداعب أفئدتنا في رفق وتمسح عليها وتطهرها، وذلك لأننا سنسمع موسيقى الانسانية العذبة الساحرة وتهاليل الطبيعة الشابة المرحية غير القائمة تنبعث من معظم عباراته فتملأ علينا أجواز الفضاء.

وأنا أريد بهذا الاعتراض أن أصل إلى نتيجة، وهذه النتيجة بسيطة وممقولة يعرفها الجميع، تتلخص في أن الشاعر ليس كل من يعبر عن آرائه وأفكاره - التي يصح أن تكون عميقة جبارة - بالنظم الموزون المقفى، وإنما لا بد من أن تكون له رسالة خاصة يؤدّيها، ولا بد من أن يتصف حاملها بخصوبة النفس ودقة الإحساس والاثلاف بالطبيعة وسمو الذوق وما يتبع هذا الممو من القدرة على فهم شتى ألوان الجمال والتعبير عنها في إيالة وفي مهولة وفي غير تشويه ... فهل تيسر « للانجلاند » أن يجعل هذه العناصر من ضمن الدعامات التي قامت عليها رسالته؟! في مقدورى أن أؤكد العكس.

لست أريد أن أتقص من أهمية الرسالة التي أداها « وليم لانجلاند » كصلح اجتماعي، وكناثر « حكيم » حمل على نقائص عصره وعلى فساد المجتمع بما له من نظم بالية وأوضاع عتيقة غير عادلة،

هذا المجتمع الفاسد الذي أحاطه المستبدون والنبلاء والأغنياء بهالة من القداسة المفتعلة غير الصحيحة حتى يرضخ له الشعب قسراً ، وإن تجرع في هذه السبيل كأس الذلة والفقر والحوار ضافية مترعة ؛ نعم ، لست أريد أن أتقص من أهمية هذه الرسالة ، فلم يكن « لأنجلاند » من هذه الناحية قرين ، ولو أنه عمد إلى التعبير عن آرائه السائبة غير القائمة ، وعن أفكاره النائرة غير المستكنة بالنثر دون النظم ، لتضاعف إنتاجه الأدبي وزاد وضوحاً ، ولا كتبت كتاباته من هذا الوضوح قوة وتأثيراً ، ولتيسر لأنجلاند أن يستعوذ - بجانب هذا - على ما يستحقه من مركز قد ممتاز في عالم الأدب و« الاجتماع » ، وأخيراً لما تجرأ تاريخ الأدب أن يعده من رجاله « الثانويين » الذين لا يؤبه لهم ولا يمتد باهتمامهم .

ففي عهده - عهد الاقطاع وعهد أرسنقراطية النبلاء في القرون الوسطى - كانت حرية الرأي في أبسط صورها من المحرمات ، وكان أعز ما يبيع فيه الفرد العادي في حياته أن ينال رضا سادته الأشراف ، وإذ لم يكن « لأنجلاند » من هؤلاء الأشراف فقد كان لزاماً عليه أن يتسلقهم وينشد نسمة رضائهم ، ولكنه لم يفعل لأنه كان في تفكيره الحر متقدماً على جيله كثيراً ، لا يستسيغ ضرور الأغنياء ونعمت النبلاء ، ولا يرى لهم ما يبرر ظلمهم للضعيف واستبدادهم بالفقير ، ولذلك غال يتألم لأجلهم ولأجل نفسه ، إذ كان واحداً منهم ، وإنما في صمت وفي سكوت خشية التعذيب أو الموت ، ولكنه لم يقو على الصمت طويلاً ، ولم يرد - بجانب هذا - أن يفرط في رأسه بالثمن التافه ، وهو ما لا بد أن ينتهي إليه مصيره إذا ما أعلن تمرده على الواقع الظالم المظلم في غير حذر أو احتراش .

وتحت تأثير عاملين من حرية الرأي ومن غريزة الدفاع عن النفس رأى « لأنجلاند » أن يحيط أفكاره النائرة العنيفة بغلالة مقدسة من الغيرة الدينية والحماسة الكنسية ، حتى ينال بذلك تعظيم الكنيسة التي كانت تتمتع إذ ذاك بسلطة هائلة تمنحها جباه الإمبراطرة والملوك والنبلاء ، وتحت هذا الستار للشتم من الدين راح « لأنجلاند » يهاجم المجتمع في غير حواطة ، وراح يفضح عيوبه وتقائصه وينتقد الظالمين المنتهكين من الأغنياء والفقراء ، ومن النبلاء وعامة الشعب على السواء ، حتى لا يتهم بالتجيز وحتى لا يجحد أعداؤه ثغرة يلجئون منها للظعن في ميوله وأغراضه والتشهير به وبها .

ولعل لا أعدو الحقيقة إذا التمس التشابه في بعض النواحي بين « لأنجلاند » وبين « فيلسوف المعرفة » ، فكلاهما كان يدعو إلى فلسفة الزهد والتقص ، حتى لقد رضى الانجليز في بعض الأحيان أن ينعموا لأنجلاند به بالنبي الاسرائيلي « لما عرف عن دعوته إلى الزهد ، وعن طباعه الحادة التي لا تلين ، تلك الدعوة وتلك الطباع التي لم تشتهر إلا عن أنبياء اليهود ورسلهم ، والتي تتعارض في مظهرها وجوهرها ، مع ما يجب أن يكون عليه الشاعر من عذوبة النفس وخصوبة بها ، ومن

رحابة الصدر ومرح العاطفة التي لا تحتد من نقص الناقصين ولا من ضعف الضعفاء، وإنما على النقيض من هذا تقيض جنواً وتذوب عطفاً على هؤلاء الناقصين والضعفاء، وتأخذ من هذا النقص وهذا الضعف مادة للتسلية وملهاة للترفيه عن النفس؛ وأنت لا بد ستلمس هذه الميول التي تجعل «لأنجلاند» أشبه ما يكون بناقد اجتماعي يلبس مسوح الرهبان منه بشاعر يخاطب العاطفة وينطق بلغة القلوب في جمال وصدق... لا بد ستلمسها عند ما تروح تقرأه في كل آثاره التي تنوف على السبعة آلاف ونصف الألف من الأبيات الطويلة الروى، وعندما تحس للسبع كلماته النارية التي كأنما هي سياط ملهبة، لما فيها من النقد المر والتهمك اللاذع، ومن العنف الفكري الهادم الذي لا أثر فيه لروح التسامح الشعري، ولا لنظرة الشاعر الشاملة الفسيحة إلى الحياة، التي تحوى هذه الحياة برمتها وتشمها.

وأخيراً نوى «الجشع» صباح يوم ما أن ينال نعمة «سر الاعتراف» المقدس، وإذا كان في طريقه إلى الكنيسة لهذا الغرض لافته «بيتي» بأعنة الحزن بتجديتها المعتادة وسألته عن مقصده فأجابها بأنه متوجه إلى بيت الله لسماع القداس والاعتراف استعداداً للتوبة التي اتواها، فابتسمت «بيتي الخبيثة» وذكرته في استمثار بحمرتها الصافية، وإذا ذلك انهارت نوايا «الجشع» ولم يتالك نفسه من أن يسأل بيتي - في نهم - عما أعدته له بجانب الحزن من أنواع «المزات»، وإذا لمّا أن من هذه الناحية ولج المشرب في عجلة ظاهرة وهو أكثر ما يكون نزوعاً إلى ارتشاف الكأس... وفي نواحي المشرب وقعت عيننا الجشع على كثيرين من رفاقه الكبارين وزوجاتهم من عمال وحوذية ورجال دين، وقد ظلوا جميعاً لدى رؤيتهم صاحبهم «الفاضل»، ثم رأوا أن يكرموا وفادته بكأس مترعة، فشربها مع عشرات مثلها تبادلها مع الحاضرين، وثمة قصف ولهو وغناء صحب الشراب وضجت به أركان المشرب، حتى حلت صلاة المساء وكانت أمعاء الرجل قد اكتظت وناءت بحملها، فقام متثاقلاً مترنحاً يقصد منزله، وكان أن مرض وصرف في فراشه يومين كاملين لا يبدى حراكاً، ولكنه ما كاد ينتبه ويقوى على الحركة حتى قلباً زوجته بقوله: «أين الكأس؟»

فأنت ترى أن هذا كلام قارس عنيف فيه تمك وفيه نقد، ولكنه بعيد عن أن يكون شعراً، ذلك لأنه وإن كان الدافع إليه إحساس صادق بما كان في أيامه من نقص، ولكن طريقة التعبير عنه جاءت مشوّهة معقدة غير جميلة، وأنت لا بد ستستنقع بهذا إذا ما قرأت «لأنجلاند» في أسلوبه الانجليزي المعقد غير السلس المملوء بشتى التعابير التيونونية المهجورة المستعملة في الكنائس والأدب حسب.

وكتابات لأنجلاند تخاطب العقل دون الشعور، وتلتبس انتزاع تقدير القاري لها، دون إعجابها بها ومدادومة مطالعتها، وهو قانع بذلك ما دام قد ضمن لنفسه أن القاري لا بد واجد

نفسه مرغماً على الاعتراف بحجروته الفكرى حثف أنفه ، وهو قانع بذلك مادام قد ضمن لنفسه أن يستدر فزع القارئ من قلمه النارى الهادم الذى وضعه معاصروه بالجنون ، ولعل طؤلاء عذراً فى هذه التسمية إذ لم ينبج أحد منهم من تقدمه الملاحع الصريح ، أو تعريضه الجارح الجرىء ، أو لمزه غير المكشوف الذى يتضاءل أمامه كل نقد وكل تعريض .

ومثل «رهين الحبسين» عاش «لأنجلاند» بين قومه وهو برم بهم وبالحياة معهم ، وافر الازورار ضهم ، وإن كان فى أعماق قلبه أكثر شفقة بهم وحناناً منهم على أنفسهم ، ولكنها شفقة المؤدب بتلاميذه يحبهم بعنايته التى كثيراً ما تلبس ثوب القسوة ، ويخصهم بإصلاحه ، وإن توسل إليه ببعض ضروب الإيهاق ، وهكذا راح «لأنجلاند» فى مجموعته الشعرية «رؤيا الحارث» المتصلة الجوانب والمواضيع ، يحلم ويتخيل كأنه فى برية جرداء قاحلة ، وعن يساره هاوية مظلمة حيث الموت والشیطان ، وعن يمينه منارة الصدق الشاهقة الساطعة ، وبين المنارة والهاوية يقوم العالم الصاخب بما فيه من كافة الأحياء ، أغنياء وفقراء وأشراف وعامة الشعب ؛ وهنا تتجلى روح «لأنجلاند» فى وضوح بما فيها من تمرد وثورة على الأوضاع وعلى مالمها من قداسة القدم ، وبما فيها من حرية فكره التى لا ترضى أن تحتزم حدود الواقع أو تسلم بها ، فيروح يخاطب الفلاحين بقوله : «أيها الفلاحون الأمناء ، يا حاصدى التبر من التراب ، وبانعمة البلاد ، لا تبتئسوا إذ يأتى كل الكسالى من النبلاء زرعكم كأنهم غرابان الحقول ، وأنتم من خلف عماريتكم تكسدون وتنصبون فى غير هواذة أو رفق» .

وقد اختص طائفة الفلاحين الفقراء بهذا الخطاب لأنهم كانوا عماد ثروة البلاد إذ ذاك ، إذ لم تكن هناك صناعة ما ينجحوا أو يغيرها من أقاليم أوروبا ، وبعد هذا ينتقل لأنجلاند من مخاطبة الفلاحين إلى طائفة أخرى مجهولة ، لعلها فئة النبلاء وأشراف البلاد ، فيروح يوجه إليها حديثه : «يا سادتى الكسالى المحترمين ، يا ذوى الملابس الزاهية والجسوم السمينه الناضجة ! لعلكم لا تختلفون كثيراً عن المشموزين من المخزين والسائلين المتجولين الذين لا يعمنون بشيء قدر عنايتهم البالغة بل بطونهم وحقايبهم ، ما أحرى بكم أن تتواروا خجلاً من بطائنتكم ! ! ! .» وهكذا يستمر «لأنجلاند» فى انتقاده المر لى كل طبقات الشعب دون استثناء ، فيتناول عيوبهم ونقائصهم بالتشهير فى أسلوب تهكمى لاذع تشوبه صيغة دينية قائمة غير متعائلة تقمهم القلب وحشة مظلمة وإن أشبعت العقل .

وأخيراً لعلى وفقت لأعطاء القارئ فكرة غير خاطئة عن هذا المفكر الكبير الذى لم ينصفه قومه ، فقللوا من شأن رسالته الحرة كما هو معروف عن خلقهم الذى يأتى الطفرة ولا يشايغ من يخالف الأوضاع والتقاليد .

رشدى ميخائيل السيسى

ليسانسيه فى الأدب الانجليزى

الذكرى

بعد وداع الأصيل

للسيد صالح الحامد العلوى [سنغافوره]

والكون باد في جلال مهيب	نظرت والأفق بديع خضيب
والشمس عجلت قد دنت للعيب	البحر في هدأته خاشع
كالذهب الذائب أو كالاهيب	ألقت على الكون سني يامراً
صفراء في لون الهزيم الكثيب !	هاجها جيش الدجى فازوت
- من صبغة الشمس - بلون عجب	والريش موشى النواحي بدا
يهز في برد الأصيل القشيب	يا حسنة ! حين بدا زامراً
والزهر بسام كنفه الحبيب	يرفك الغصن به : راقصاً
يرد على الأملبار وهو الخطيب !	والبلبل الشاذى به : صادقاً
تملاً بالسحر فؤاد الأديب	بحيرة زائنه رقرقة
لها من الذهب إطار ذهيب	تخالها المرأة بحلوة

من شادن ذى منظر سساحر	وكم ترى ما بين أدواحها
أنموذجاً للناحت الماهر	في فده أبدع ما ينتقى
جمال ذاك المشهد الباهر	جلست في ناحية أجبلى
بقعة المهجبة والناسار	وأرتوى من حسن تلك الرؤى
أشقى من النوم إلى الساهر	والريح تأتي بالندى سحسجاً
رسائل من عرفه العاطر	والزهر يهدى بأنفاسها
خواطر الاطعام للشاعر	فهذه الروضة مما بها
رايتى كالحاتم الحائر	حادثنى الذكرى ففى خطرة
أصيح : هل لليل من آخر ؟	في غسق الليل وريعانه

صالح الحامد العلوى

أشيك كريب

[قصة تركية للشاعر ليرمونتوف]

كان في مدينة «تفليس» رجل تركي وهبه الله بسطة في الرزق ووفرة في المال، وأعطاه ما هو أغنى من الذهب والفضة ... ببيتة الوحيدة الجميلة «ماجول مجيرى»، وكانت هذه الفتاة أجمل فتيات تفليس، كما أن الملائكة أجمل من السماء .

وكان في «تفليس» أيضاً رجل فقير يدعى «أشيك كريب» ليس له من المواهب سوى قلبه النابض وصوته العذب، فكان يذهب إلى حفلات الزواج فيدخل على الأغنياء السرور بحسن توقيعه على آلته الموسيقية وغناؤه الشجي، يشيد بذكر أبطال تركستان القدماء وما قاموا به من ضروب الشجاعة والفروسية، تحدث ذات يوم أن «أشيك كريب» كان يغنى في حفلة عرس، فرأى الفتاة «ماجول مجيرى» وراته، فجذب كل منهما الآخر نحوه، ووقعا صريحا غرام بهيم كل منهما بالآخر .

وطبيعى أن لا يكون عند الرجل الفقير أمل في الاقتران بمن أحب، فوقع فريسة الهموم والأحزان، وبينما هو راقد ذات مرة في حديقة تحت أشلال الكروم يفت في نوم عميق إذ مرت به «ماجول مجيرى» بصحبة صديقات لها، فأبصرته إحداهن فذهبت إليه وقالت له وهي تغنى وتضحك :

— أيها الرجل المجنون ! لماذا تنام تحت الكروم وغزالك يمر بك ؟

فاستيقظ الرجل على صوتها، وأسرع النتيات في الهروب من أمامه، فأثبت «ماجول مجيرى» صديقتها على غنائها لرجل لا تعرفه، فقالت الفتاة :

— لو كنت تعلمين لمن كنت أغنى، لقدمت إلى أنسى عبارات الشكر؛ إنه «أشيك كريب» .
— إذن فلنذهب إليه .

ورأت «ماجول مجيرى» آثار الكآبة على وجهه، فحاولت أن تخفف عنه، وسألته عن آله فقال :

— وكيف لا أحزن ؟ وأنا أحبك، وليس لدى أمل في الاقتران بك ؟

— اذهب إلى والدي وأطلب يدى منه ، وسيحتفل والدي بزواجنا بأمواله ، وسيعطينى من الهدايا والأموال ما يكفينى للمعيش معاً سعداء .

— هذا جميل ! وإذا فرض أن أباك « آجا » لم يصدق عليك ، فمن يضمن لى أنك سوف لا تبغدين عنى لأى ملاقى ولأنى مدين لك بكل شىء .

كلا يا عزيزتى « ماجول » ! ! لقد وهبت نفسى لك ، وأقسمت أن أتجول سبع سنوات ، فاما حصلت على الثروة والغنى ، أو هلكت فى إحدى المفاوز الموحشة ، فإذا كنت تصممين مثلى على الانتظار هذه المدة فستكونين لى .

فوافقته الفتاة وزادت على ذلك : أنه إذا لم يحضر فى اليوم المعين فستكون فى حل من وعدها ، وستزوج « خورشيد بك » الذى خطبها من زمن .



عاد « أشيك كريب » إلى أمه يسألها الدعاء له بالتوفيق فى رحلته ، وقبل أخذه الصغيرة : ثم حمل حقيبته على ظهره ، وأمسك عصاً خفيفة ، ثم خرج من « تيليس » فلاحق به فارس على صهوة جواده ، فالتفت إليه أشيك كريب ، فإذا به خورشيد بك يقول له : أتمنى لك حظاً سعيداً فى رحلتك ، وسأرافقك فى تجوالك أنى ذهبت .

فامتعض « أشيك » لوجود مثل هذا الرفيق معه ، ولكن لم يكن بد من الواقع ، فسارامدة ماوية حتى اعترضهما نهر ليس عليه قنطرة أو قارب ، فقال خورشيد بك لرفيقه : تقدم أمامى واعبر النهر وسألتحق بك .

فخلع أشيك كريب ملابسه يقذف بنفسه فى الماء حتى بلغ الشاطئ الآخر ، ونذار لصديقه فإذا خورشيد بك - لسوء الحظ - يأخذ الملابس ويقفل راجعاً إلى « تيليس » بسرعة غريبة ، حتى لم يظهر منه وسط المتحول إلا عاصفة من التراب المنهب من ركض جواده ، فلما بلغ تيليس ذهب إلى أم أشيك كريب يحمل ملابس ابنها ويقول : لقد غرق ولدك فى نهر عميق ، وهاهى ذى ملابس .

فحزنت الأم وسقطت على ملابس ابنها تذرف دموعاً حارة ، حزناً على فائدة كبدها ، ثم حملت الملابس إلى خطيبة ابنها « ماجول بجيرى » وقالت لها :

— غرق ابنى ، وحمل خورشيد بك ملابسى إلى ، فأنت الآن فى حل من وعده ، فقبضت « ماجول » وقالت :

— لا تصدق ذلك ، إن هذا كله كذب من خورشيد بك ، وأنا لن أتزوج مخلوقاً ما قبل مضى السبع السنوات . ثم أمسكت بآلاتها الموسيقية ، وطلقت نغنى أناشيد أشيك كريب .

كان أشيك كريب إذ ذاك عارياً وبدون حذاء، وقد وصل إلى قرية استطعم أهلها، فأحضروا له ما يريد من مأكل وملبس، فأخذ يغني لهم أغاني عذبة شجية، وتنقل من قرية إلى قرية، ومن مدينة إلى مدينة حتى اشتهر في كل مكان؛ وأخيراً بلغ مدينة «خالاف» فذهب إلى مقهى ينتهى به، وكان في خالاف إذ ذاك رجل غني كلف بالغناء لمحبة المغنين، فكان يذهب إليه عدد من هؤلاء الغنائين يعرضون فنهم عليه، فلم يجبه أحد، وأجهد خدمه في البحث له عن مغنين في كل ركن من أركان المدينة، وبينما هم يطوفون في أرجائها إذ سمعوا صوتاً جليلاً في المقهى، فأسرعوا إلى «أشيك كريب» قائلين:

— لتذهب معنا إلى الباشا العظيم، وإلا أرغمناك قهراً على الذهاب.

— إني رجل مهاجر من مدينة تمليس، وإني حري في ذهابي أنى شئت، وإذا لم أرد الذهاب إلى مكان ما، فلا يرغمني أحد. إني أغني متى أشاء، أما ذلك الباشا فليس بيدي حتى أصدع لأمره.

فلم يحفلوا بقوله، بل حملوه إلى الباشا، فأمره أن يغني فأشد مدائح في حبيته «ماجول» ويرى فأعجب الباشا بغنائه وأمره أن يبقى معه، وأعدت عليه كثيراً من الذهب والفضة ووضبه خلعاً سنياً؛ فعماش أشيك كريب سعيداً جداً، وأثرى ثراءً فاحشاً.

ولا أدري إذا كان قد نسي حبيته «ماجول» أم ما زال يذكرها، لأن السنين السبع كادت تمضي، ولم يظهر «أشيك» أى استعداد للرحيل إليها؛ وأبدأت «ماجول» تنشط من حضوره، حتى إنها ما كادت تسمع أن أحد التجار في تمليس سيسافر ومعه أربعون جلاً وثمانون عبداً حتى استدعت التاجر إليها وأعطته طبقاً من ذهب، وقالت له:

— خذ هذا الطبق واعرضه في كل مدينة تحيط بها رحالك، ومن ثبت لك أن هذا طبقه أعطه له، وسأ كافئك بنقله ذهباً.

فرحل التاجر وعرض الطبق في كل بلد حل به، فلم يتقدم إليه أحد يدعي ملكية الطبق الذهبي، حتى باع الرجل معظم تجارتهم وذهب بالباقي إلى «خالاف»، وفيها عرض الطبق أيضاً، فسمع به أشيك كريب فأسرع إلى التاجر ليراه فأمسكه وقال: «هذا طبقى!!»

— نعم، صحيح ما تقول، فأني عرفتك بأشيك كريب، أسرع إلى تمليس، فإن ماجول يجري أمرتى أن أخبرك أن السبع سنين كادت تنقضي، وأنها إذا لم تحضر إليها في الوقت المحدد ستزوج بغيرك.

فأسقط في يد أشيك، وأسند رأسه بكفيه، إذ لم يبق على الميعاد سوى ثلاثة أيام؛ ومع ذلك فقد ركب جواده وأخذ معه حقيبة مكدسة بالأموال، وسار في طريقه يبحث

جواده حتى أجهدته ، وسقط صريعاً ، على تلال أرزينجيان التي بين أرزينجان وأضروم .
 فإذا يعمل ذلك المسكين ، وتقليس على مسيرة شهر ، وليس لديه من الوقت إلا يومان ؟ ... وأخيراً
 رفع رأسه إلى السماء وقال : أيها الإله القدير ، ليس لي من أمل في الحياة إن لم تغنني برحمتك .
 ويثس من الوصول إلى بلده ، وكاد أن يقذف بنفسه من أعلى قمة تل مشرف ، ولكنه
 أبصر فارساً على جواد أبيض ، وسمع صوته يقول :

— أيها الشاب ! ما الذي عولت عليه ؟

— أريد أن أموت .

— إن كنت تريد الموت فانزل لا قتلك .

ولا أدري كيف استطاع «أشيك كريب» أن يتزل من أعلى التل في تلك الناحية الصخرية
 الفجائية الانحدار ، على أنه حين كان بين يدي الفارس سمعه يقول بصوت مرتفع اتبعني ، فقال له :
 — وكيف لي أن أتبعك وجوادك يسرع كأنه الريح ، وأنا مثقل بحمل كبير ؟
 — علق حملك بسرج جوادى واتبعني .

فأسرع أشيك كريب في الجري جهد طاقته ، ولكنه لم يستطع اللحاق بالفارس ، فقال
 هذا له : لماذا تبطئ ؟

— وكيف لي أن ألحق بك وجوادك أسرع من ملح البصر ، وأنا رجل متعب ؟

— إذن اركب خلفي وأصدقني القول ... إلى أين تريد الذهاب ؟

— حيثما لو استطعت اليوم الوصول إلى أضروم .

— أغمض عينيك انظر الآن .

فنظر أشيك كريب حوله ، فإذا مدائن أضروم وأسوارها البيضاء تتجلى أمام عينيه .
 فقال للفارس : سيدي اسامحني فقد أخطأت ، لقد كنت أريد أن أقول إنه لا بد لي من
 الذهاب إلى كارز .

— لقد أمرتك أن تقول الصدق ، وحذرتك الكذب ، ولكني سأعفو عنك هذه

المرة . . . أغمض عينيك . . . افتحهما الآن .

فلم يصدق أشيك كريب نفسه ، حيناً رأى «كارز» أمامه ، غر جائياً على ركبتيه
 أمام الفارس يقول :

— إنني مذنب يا سيدي . . . هبك أشيك كريب يستميتك عذراً لكذبه ، ولكنك تعلم

أن الرجل الذي عزم على الكذب في الصباح يكذب طول يومه ، وفي الحقيقة أنني أريد
 الذهاب إلى «تقليس» .

فقال الفارس غاضباً : إنك إن تصدق ، وإن يعتمد عليك ، ولكنني سأعفو عنك . . .
أغمض عينيك . . . انظر الآن .

فصاح أشيك كريب فرحاً ، لأنه كان على أبواب تلميس ، فشكر الفارس شكراً جزيلاً ،
وأخذ حقيبته من المرح ثم قال للفارس :

— إن منتك لمظيمة ياسيدي ، فهل لك أن تزيدني مكرمة أخرى ؟ إني إذا حدثت أحداً
عن رحلتني من أرورجمان إلى تلميس في يوم واحد ، فلن يصدقني ، فهل أجد عندك
دليلاً يزيد قولي ؟

فتبسم الفارس وقال : خذ قطعة من الأرض تحت حافر جوادى وضعها على صدرك ،
فإن لم يؤمن أحد بقولك دعه يحضر لك امرأة ضريرة فقدت بصرها منذ سبع سنين ،
واسمح عينيهما بقطعة الأرض فأنها تبصر في الحال . فأخذ أشيك جزءاً من الأرض ، ولكنه قبل أن
يرقع رأسه لم يجد الفارس ولم ير جواده ، فاعتقد في نفسه أن الفارس لم يكن غير «الخضر الياس»

لم يستطع أشيك كريب أن يجد منزله إلا متأخراً جداً ، فطرق الباب بيد مرتشة وهو
يقول : أماء ! أماء ! افتحي الباب ، فإني ضيف الله . . . أكاد أموت برداً وجوعاً . . .
أنضرع إليك بحق ابنك السائح أن ترجميني وتدعيني أدخل .

فأجابته المرأة بصوت خافت : عندك منازل الأغنياء والأقوياء ، وفي المدينة حفلات زواج
اذهب إليها لتمضي ليلتك في أحسن حال .

— أماء . . . إني لأعرف أحداً هنا أنضرع إليك أن تجيبي طلبى بحق ابنك السائح ،
دعيني أدخل .

فقال : أخته لأمها : سأذهب وأفتح له الباب .

فقات لها أمها : وأنت أينما الخائبة ، يدرك أن تستقبلي الشبان في المنزل وتلهين معهم منذ
فقد بصرى من كثرة بكائي على ولدى .

فلم تأبه الفتاة بقولها ، وفتحت الباب فدخل «أشيك كريب» وقرأ السلام وجلس ينظر حوله
فرأى آلة الموسيقى معلقة وقد علاها التراب ، فقال لأمه : ما هذا الذي علق على الحائط ؟

— إنك ضيف غريب ، ألم يكفك أننا صنعنا لك كسرة خبز ، وفي الصباح نقول لك
مع السلامة ؟

— إني أخبرتك أنك أمي ، وهذه شقيقتي ، فأرجوك أن تخبريني عما علق على الحائط .

فلم تصدق الأم ، وقالت غاضبة : إنها آلة موسيقية .

مامعنى آلة موسيقية ؟

— آلة توقع عليها النغمات ويغنى عليها .

فطلب أشيك كريب من أخته أن تحضر الآلة له ، فقالت الأم :

— إن ذلك من المستحيل ، فإن هذه آلة ابني المائر الحظ ، وقد مضى سبع سنوات

وهي معلقة لم يمسه بشئ .

ولكن أخته قامت وأحضرت الآلة الموسيقية له ، فرفع رأسه إلى السماء ودعا ربه قائلاً :

يا إلهي العظيم ! إذا نلت ما أتعنى فسأغنى على آلتى الموسيقية ذات السبع أوتار ، كما كنت

أغنى سابقاً . ثم جالس بين أصوات الأوتار وطاقى يغنى :

« إننى متجول مسكين وكلامي لا قيمة له . »

« ولكن « الحضر إلياس » ساعدنى فى نزول متحدر صخرى ،

« مع أنى متجول مسكين وكلامي لا قيمة له . » .

فتنهدت أمه وسألته عن اسمه فقال لها : اسمى راشد .

— اسمع يا راشد ! إنك قطعت نياط قلبى بكلماتك هذه ، وقد حلت هذه الليلة أن شعر

رأى قد ابيض ، ومضى سبع سنوات منذ فقدت بصرى من بكائى ، فخبرنى : إن صوتك يشبه

صوته تماماً ، فتنى يعود ابنى إلى ؟

وكررت سؤالها مرتين وهى بحبشة بالبكاء ، فأخذ يدلل لها أنه ابنها ، ولكنها لم تصدق

قوله ، وأخيراً قال : اسمح لى بأماه أن آخذ آلتى الموسيقية وأذهب ، فقد سمعت عن حفلة

عرس بجواركم ، وسترشدنى أختى عن الداريق ، وسألعب على الأوتار وأغنى ، وما سينالنى

من عطاء سأقسمه بيننا .

— إننى لا أسمح لك بذلك ، فإن تلك الآلة لم تخرج من المنزل مدة غياب ولدى .

فأقسم لها أنه سيرد الآلة سليمة كما هى ، وأنه مستعد أن يضحي بكل ما يملك إذا قطع وتر من

الأوتار ، فقامت العجوز حقيبتها ، ولما أيقنت أنها مكدسة بالأموال أذنت له بالذهاب ، وقادته

أخته إلى منزل رجل من السراة حيث أقيمت حفلة عرس ، ووقفت الفتاة بجوار الباب ترى

ما سيحدث .

فى هذا المنزل كانت تقيم « ماجول بحيرى » ، وفى هذه الليلة كانت ستعرف إلى خورشيد بك ،

الذى جلس بين أقربائه وأحبابه يقصفون ويمزحون ، وأما العروس فكانت خلف ستارين ، صديقات

لها ، وقد أمسكت بإحدى يديها كوباً من السم ، وبالأخرى قبضت على خنجر حاد ، وأقسمت

أن تموت قبل أن تمام فى غندع « خورشيد بك » . وبينما هى كذلك إذ سمعت من خلف الستار

صوت رجل غريب دخل الحقل وهو يقول : السلام عليكم ... أتم الآن في سرور وحبور ،
فهل تسمعون لتجول مسكين أن يحيا لكم ويشنف آذانكم بقنائه ؟

فقال « خورشيد بك » : ولم لا ... ليدخل من شاء من المفين والراقصين ، فأنا في حفلة
عروس ، غننا أيها الرجل وسأعطيك حفنة من ذهب ، ثم سأله خورشيد عن اسمه فقال : أدعى
« ستعرف حالا » ، ففتحك خورشيد بك وقال : ما هذا الاسم ؟ هذه أول مرة أسمع فيها اسماً كهذا .
— عندما وضعتني أمي جاء كثير من جاراتها يسألنها عما إذا كان المولود ذكراً أم أنثى ، فكانت يجيبهم :
« ستعرفون حالا » ، ولذا سميت بهذا الاسم . ثم أخذ « أشيكت » آلهته الموسيقية وابتدأ يغنى :
« في مدينة خلاف شربت خمرأ ،

ولكن وهبني الله أجنحة ،

فطرت ووصلت إلى هنا في ثلاثة أيام »

وكان خورشيد بك أخ ضعيف العقل ، فلما سمع الغناء جرد خنجره وقال : إنك تكذب ،
كيف تصل من « خلاف » إلى هنا في ثلاثة أيام ؟

— ولماذا تريد قتلي ؟ إن المقتين يجمعون كل ما في المعورة بمكان واحد ، ولم أطلب منك
أن تصدق ما أقول .

فقال خورشيد : دعه يكمل غناؤه . فأنشد أشيكت .

« أدبت صلاة الصبح في وادي اوزيجان ،

وصلاة الظهر في أرضروم ،

وصلاة العصر في كارز ،

والمغرب والعشاء في تقليس ،

فقد وهبني الله أجنحة وبها طرت إلى هنا ،

عسى الله أن يجمعني قريباً للحصان الأبيض ،

فقد كان يسرح في ركضه كأنه راقص على الجبل ،

وكان يقفز من أعلى الجبال إلى المنخفضات ومن المنخفضات إلى الجبال »

« إن الإله وهب أشيكت أجنحة بها يطير إلى هنا في وقت ستر في ماحول محيري » .

عرفت النثاة صوت حبيبها فألقت السم ولتلتجر : فتغامت رصديقاتها وهمن لبعضهن قائلات :
لقد عزمت أن تكون زوجة لخورشيد بك .

فسمعت ماحول كلامهن فقالت : إنكن لم تعرفن أعز الأصوات لدى ، ولكني عرفته ؛
وأخذت مقصاً مزقت به السر ، ولما رأت حبيبها أشيكت صاحت وألقت بنفسها في أحضانها

وطوقت عنقه بذراعيها ، ونسى كل من الجبيين نفسه ، فلما رأى أخو خورشيد بك ذلك المنظر أخرج خنجره وأراد النكت بهما ، ولكن خورشيد بك منعه وقال .
- هدى ، تفسك واعرف أن المرأة لا يفتل مما كتب له منذ ولادته ، وما كتب على الجبين لا بد أن تراه العين .

ولما استمادت النفاة شعورها أحمت بخزى مما آتت ، ففطت وجهها الجليل بيديها واختفت وراء الستار . ونظر خورشيد بك إلى غريمه وقال : لقد تبينت أنك أشيك كريب حقاً ، ولكن خبرنا كيف وصلت إلى هنا في ذلك الزمن الوجيز ؟

- لاثبت لكم صدق قولي أقدم لكم سيفي هذا وهو حاد جداً ، فإن كنت كاذباً فدونكم رقبتي ؛ ولكن يستعصن أن تحضر المرأة فقدت بصرها منذ سبع سنين فساء عيد لها بصرها . وكانت أخت أشيك على مقربة من الباب تسمع كلامهم فأمرعت إلى أمها تقول : أماه ! إنه أخي ... لقد كان ولدك أشيك كريب . وقادت أمها إلى حفلة العرس ، فأخذ أشيك كريب قطعة الأرض وأذابها بالماء ولطخ بها عينى أمه ، وهو يقول سترون جميعاً مقدار قوة « خضر الياس » ، وفي الحال شفيت أمه ، فلم يحمر أحد أن يكذب أقواله ، وتنازل له خورشيد بك عن عروسة الجميلة « ماجول مجيرى » . فسر أشيك كريب ، وقال له : اسمع يا خورشيد بك ، إتنى أقدم لك أجمل العزاء ، ولكن أختي ليست بأقل جمالا من ماجول مجيرى ، ثم إنى صرت غنياً ، وسيكون لأختي حظ من ذهبي وفضي ، فإن شئت زوجتك منها ، فتكون سعيداً بها ، كما سأكون سعيداً بحبيبتى العزيزة ماجول مجيرى . ما

المعرفة في السودان

تطلب « المعرفة » في السودان من المكتبات الآتية :

- ١ - مكتبة البازار السوداني بالخرطوم
- ٢ - « زكى أفندى جرجس بطليموس »
- ٣ - « النهضة العربية » بأم درمان
- ٤ - « البازار السوداني »
- ٥ - « الميرغنية » بكسلا
- ٦ - « البازار السوداني » بمطبرة

اننى كنت كتوماً

للأستاذ عبد اللطيف ثابت

عائد بالصبر ، لولا خاطر أرث الأحران ، لولا ذكرى
كم جهدت أكتم الآلام دهرأ أحسب الجدى على الصبر يواتى
يخدع الناس ابتسأى
وبأحشأى كلامى إنى كنت كتوماً

وأني من أسي مستعصم حذر الواشى وخوف اللوم
لى فى الوحدة ما قلبى هفا منه ، ما غص بصدري والقم
وإذا أبصرت أضحك
وتكاد النفس تهلك إنى كنت كتوماً

وإذا جرّ حديثاً مجلس فأنار لاجئاً كنت كتمته
أنهج السمار فى حذق الموارى منهجاً ما كنت من قبل اعترمته
وأداجى القوم فيه
خوف ما لا أبتغيه إنى كنت كتوماً

ألمح الزهر نضيراً كاد أن ينطق القدم العبي شاعرا
وأصيح للطيور غردت هايجاً ترنيمها الخواطر
ثم أخفيه شعورا
وأخاف أن ينورا إنى كنت كتوماً

وأرى للماء في جدوله منظر العاشق ما تمثلاً
 فإذا ما خفت ذكرى لحظة كنت قد أشهدت فيها جدولا
 أرقب الماء اختلاسا
 وأخلى احتراسا إنني كنت كتوماً

وأنا اليوم ضعيف كئيباً قلت صبراً ثار بالصبر الجزع
 ذكرياتي ، تلك حلم ، غفوتي ولقاء الناس إياي الفزع
 برم قد خاب جدى
 فإذا خنت بعمدي فلقد كنت كتوماً

إن في الدنيا من الأسرار ما يشعر الناس به مستكرين
 فبحوا قدسية إذ قدسوا بعض ما فيه لنا ظلم مبين
 وتولائم فضول
 أينما جلتُ يحولوا وأواربهم كتوماً

كان خيراً لو نشأنا صرخاء وقد رنا في مناخينا الطبيعة
 إن خلق الله في الكون سواء ونداء الطبع من صوت الشريعة
 فإذا ما شئت راحه
 فاتبع خلق الصراخه

واخش أن تلقى كتوماً
 عبد اللطيف ثابت

فروبل

مؤسس رياض الأطفال

تناولنا في الجزء من الماضيين الكلام على نشأة (فروبل) وحياته كمدرس، والمعاهد التي اشغل فيها، ومؤلفاته وأسلوبه الكتابي. وفي هذا الجزء نتمم البحث بعرض آرائه في التربية، وفلسفته فيها وطرقه العامة في تنشئة الأطفال. وبهذا الفصل ينتهي الكلام عنه.

لم تكن لفروبل فلسفة بالمعنى المفهوم من مدلول كلمة فلسفة، اللهم إلا إذا سمحنا لجعلنا ما لبعض آرائه ومبادئه من قيم معنوية شأن الفلسفة، فإذا جاز هذا صح لنا أن نقول: إن فلسفة (فروبل) فلسفة ناقصة، لأنها لم تكن قائمة على دعائم ثابتة ولا أسس متينة، ولأنها كانت مبهوشة مشوشة لا تعرف المقدمات ولا تعتبر النتائج، ولهذا كان من المسير جداً عند أئمة التربية أن يطلقوا عليها كلمة «فلسفة»، بل أكثر من هذا اختلفوا فيما إذا كان يجوز تسميتها أفكاراً أو آراء، وفي هذا معذورون، لأن حياة (فروبل) المتناقضة واختلاط آرائه ببعضها ببعض، وميله إلى الطبيعة، وعدم اعتياده على القوانين والنتائج، كانت تظهر آرائه بظهور الفقايع التي لا تلبي كثيراً حتى تتبخر في الهواء.

يضاف إلى ما تقدم تأثره بالأحلام الفلسفية تأثراً بعيد المدى، ورسمه لنفسه مثلاً علياً بعيدة التحقيق صسبة المرام، مما جعله رجلاً أحلام لا رجل تفكير، فضلاً عن رجل فلسفة، فكانت فلسفته - وفي هذا ما فيه من التجوز اللغوي - فلسفة خيالية أكثر منها خطية واضحة معلومة قائمة على المنطق والبرهان، خاضعة للادعاء والدليل.

مبادئ فروبل في التربية

عبر (فروبل) عن التربية بمعناها الصحيح بأنها ملائمة المثل الأعلى، والمثل الأعلى في نظره هو الدين. وقد ضمن غرضه هذا كتيبه وبني آراءه عليه مصاغاً في فكرة واحدة تلك هي (فكرة الوحدة) أو (قانون الوحدة)، بشرط أن يتميز على طريق نشاط الطفل العقلي الذاتي الذي يصبح الاستمرار والدوب، لكي تؤتي التربية أطيب الثمرات.

ولهذا نجد أن أهم مبادئه التي بنى عليها طريقه في التربية، هي ثلاثة:

(١) قانون الوحدة ، أو الارتباط : ويقصد به بيان أن كل شيء في هذا الكون مرتبط بمعضة ببعض ، متحدة أجزاؤه بعضها ببعض ، معولة بعملة واحدة ، خلقها خالق واحد ، مثله في ذلك مثل الطفل الصغير الذي هو جزء صغير جداً من النوع الإنساني ، ومع ذلك فهو وحدة مستقلة تامة في الإنسان ، فيه كل بذور المواهب الإنسانية من جسمية وعقائية وخلقية ، وهذه مستعدة للنمو عند تعهدنا .

ويريد (فرويل) أن يثبت ضرورة الارتباط والتشابه بين جميع معارف الطفل ، أي أن كل ما يدرسه يكون ذا صلة بما سبق إيساله إلى ذهنه ممهداً لما ، يتبعه « وذلك بالأشياء القريبة منه والمحيطة به حتى يسهل على الطفل إدراكها » .

وباتباع هذا القانون في تربية الطفل يحصل على الفوائد الآتية : —

١ — التمكن من فهم طبيعة الطفل .

٢ — تمكين الطفل من فهم العالم المحيط به .

٣ — تمكيننا من إدراك قدرة الخالق جل وعلا ، وذلك بدراسة الطبيعة والتدقيق في محضها .

(٢) قانون النشاط العقلي الذاتي : وهذا القانون يوضح لنا أن كل شيء في هذا الكون

— سواء أكان نباتاً أم إنساناً ، أم حيواناً — ينمو ويترج بواسطة قواه الداخلية ، وبواسطة التأثير الخارجى . ثم يزيد على ذلك فيثبت لنا أن في الإنسان الذي وهبه الله العقل والإدراك تكون هذه القوى عنده باعثاً لكل أعماله في الحياة .

ويريد (فرويل) أن يبين للمربي ضرورة اشتغال الطفل بنفسه واعتماده على ذاته في تحصيل المعلومات وتنمية قواه العقلية عن هذا الطريق ، طريق النشاط الذاتي العقلي ، الذي يقول (فرويل) عنه « إنه ينمو بنسبة ما ينمو الإدراك الحسى ، وإنما يمكن تصويبه إلى إدراك كبد الحقيقة في وقت أقصر » .

ويقول « روسو » : يجب أن يكون الطفل معلم نفسه . يريد بهذا ما يطلق عليه المربون (التعليم الذاتي) .

وباتباع هذا القانون تثبت المعارف في نفس الطفل وترسخ في ذهنه ، لأنها تتعرب إليه عن طريق الاختبار النفسى ، وبذلك يعود الطفل الاعتماد على نفسه .

(٣) قانون التطور : يقصد بهذا القانون بيان أن كل شيء في هذا الكون قابل

للتطور ، سواء أكان إنساناً أم حيواناً أم نباتاً ، وأن فكره وعمله لا بد له من التطور فيه حتى يبلغ القدر المعلوم ، وأنه لا يوجد شيء يقف تطوره عند حد معين بلا سبب ، فحبة القمح مثلاً إذا تمهدت بالفرس والسقى فإنها تنمو وتزدهر وتثمر ، وتظل في نموها وتطورها

حتى تنتج بذوراً جديدة ، وهذه بدورها تنمو وتقوى بما تستمد من عود البذرة الأولى التي زادت حياتها الجديدة نمواً وقوة .

ويريد (فروبل) بهذا القانون أيضاً أن يثبت للمربي أن ذهن الطفل حاد بفطرته ، وأنه يستمر في التثبور والنمو ما لم يوقف نموده ، ولهذا فهو محتاج إلى الغذاء والرياضة والراحة ؛ بل لا ينمو نمواً صحيحاً إلا بحفظ هذه الشروط ، وباتباع هذا القانون في تربية الطفل يمكن تنمية قوى الطفل الجسمية والعقلية والخلقية تنمية صحيحة .

طرق فروبل العامة

وضح مما تقدم نشره في الجزئين الماضيين عن حياة (فروبل) أنه كان ميالاً إلى الحرية بطبعة ، مندفعاً نحوها بعزيمته ، ولهذا يلاحظ القارئ أن تأثره بهذه النزعة جعله يعتمد في وضع طرقه في التربية على دراسة المشاعر الحرة ، وقد قال في هذا الصدد : إنه يلزم مبدئياً أن تكون التربية الحقة - النمو والتعليم والتمرين - على ثلاث درجات :

١ - غير مباشرة ولكنها تابعة .

٢ - مرشدة فقط ، حارسة في نفس الوقت .

٣ - لاراعمة ولا أمرة ولا متداخلة .

أما ما يقصده (فروبل) بالطريقة غير المباشرة التابعة ، فهو المرشدة دون ظهور ، والتابعة لقيادة الطفل ، وتمييز القوة المبتكرة فيه ، بحيث يكون المرشد ناظراً إليه بعين الرعاية والعطف كرر ينمده حتى يفتح دون أن يعرض له بسوء .

فعلى المربي إذن أن يلاحظ أن بيئة الطفل تساعد على النمو الصحي ، لكي يتمكن من فهم نصيبه الحقيقي في الحياة ، وتكون هذه هي الطريقة الطبيعية ، وإلا كان العمل بعكس ذلك خطأ ، ولا ينتج الرديء إلا أردأ . مثال ذلك : يلزم لتنمية الكرم أن تقلم أشجاره تهذيباً وتشذيباً ، ولا يقوم بهذا العمل كل إنسان ، ولا أي إنسان ، وإنما يقوم به أناس مخصوصون ذوو دراية وخبرة خاصة ، وإلا تلف الكرم من أوله إلى آخره نتيجة تكليف إنسان - لا قدرة له ولا خبرة - القيام بهذا العمل .

وعلى هذا القياس تقاس تربية الطفل ، فإن الأم أو المربية كثيراً ما تحب الطفل وتحبوه بصداقة زائدة ، ولكنها ربما عاقت أو أثقلت نموه الصحيح بسبب جعلها واستعمالها طرقاً معينة خطأ ، يضاف إلى ذلك عدم خبرتها ونقص تربيتها .

ومن هنا يظهر جلياً خطر استعمال الطرق الخاطئة النائرة ضد طبيعة الطفل ، ولذلك يحذر فروبل البستاني المتعمر والمربية المدربة من الوقوع فيها .

حقيقة أشار (فروبل) بأن تكون طرق التعليم غير مباشرة في كل الأحيان تقريباً ، كما أشار إلى أنها يجب أن تكون غير مرغمة ولا أمرة ، ولكن هناك ظرفاً يتحتم فيه أن تكون كذلك ، بل يجب استعمالها فيه ، وذلك عند ما نرى أن حياة الطفل قد ضلت ، واستمر في سبيل الخطأ غير التزيم ، وبدون ذلك تضيع الحياة برمتها هباءً . ومع ذلك فقد تكون الطرق المباشرة قبل أوانها وفي غير موضعها إذا استعملت قبل أن يبلغ الطفل سن الرشد ، أي قبل أن يفرق بين النافع والضار .

غير أن فروبل يحتم الطرق المباشرة عند ما يراد تعليم « حقيقة عظيمة مهمة » ، أو أن يراد « وضع مثل أعلى في الحياة للأطفال » : مثال ذلك أن يعلّمهم أن الأشياء الروحية لا الدنيوية هي التي يمكن جعلها مثلاً علياً ، فيذكر لهم سير القادة والعلماء . . الخ .

وصفوة القول أنه يلزم أن تكون عند الأطفال حرية في التعبير عن آرائهم وحياتهم لأنفسهم ، ومراعاة الفضة لكما استوجبت الحال ذلك ، لأن الحياة لا تتخلو من إرغام الإنسان على أعمال كثيرة ، ولكن يجب أن يكون الإرغام آتياً من الداخل ، فيقول الولد « يجب علي » بدلاً من أن يقال له « يجب عليك » .

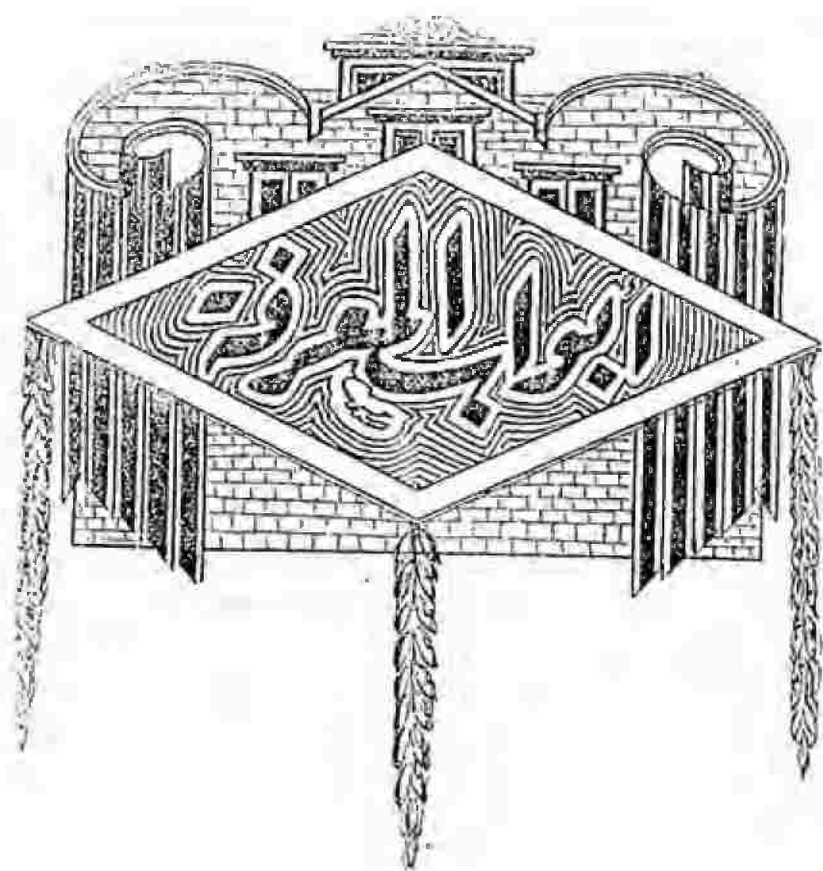
ويجب أن تكون التربية الحقة ، مزدوجة الجوانب ، يعني أن تكون آخذة معطية ، جاعلة المتاح ، طامحاً والعام خاصاً ، وانحازجى داخلياً وبالعكس ، موضحة الصلة بين الاثنين .

ويلزم أن يكون بين المعلم والمتعلم ، وبين الطلب والطاعة ، شيء ثالث ، بحيث يلجأ إليه كلا الطرفين ، هذا الشيء الثالث هو « الحق » ، وعلى كل فرد سواء أكان مربيًا أو تلميذًا أن يخضع للقوانين العامة .

ويجب على المربي أيضاً أن يقطن للحقيقة المالية في كل شيء ، بشيء ، وأن يرد الأشياء إلى خالقها لكي يتبع في عمله ، ويسود في الحياة .

المهرفة في المراهقة

تطلب « المعرفة » في العراق من مكتبات حضرة محمود أمّندي حامي بغداد والموصل والبصرة .



بين الشاكرين

تقد وعترض

..... رئيس تحرير مجلة « المعرفة » الغراء

قرأت في عدد يونيو سنة ١٩٣٣ من المجلة ص ٢٤٨ البيت الآتي ، للشاعر محمود أبي الوفا:
أبي وفي النار منوى كل والدة
ووالد أنجبا للبؤس أمثالي
فأخذتني دهمشة ، وعرائي استغراب ، وتحرك في نفسي عامل الشفقة والرحمة بالوالدين ؛
لذلك تناولت قلمي ، وسطرت لكم الآتي : عسى أن أكون قد دافعت عنهما ، أو رددت لهما بعض
حقوقهما ؛ راجياً نشره إن راقكم . أو التنازل بالرد على بما يقنعني ، أكن لكم من الشاكرين .



إن الله سبحانه وتعالى هو الذي قضى بوجود الإنسان في هذه الحياة لحكمة لا يعلم
كنها إلا هو . والوالدان ليس لهما دخل في هذا الإيجاد ، بل ما هما إلا سبب ظاهري لا تأثير
له . وإن في قدرته تعالى إيجاد بدون أب كعميس ، أو بدونهما معاً كأدم . ولكن هكذا
اقتضت إرادته جل شأنه ، التي لا ينازعه فيها منازع ، ولا يحاسبه محاسب « لا يسأل عما
يفعل ، وهم يسألون » .

إذن ، فنسبة الإيجاد للوالدين ، ما هي إلا نسبة مجازية لا ترجب الحق عليهما . كما
أظهر الشاعر محمود أبو الوفا ذلك في بيته المذكور . وبإليته قد وقف عند هذا الحد ، بل
تجاوز به إلى جعل النار منوى لهما .

ألم يدر الشاعر المحترم ، أن الأم هي التي قاست من المصاعب أعظمها ، ولافت
من المتاعب أقصاها ؟

ألم يدر الشاعر ، أن الأم هي التي حملته تسعة أشهر وهنا على وعن ؟ ثم وضعت كرها :
الموت يهاجمها ، وسكراته تعاودها ؟

ألم يدر الشاعر أن الأم هي التي جعلت حياتها وقفاً على ابنها : ترضعه لبنها ، وتضحي
بسعادتها ، تسهر لينام . وتشقى ليسعد . وتتمب ليسترخ : إذا مرض كادت تقتل نفسها غما
وكدأ ، وإذا انحرف مزاجه بكنت هما وحزناً ، تبذل جهدها في توفير أسباب راحته ، والعمل
على إدخال السرور على نفسه ؟ ولقد نطق الوحي بذلك مبيناً أسباب ما تعانيه مشيراً إلى عظم

حقها فقال : « ووصينا الانسان بوالديه إحساناً ، حملته أمه كرهاً ، ووضعته كرهاً ، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » .

وإنه لا يخفى على الشاعر المحترم أيضاً ، أن الوالد قد قام بمهمته الشاقة بجانبها ، من خدمته ، إلى القيام بأمر تربيته وتعليمه ، وتهذيبه وتأديبه ، بماله ورعايته .

إذن فلكلاهما الفضل عليه . وكان من الواجب أن يرفع من شأنهما — كما صنع يوسف عليه السلام مع أبويه وقد أوتي الملك — ويلين لهما القول ، ويسبغ عليهما الرحمة والعطف ويقول : رب ارحمهما كما ربياني صغيراً .

ولقد أبان الله سبحانه وتعالى كل هذه الأمور في قوله « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ؛ إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » . وإن بر الوالدين لمن أحب الأعمال إلى الله وأفضلها ، وأرفعها درجة ، وأجزلها ثواباً ؛ بدليل ما جاء في الحديث الشريف « عن ابن مسعود أنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أي العمل أحب إلى الله ؟ وفي رواية : أي العمل أفضل ؟ قال : الصلاة على وقتها . قال : ثم أي ؟ قال : بر الوالدين . قال : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . قال : حدثني بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو استردته لزادني » — رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي . وأخيراً أنكر على الشاعر في هذا البيت ، كفرانه النعمة ، ونكرانه الجليل . كما أتى أخذ عليه عدم الحذر والحيطه في البيتين الآتين الواردين بالعدد المذكور من « المعرفة » ص ٣٤٧ وهما :

كأنني فكرة في غير بيتها بدت فلم تلق فيها أي إقبال
أو أنني جئت هذا الكون عن غلط فضاقتني رحبه المأهول والخال

إذ أنه صرح فيهما بوجوده في هذا الكون غلطاً . وبما أنه قد ثبت بما قررته سابقاً أن الله سبحانه وتعالى هو الموجد الحقيقي ، فكأنه نسب الغلط لله ، والغلط محال على الله ؛ لأنه من صفات المخلوقات ، ولقد تزه جل شأنه عن مشابهة خلقه .

فإن كانت هذه الأقوال عميدة للشاعر وديدناً ، فلا ريب في أنه قد عرض نفسه للهوى ، ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه .

وإن كان قد صرح به نتيجة اليأس والقنوط ، فإن الله تعالى قال في كتابه العزيز : « ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

عبد العزيز إبراهيم الهادي

مدرس بالمدارس الابتدائية

« المعرفة » توجه نظر الشاعر الأستاذ محمود أبي الوفا إلى هذا النقد .

مملكة المرأة والبيت

فن النصاحه (الخياطة) والمرأة

ما لا شك فيه أن فن نصاحه الثياب من أهم الفنون لزوماً في حياة الإنسان ، خصوصاً إذا نظرنا إلى ما وصلنا إليه بحكم قانون النشوء والارتقاء .
وقد نشأ هذا الفن من زمن بعيد ، يدل على ذلك ما عثر عليه في مقابر قدماء المصريين من الملابس الدقيقة الصنع ، وما توضحه الصور على جدران المقابر من بديع الأشكال .
وإن كثيراً من التواريخ والنصوص القديمة تشهد بأن المرأة صناع اليد ، ففى (الأوديسه) -
وهى أشهر قصص اليونان - نقرأ أن (بيلوب) ترقبت حضور عقلها وهى تخطط قطعها التيلية الذائعه الصيت . ويقول الانجليز في أمثالهم : إن قدوة النساء هى التى تبحث عن الصوف والكتان وفيهما تصطنع يديها عن رغبة ، ومن النسيج تتخذ أعطيتها وتصوغ الثيل الدقيق .
وعدا ذلك فإنك لا تمر بمتحف أى دولة كانت ، حتى تجد فيه قطعاً رائعة من آثار الآلة التى أخرجتها يد المرأة فى كل زمان ومكان .
وإليك فذلك فى أدوات النصاحه :

١ - الآلة : وهى تلك الآلة التى لعبت دورها فى تطور المدنيات قديمها وحديثها ،
ففى متحف اللوفر بباريس إير من الحديد ، والبرنز ، وجدت فى مقابر قدماء المصريين ، ورجع تاريخها إلى ما قبل المسيح بألفى عام ، وتدل دقة صنعها على أنها ليست الأولى من نوعها .
وقد استعمل المتنود والصينيون القدماء إيراً من الحجر وعظام السمك .
والألمان أول من اخترع الآلة فى شكلها الحالى ، وكان ذلك سنة ١٣٧٠ ميلادية فى بلدة نور مبرج ، وهناك أقيمت لها المصانع ، ولم تصنع فى بلاد الانجليز إلا فى سنة ١٥٤٥ م .
ثم صنعت فى فرنسا فى سنة ١٧٦٥ م . وقد اختلفت الآراء فى جنسية من صنعها فى فرنسا ،
فن قائل إنه فرنسى الأصل ، ومن قائل إنه إنجليزى الأصل ، ثم اشتدت بعد ذلك المنافسة فى بيع الآلة بين الممالك الثلاثة السابقة الذكر ، فانخفض سعر الآلة من ١٢ فرنكا إلى ٧ فرنكات ، حتى وصل الآن إلى فرنك ونصف فرنك .

٢ - الدبابيس . أول من صنعها الإنجليز ، وقد عثروا كانوا يستعملونها كآلة دفع ، وقد كان

طول الدبوس الواحد يزيد على مائة سنتيمتر . أما الآن فتستعمل في شد بعض أجزاء الملابس ببعضها وفي نصاحتها .

٣ — الكستبان: ذلك الشكل المعروف الذي لم يطرأ عليه تغيير منذ نشأته . وقد اخترع في نهاية القرن الرابع عشر ؛ ولقد تفننوا في صنعه في القرن الثامن عشر ، حتى أنه كان يقتنى لتجمل به ، كطرف الزينة ، وقد اشتهر بصنعه (نقولا باتسكوين) الهولاندى الأصل ، إذ أمكنه أن يصنعه من المادة (القاشانية) .

٤ — المقص : أول من اخترعه رجل (إيطالى) في مدينة البندقية ، وكان ذلك في القرن الرابع عشر ، ومما يدل عليه ، أنه عرف قبل هذا التاريخ بنحو أربعة قرون ، فقد عثر على إحدى النسخ القديمة من التوراة التي يرجع تاريخها إلى القرن العاشر ، ووجد فيها ورة رجل يتختم بخاتم يحمل رسم (المقص) ، ثم صنع بعد ذلك في فرنسا سنة ١٥٦٠ ميلادية ، ولم ينتشر إلا في القرن السادس عشر ، وكانت أهم مصانعه في البندقية ، وميلانو ، وناپولى ، وفي القرن الثامن عشر كانت تصنع (المقصات) القيمة على أشكال مختلفة في باريس ، فكانت تصنع على شكل بجمعة ، أو ثعلب ، أو كلب ، أو الطائر أوى قردان ، إلى غير ذلك .

٥ — الخيط : يصنع من القطن والتيل والحرير والصوف في جملة أقطار مختلفة أهمها إنجلترا ، وإيرلندا ، وفرنسا ، وبلجيكا .

المرببات في فصل الصيف

(١) مربى الشوليك — الأشياء اللازمة : أفة من الشوليك ، ثلاثة أرباع أفة من السكر الناعم ، فنجان ماء .

الطريقة : توضع المقادير المذكورة في إناء بعد إزالة أفاع الشوليك وغسله جيدا ، ثم يوضع على النار إلى أن يغلى . (٢) تزال الرغوى التي تظهر على سطح المزيج ثم يترك على النار إلى أن ينضج . (٣) يوضع في مرتبانات بعد تبريده ، ويراعى أن تكون أغطيته محكمة .

(٢) مربى التين القويى — الأشياء اللازمة : أفتان من التين ، أفة من السكر ، خمس لحونات . الطريقة : يقشر التين ويوضع في إناء وعليه مقدار السكر ، ويوضع عليهما عصير الليمون ويترك الجميع على النار مدة ساعة إلى أن ينضج ، ويلاحظ تحريك المزيج على الدوام ، ثم يوضع في آنية بعد أن يبرد .

عمل بسكوت بدقيق الأرز

المقادير : ٣ ملاعق دقيق أرز ، ملعقة زبدة كبيرة ، بيضتان ، ملعقة دقيق كبيرة ، أربع ملاعق كبيرة من السكر الناعم ، ملعقة شاي ، خميرة بسكوت ، قليل من ماء الفانيليا أو الليمون .

الطريقة : يضرب الزبد مع السكر حتى يصير كالقشدة ، ثم يضاف إليها البيض ويمزج الجميع جيداً ، ثم يضاف إلى المزيج السابق دقيق الأرز ، وملعقة الدقيق العادي بالتدريج ويمزج الجميع جيداً ، ثم تضاف خميرة البسكوت وتدهن القوالب بالزبدة أولاً ، ثم بالدقيق والسكر ويوضع بداخلها المزيج ، ثم توضع في فرن متوسط الحرارة .

إزالة البقع من النسيج

أنواع البقع : بقع دهنية ، حبر أحمر أو أزرق ، صدأ الحديد ، القهوة والشاي ، القواكه ، البوبية ، حروق المكواة .

ملاحظة : يلزم أن تزال البقع في أسرع وقت بعد حصولها ، وتجرب الطرق البسيطة أولاً .
١ — الحبر الأزرق وصدأ الحديد على الملابس القطنية البيضاء : تبل البقع بماء بارد ثم توضع فوق إناء صغير « كسلطانية مثلاً » ، ويوضع فوقها ملح ليون ، ثم يصب عليها ماء مغلي . وإذا كانت البقعة قديمة تترك مدة من الزمن وعليها الملح حتى تزول ، وراعى عدم غسل القماش قبل اختفاء أثر البقعة .

٢ — بقع الحبر الأحمر : تزال بقعة بواسطة النقع في الاسبرتو ، أو بواسطة اللبن الزبادي .
٣ — بقع القهوة والشاي والقواكه : تزال بواسطة الماء المغلي والبوركس ، إن كانت حديثة العهد ، أما إذا كانت ثابتة من زمن فتزال بواسطة كلوريد الجير .

الطريقة : تستحضر ملعقة من كلوريد الجير ، وملعقة كبيرة من البوتاسا ، ويصب عليه رطل ماء ساخن ، وتترك مدة ٢٤ ساعة ، ثم يصفى المزيج ويستعمل في إزالة البقعة ثم تغسل بالماء العادي .
٤ — العرق : يزال من القماش أو الطرابيش إن كان ثابتاً بالنوشادر المخفف بالماء .

٥ — البقع الدهنية : تزال بالغسل بالماء الساخن والصابون ، أو الغلي ، في حال ما إذا كانت الملابس قطنية بيضاء ، وتزال بالترين في حالة ما إذا كانت الملابس صوفية .

في نظافة الأثاث

تنظيف جلد الكرسي :

١ — ينفخ الكرسي جيداً بواسطة فوملة أو قطعة من القماش .

٢ — يحنق زلال بيضتين ، ثم تغمر فيه قطعة من قماش القانلا ، ويدلك بها الجلد حتى يزول ما به من أوساخ ، وإذا كان لون الجلد أسود فيصاف جزء قليل من ورنيش الأحذية إلى زلال البيض ، ويترك الجلد قليلاً ثم يلمع جيداً بخرقة نظيفة ، ويمكن استعمال البترين بدلاً من زلال البيض أحياناً .

العلوم والفنون

الكهرباء ترسل بالمرسلة

إلى من يريد

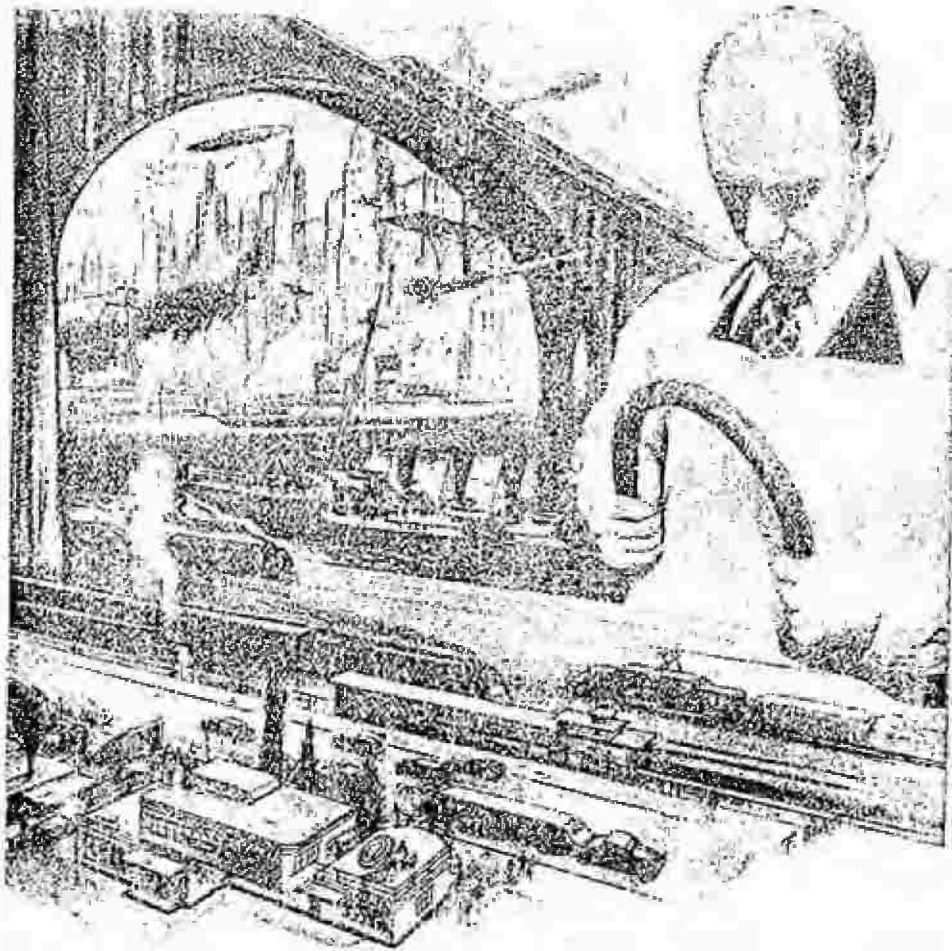
إذا ذكرت العلوم الطبيعية هذه الأيام ، ذكر الأمريكيون إلى جوارها ، فهم أبناء
بجديتها وفرسان ساحتها ، لا منازع لهم في هذا دون جدال . وقد تحدثنا في العدد
الماضي عن « الدكتور طومبسون » ورأيه في مستقبل الكشف والاختراع ، كما تحدثنا
عن آلعوبة المليون والجمهوريات الجبارة التي بذلها في إنشائها مهندسوها ذوو النبوغ .
وفي هذا العدد تحدث عن بطل من أبطال الكشف والاختراع . هو « الأستاذ
« الكسندر جوتز » الذي يريد أن يبدل عالمنا الحالي ، عالماً جديداً له معادنه الجديدة .

ها عالمان كبيران ، قد توفرت في كل منهما شرائط الكشف ، وما ينبغي أن يتحيزا
الفرس أنى صنعت ، ذان هما الأستاذان « البريكن » « دكتور روبرت . ا . « « البريكن »
مكتشف (الأشعة الكوزمية) ، والأستاذ « الكسندر جوتز » اتدى تحدث عنه
في هذا المقال .

صرح الأستاذ جوتز لأحد مخبري المحلات الأمريكية ، بأنه سيصبح في مكنة الطيران التجاري
العادي أن يسير بطائرته في أعلى طبقات الجو بسرعة (٥٠٠) خمسائة ميل أو أكثر ، حيث أصبح
في الإمكان بناء الطائرات من معادن خفيفة ، وفي نفس الوقت قوية بشكل لا يصدق !
هكذا قال الأستاذ (جوتز) عضو معهد كاليفورنيا التكنيكي ، والذي جعلته أبحاثه في
المعادن يلقب بحق « الساحر البلوري » .

ثم يحاول أن يوضح لنا تصريحه فيقول : إن نجاح المعمل التجريبي في إيجاد مثل هذه
المعادن ، إن هو إلا تمهيد لعصر صناعي جديد يمكننا أن نصفه - دون أن ننهم بالبالغة -
بأنه عصر الكمال الصناعي ، فقد دلت التجارب العديدة التي أجريت حول خواص « البلورات »

و«التبلور»، على أن في الإمكان صناعة معادن أقوى - من عشر مرات إلى مائة مرة - من معادنها الحالية. قد لا يؤبه لهذا الكشف من وجهة نظرية، أما من الناحية العملية، فإن له الأهمية الكبرى؛ وليكن الطيران خير مثل لنا في هذا؛ فقد كان في الحياة التجارية - مقصوراً على طبقات الجو المنخفضة - بالنظر إلى النقل الهائل الذي يجب أن تكون عليه الطائرة؛ لتستطيع الطيران في الطبقات العالية، أما الآن - وقد أصبح في الإمكان عمل معادن قوية فوق ما يمكن أن يتصوره عقل الصانع - وفي نفس الوقت خفيفة بشكل لا يتصوره الصانع - فقد حق لنا أن نتنظر علاوة على الطيران الأمرع، زيادة في الأحمال المأجورة، وتخفيضاً في الأسعار بنسبة ٥٠٪.



بالورة نحاسية، يمكن أن تبنى بسهولة
وايكن أقوى رجل في العالم لا يستطيع ردها إلى أصلها



صورة جزء من العمل (الكريونولوجيا) في
معهد كاليفورنيا التكنيقي ؛ وفيها يبدو
الجهاز الذي يولد منه (جوتر) منقطاً قدره
٨٠٠٠ رطل على البوصة المربعة



ويدعى الأستاذ أكثر من ذلك ، أنه يمكننا أن نتصور من الآن سيارة المستقبل ، وهي
تدخل وتخرج من هذا الطريق وذلك غير حاملة إلا جزءاً بسيطاً من وزنها الحالي ، ومع
ذلك فهي مركبة بحيث تكون أقوى من زميلاتها الضخمة السميكة منظرًا . هذا عدا ما يمكن
أن يحدث من اقتصاد في البنزين وعجلات الماطط .

وسر هذا كله ينحصر في أن العالم قد استطاع خلق معادن جديدة ؛ وهو قد استطاع
خلق معادن جديدة بالنظر لأنه قد تعلم كيف يجعل البلورات تنقف مترامية إلى بعضها البعض
وقفة العرض الحربي ، فإذا كنت لا تصدق هذا فاعلم أن الأستاذ (جوتر) في إنكلت
تخطيط البلورات في صفوف متراسة مستقيمة ، تماماً كما يستعمل الطفل (الدبابيس العشرة) .
وإخضاع نظام (التباور المعدني) لإرادة الصانع ؛ يسهل عليه عمل معادن متينة قابلة للشد
غير معروفة حتى الآن ، من ميزاتنا أنها أخف وزناً بكثير من المعادن الحالية ؛ وفي نفس الوقت
أقوى وأمن بكثير .

ويقول الأستاذ أيضاً إن صانعي المعادن قد جروا على استعمال البلورات رديئة؛ فلهذا يطلب إليه أن يذكر تعريفاً للبلورات الجيدة قال : هي عندي تلك التي تخضع لإرادة الصانع ، فتفي بالحاجات التي يريدونها ، وتكون على استعداد لأن تتجمع بالنظام الخاص الذي يريده . ولم يكتف بما تقدم ، بل صرح بأنه إذا استطاع العلم أن يخضع لإرادته « الذرات البلورية » ، كما تيسر له أن يخضع « البلورات المعدنية » ، فلا أمل عن مدى ما يمكن أن يحدث من

الصورة التي إلى اليسار تمثل الجهاز الذي يستخدم في تنقية الغازات لاستعمالها في توليد البرودة العالية) .
والصورة التي في الدائرة تمثل الحلقة المعدنية التي ترسل الكهرباء إلى من يريدونها .



الصورة الوسطى ، تريك بلورة من البرزمويت طولها ١٥ بوصة . وفي أسفل وإلى اليسار نموذج من البلورة المعدني ، وإلى اليمين نفس البلورة ولكن بعد تعريضها للضغط .

المدهشات في صناعة المعادن ، حتى لقد ننظر منها - غير خاطئين - أن تكون أقوى من زميلاتها الحالية بمائة مرة !

لكل معدن تركيبه البللورى الخاص به ، كما أن لكل عنصر تركيبه الذرى الخاص به ؛ وهو النظام القائم بين كل واحدة من هذه البلورات والأخرى في المعدن الواحد . وبين كل من (ذرات) البلورة الواحدة ، الذى يخرج لنا هذا المعدن أو ذاك ؛ وقد سرتنا حتى الآن على أن نستعمل البلورات والذرات كما تعطيناها الطبيعة . أما الأستاذ (جوتز) فقد استطاع - بنجاح - فى معمله التجريبي : أن يستخرج - فى دقة ميكروسكوبية - البلورات الفردية لقطعة من معدن (البزموت) طولها ٣٠٠ ثلاثمائة قدم ، من معادن أخرى . وقد توصل الدكتور إلى تنظيم (التبلور المعدنى) بتعريض المعدن ، وهو فى حالة السيولة ، لضغوط هائلة فى مجال مغناطيسى مكهرب واسع ، وجد الأستاذ أن هذا الضغط المغناطيسى ، من شأنه أن يجمع البلورات إلى بعضها البعض عند ما يبدأ دور برودتها . ويتغير زاوية هذا الضغط المغناطيسى ، استطاع الأستاذ أن يخضع البلورات لأرادته ، كما يستطيع لاعب الشطرنج فعل ذلك بحجراته ؛ وبذا توصل إلى خلق المعادن ، وبالحرى صناعتها ، كما يريد .

ومن الأعاجيب المعدنية الأخرى التى توصل إليها الدكتور (جوتز) صنع بللورة مفردة من النحاس طولها قدم ، ونصف قطرها أكبر من نصف بوصة ؛ يستطيع الطفل أن يثنى هذه البلورة النحاسية ، ولكنها إذا ثنيت كان لهذا الانثناء رد فعل عجيب . . . فان أقوى رجل فى العالم لا يستطيع أن يعيدها إلى حالتها الأولى ؛ ماذا جرى لهذه البلورة حتى أصابها العناد ؟! هذا ما لا يعرفه غير إنسان واحد ، هو الأستاذ (جوتز) الذى يقول إن البلورة المفردة حين اثنت تحطم شكلها وفقد تركيبها نظراً لانقرادها فلا تعود مطلقاً كما كانت .

ولاحزارة منذ فجر التاريخ الأهمية الأولى فى صناعة المعادن ، أما الآن فقد بدأت البرودة تشارك الحرارة فى هذا المجال . فالمعروف الآن - على كل حال - أن المعادن يمكن أن تتفاعل فى أى درجة برودة ممكنة ! وبناء على هذا الكشف الجديد ، حاول الدكتور (جوتز) أن يراقب رد الفعل البللورى فى درجات البرودة العالية . وقد أعد لذلك معملاً تجريبياً

كربونيكياً (بارداً) ، وتمكن فيه بواسطة إسالة الايدروجين والندروجين والهلوم من الحصول على درجة برودة ٤٥٣ فارنهایت تحت الصفر ، وأمكنه أ كثر من ذلك - استخراج ملء (كستبان) من الهليوم السائل ، وهي وإن كانت كمية بسيطة ، إلا أنها على كل حال تعطينا فكرة عامة عن مدى ما يمكن أن تنتهي إليه الأنظمة البلورية والذرية للمعادن .

المقاومة الكهربائية ، والمعارضة في مرور التيار الكهربائي خلال أية مادة ، كل هذا يظل عندما يعرض المعدن لدرجة حرارة منخفضة جداً ، ويعنى آخر لدرجة برودة عالية جداً . عرف هذا الأستاذ (جوتز) وقال في تعليقه : إن ذرات كل بلورة معدنية في أوطأ درجات الحرارة ، تميل إلى أن تتجمع إلى بعضها البعض ، ومن ثم نرى أن قابلية المعدن لنقل التيار الكهربائي ، تزداد بدرجة هائلة ، حتى إن أقل المعادن قابلية للتوصيل الكهربائي - مثل الصفيح والرصاص - يمكن أن تساوى - في القدرة على التوصيل الكهربائي في درجة برودة ٣٥٠ فارنهایت تحت الصفر - أشهر المعادن المعروفة بقوة توصيلها للكهرباء . وقد استطاع العلم أن يستفيد من تلك الخاصية ، فأخترع المعمل التجريبي «صندوق الرصاص المكهرب» بالطريقة الآتية : -

تؤخذ حلقة من الرصاص ، تدون في درجة حرارة منخفضة جداً تحت الصفر ، ثم توضع في صندوق مصنوع من مادة جيدة العزل الكهربائي ، مع قليل من الهليوم السائل ليساعد في الاحتفاظ بدرجة البرودة . فإذا صندقت الحلقة هكذا ، وأرسلتها إلى من تشاء بالبريد ، ثم أرسلها المرسل إليه ، أمكنه أن يستعملها في شتى الأغراض الكهربائية ؛ فقط عليه أن يحافظ على درجة البرودة أثناء بضعف التيار الكهربائي .

ويختتم الدكتور حديثه بقوله : إنه يأمل كل الأمل أن تنجح في القريب العاجل الفرصة المزارع النفير في كوخه ، والصيد في عشته على الشاطئ ، فيطلب من شركة الكهرباء - دون أن يضطر إلى مصاريف التوصيل وغيرها - أية كمية يشاؤها من الكهرباء فيستعملها في شتى الأغراض الكهربائية . كما يفعل انغني تماماً ، دون أن ترهقه المصاريف التي تطلبها عادة شركات الاحتكار .

في تنشأ عندنا شركة لبيع الكهرباء بالبريد ؟

مكتبة المعرفة

علم النفس النظري والتعليمي

مجموعة محاضرات للأستاذ مظهر سعيد

هذا عنوان الكتاب فريد في نوعه ، فريد في مادته : يتناول أهم النظريات الحديثة في موضوعي الإدراك والتفكير ، وما أدق ما في علم النفس من موضوعات لا يقتصر لبحثها وتعميقها إلا الراسخون في العلم ، وهؤلاء قليلون جداً في أوروبا وأمريكا ، وأقل من هؤلاء الموجود منهم في مصر .

لذلك كان سرورنا بالغاً هذه حين تصفحنا هذا الكتاب ، ومعنى آخر حين تصفحنا هذه المجموعة الملخصة من محاضرات الأستاذ مظهر ، التي ألقاها على طلبته في معهد التربية ، وسرورنا لأنها حققت أمنية كنا نتمنى أن يحققها الأستاذ خدمة لبلادنا المتعطش شبابها إلى ورد العلم من مناهله ، وتلقيه على أيدي رجاله المحققين المبرزين ، لا على أولئك المدعين .

أول ما يجب عليك من هذا السفر القيم عميد جامع في تحليل الحياة العقلية ، فظاهر الشعور الثلاثة ، فالاحساس ، فالإدراك الحسي .. ثم التفكير ، فمعناه ، فمساكته ، فطرق تنظيمه ، فآثره في تكوين المعتقدات إلخ ، مستعرضاً في هذا كله النظريات القديمة . موازناً بينها وبين النظريات الحديثة بأسلوب علمي دقيق ، وعبارات طليقة رشيقة ، وألفاظ سهلة مختارة ، متقناً الأصول والفروع والمصادر والمطازن في هذا العلم الحديث .

وميزة جديرة بالتنويه بها ، والإشارة إليها ، تلك هي شخصية الأستاذ المحاضر ، الشخصية العلمية التي تراها يارزة بين ثنايا الكتاب ، فيما أدلى به من آراء شخصية له ، وتعديل للنظريات في مواطن متعددة ، مع إيضاحها برسوم توضيحية من مبتكرات الأستاذ نفسه ، مما جعل للنظريات صورة سهلة التناول وافية الغرض عامة النفع .

وميزة ثانية لا نستطيع السكوت عنها ، دون الإشارة بذكر صاحبها ، تلك هي الأمانة العلمية في التحقيق والتدقيق ، ذلك أنه لم يقتبس جملة واحدة أو استمان يبرهان من غيره إلا حرص على ذكر مراجعه ومصادره .

وفي نهاية الكتاب ملخص قيم هو الأول من نوعه مما كتب في علم النفس وتاريخه ؛ ذلك الملخص يتناول المدرسة الألمانية الحديثة « مدرسة جشتالت » ، وهي التي عنيت بدراسة

الادراك والقوى العقلية على أساس جديد يخالف كل ما عرف إلى الآن .
 وأهم من كل ما تقدم عنايه المؤلف بتطبيق نظريات علم النفس على التربية والتعليم ، سواء
 أكانت نظرياته الخاصة أم نظريات غيره من العلماء . ضف إلى هذا أنه جثم نفسه تعريب
 المصطلحات السيكولوجية تعريباً علمياً دقيقاً ، فحبذا لو اتخذت ترجمة هذه المصطلحات أساساً
 لعلاج الفوضى الذائعة في معظم الترجمات المتداولة .
 والكتاب في مجلته هو — كما يقول المحاضر — مجموعة محاضرات لا أكثر ولا أقل ، ترشد
 الطالب والمدرس إلى طريق الدراسة العلمية المنظمة . وإذا كانت هذه المحاضرات — بالنسبة لطلبة
 معهد التربية — ليست إلا وسيلة للاطلاع الخارجى ، فهي لغيرهم من الباحثين من أئزم ما يكون ،
 إذ فيها ما يكفهم وزيادة .

محاضرة في الخط الكوفى

للأستاذ يوسف أحمد

لصديقنا الفاضل المحقق الأثارى ومحبى الخط الكوفى الأستاذ يوسف أحمد مفتش
 الآثار العربية سابقاً وأستاذ الخط الكوفى فى مدرسة تحسين الخطوط الملكية بالقاهرة ،
 فضل على العربية ، بما يبذل من علم وجهد فى سبيل تعرف آثارها الإسلامية الدفينة ،
 وإحياء خطوطها القديمة ، وأخصها الخط الكوفى الذى كاد يندثر .
 وآية ذلك هذه المحاضرة التى بين أيدينا الآن ، فقد فصل الأستاذ المحاضر فيها الكلام
 على فضل الكتابة فى رقى الانسان ، فقدمها ، فرأى مؤرخى العرب فى أصل الكتابة العربية
 واشتقاقها ، فأصل الخط الكوفى ، وانتشار الكتابة بين العرب ، فاهتمام النبى صلى الله عليه وسلم
 بنشرها ، فتطور الخط الكوفى ، فبدأ ركوده ثم إحيائه ، فكتابة أوسمة الدولة .
 كل ذلك فى عبارات فصيحة ، وألفاظ عربية صحيحة ، خلت من الدخيل والغريب . وقد توج
 الكتاب بنماذج من ذلك الخط ، باسم جلالة الملك فؤاد الأول ، واختتمه بنماذج أخرى أولها اسم
 صاحب السمو الملكى الأمير فاروق ، فاستمأ جمهرة من عظماء الأمة وعلمائها إلخ .. مما يدفعنا
 مخلصين إلى تقدير هذا العمل الجليل ، والاعتراف بفضل حضرة المؤلف .

الوحى المحمدى

تأليف السيد محمد رشيد رضا

أصدر فضيلة العالم الجليل الأستاذ السيد محمد رشيد رضا ، كتاباً قيماً بهذا العنوان ، فى
 يوم ذكرى المولد النبوى الشريف سنة ١٣٥٢ هـ ، والسيد رشيد خير من يتناول الشؤون الدينية

بالبحث والتحصيل، وأقدر علمائنا المعاصرين على إقامة الحجة ودحض التهمة بالبرهان والدليل،
 بل أكثر علمائنا المعاصرين عرفاناً بالسنة النبوية وإحاطة بحكمة التشريع والتنزيل.

فلا غرو أن يكون كتابه هذا درة الكتب التي ألفت في الشؤون الدينية هذا العام،
 وحسب المؤلف فضلاً وشرفاً، أن أوقف كتابه على إثبات النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدنية
 إلى الإسلام، دين الأخوة والسلام.

تناول الكتاب الكلام على مقاصد القرآن، فسألة الوحي، حاجة البشرية عصرنا إلى الدين،
 فإثبات الوحي الحمدي، فقيام الحجة على ثبوت نبوة محمد، فدعوة شعوب الحضارة إلى
 الإسلام، فبلوغ دعوة القرآن لعلماء الأفرنج. كل ذلك في أسلوب حكيم، ومنطوق مترن،
 وأدلة عقلية وقولية صحيحة، وسلامة براهين قوية لاشائبة فيها.

فلعل المعاهد والجامعات الإسلامية، تقدر شأن هذا الكتاب الجليل، فتشتريه في نسخ
 منه ليعم نفعه، خصوصاً في محنتنا الحالية بالمبشرين المضللين.

البطل الخالد صلاح الدين

والشاعر الخالد أحمد شوقي

الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي بك، علم من أكبر أعلام البيان، وزعيم من زعماء الأدب
 العربي، وقائد من قادة النهضة في فلسطين، فلا عجب إذا كانت بحوثه ومقالاته موضع إجلال
 الجامعات العلمية، وتقدير الجماعات الأدبية، ومحيط أنظار العلماء والباحثين.

طلعنا الأستاذ برسالة تحمل هذا العنوان، «البطل الخالد صلاح الدين»، والشاعر الخالد
 أحمد شوقي، «فاذا بها آية من آي البلاغة، وحجة من حجج القضاة، ودليل من أدلة
 الإعجاز، فكأنما يكتب صاحبها بوحى، أو تخطها أنامله بالهام.

هما مقالتان أو رسالتان إن أردت الدقة في التعبير: قيلت الأولى في شوقي حين التأيين
 لليوم الأربعين في بيت المقدس ونابلس وحيفا، وقيلت الثانية في صلاح الدين وواقعة حطين،
 وكان تاريخ إلقائها يوم ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٥١ هـ في مدينة حيفا. وقد ساق فيها الأستاذ
 المؤلف الكلام إلى الغرب طامة، فجاء حديثه عن صلاح الدين كحديثه عن شوقي، جامعاً
 مانعاً، فيبارك الله في القائل ومدق عمره، ورحم المقول عنهما.

وحى الأربعين

نظم الأستاذ عباس محمود العقاد

لم يبق كاتب ولا ناقد، إلا تناول هذا الديوان بالنقد والتحليل، وما بهم الآن —
 وقد نفذت الطبعة الأولى منه على ما نعلم — أن تنقده أو تقرضه رغبة في الرواج أو الكساد،

— إن جاز ذلك في الكتابة عن الكتب وهو ما نستبعده — وإنما بهم حقيقة أن تقول في صراحة ويقين : إن العقاد قد انتصر في المعركة انتصاراً لا بأس به ؛ ولكننا كنا ننتظر منه أن يكون وحيداً إعجازاً لوحي أمثاله من الشعراء ؛ لأن « العقاد » قوة لا يستهان بها في حياة الأدب الحديث ، وعمدة من عمدة النقد والاجتماع ؛ ذلك هو رأينا فيه ، ذكرناه في غير ما موارد أو خداع ، رغم ما بيننا من تنافر واختلاف ، فليعلم هذا المنكرون عليه والمتعصبون له .

شوقي وحافظ

مندية مجلة « الجهاد » بحلب

مجلة « الجهاد » التي تصدر بحلب من أرقى المجلات الأدبية التي تصدر في القطر الشقيق ، ولهذا تراها نتمد دائماً إلى التحسين والتجديد في كل ما يدخل في دائرة اختصاصها من علم وأدب واجتماع ، وآخر أثر من آثارها ، بين يدينا الآن ، هو تلك الهدية النفيسة « شوقي وحافظ » ، وهي عبارة عن مجموعة طيبة لما ألفتها جبهة من أدباء وشعراء عصية الأدب في الحلقة التي أقامتها بحلب يوم ٥ كانون الأول ١٩٣٢ . فالمجموعة إذن عبارة عن رسالة قيمة متعددة الجوانب ، مختلفة النواحي ، لدراسة الشاعرين العظيمين : شوقي وحافظ . وهي بهذا الوصف جديرة بالتقدير ، كما أن زميلنا الفاضل الأستاذ « محمد فهمي الحفار » صاحب مجلة « الجهاد » الغراء ، قد بين بالتقدير والثناء ، فقد كان له فضل إظهار هذه الرسالة إلى الوجود .

الشيعة

وضع السيد محمد صادق السيد محمد حسين الصدر من علماء الشيعة بالعراق كتاباً بهذا العنوان ، حاول فيه تفنيد المزاعم التي حيكت حول نحلتهم ، ورد التهم التي ألصقها بها بعض القدماء والحديثين ؛ وقد كنا نود لو أن المؤلف الفاضل وقف عند حد الدفاع فحسب ، دون التعرض لمذاهب أهل السنة ومصادريهم بالنقد والتجريح ؛ فإن مثل هذا العمل لا يؤدي إلا إلى إحداث الفتن ونشوب الحروب ، ونزول الكوارث بالآمة الإسلامية جمعاء ، وهو ما يعمل المستعمرون له ، وبعبارة أصرح أعداء الاسلام .

وإننا نرجو مخلصين أن تمحي الشعوبية من بين المسلمين ، إذا أرادوا أن يسودوا العالم أجمع ، وإلا فالعاقبة ستكون — لا قدر الله — وبالا علينا وخسرانا ميبئاً . فلعل إخواننا الشيعيين يدركون هذه الحقيقة ، ولعل من يتصدرون منا للكتابة عنهم ، يتحرون الدقة والإنصاف ، ويسدون الثغمة الموجودة ، ولا يقعون فيما وقع فيه الأستاذ أحمد أمين في كتابه « خمر الاسلام » .

عصر إسماعيل

تأليف الأستاذ عبد الرحمن الراجحي بك

كنا حتى عهد قريب نلتهم المصادر الصحيحة ، التي أرجع إليها لتعرف تاريخنا القومي ، فلا نجد ضالتنا من بين آلاف الكتب التي تتعرض لمثل هذا الشأن ؛ وما تزال أكثر المؤلفات التي وضعت في ذلك الموضوع إفرنجية مكتوبة بأقلام إفرنجية ، يسودها روح التعصب الذميم في الغالب ، ويستوى عند أكثر أصحابها الحق والباطل ، والصحيح والزائف ، مادام الأمر لا يخص بلادهم ، ولا يمت إلى بني جلدتهم بسبب من الأنساب .

وكان أكثر عصور تاريخنا القومي تحبباً وتضارباً في القول ، واختلاط حقائقه بالأكاذيب ، وتعدد الروايات « عصر إسماعيل » الذي لم يتورع كثير من المؤرخين المحدثين عن الإسراف في رصيه بالتهيم ، واختلاق الأكاذيب عنه ، أو الغلو في امتداحه وتصويره في روع الصور الخالابة .

وقد أتاح الله لمصر رجلاً من رجالها الصادقين ؛ فوقف نفسه على خدمة وطنه ، وإنارة سبيل الحق أمام أبنائه ، فمكف على دراسة تاريخنا القومي دراسة تحليلية جامعة ، هي الأولى في بابها ، لأنها نتيجة البحوث العميقة ، والدراسات الواسعة ، والتحقيقات الدامية الثرية ، التي لا تهالي أي إنسان كبير أم صغير ، أو تحشى في الحق لومة لائم .

وقد كان من نتائج هذه الدراسات العالية ، التي قام بتدقيقها وكشف دسورها ، مؤرخ مصر الجليل الأستاذ عبد الرحمن الراجحي بك ، أن أخرج للأمة مجموعة من الكتب القيمة ، هي سلسلة تاريخ الحركة القومية ، وآخر كتاب من تلك السلسلة النفيسة ، هو هذا الكتاب الذي ، تتكلم عنه الآن ، ويعني آخر هو العصر الحافل بشئ الروايات والأقاصيص ، والعهد الزاهر بالأماس والأضداد ، بل العصر الخفوف بالمخاطر والمزالق .

ومن ثم يستطيع القارئ تقدير ما يصيب المؤرخ من عناء وتعب ؛ وما يبذل من مال وجهد ، ويتعرض له من قال وقيل ، في مثل هذا العمل الشاق . لكن عبد الرحمن الراجحي ، خير من يقدر المهمة التي ألقها على عاتقه روح شقيقه المرحوم أمين بك الراجحي ، بل روح مصر الصادق ، وقلوبها الخافق .

وها هو ذا « عصر إسماعيل » شاعد عدل على ما تقول ؛ فهو يتضمن الحديث عن خلفاء محمد علي ، وأولهم عباس الأول ، والرجعية في عصره ، ثم سعيد باشا والنهضة الوطنية في عهده ، فنظام الحكم في عهد عباس وسعيد ، فامتياز قناة السويس ، فبدء القروض الأجنبية ، ثم

الفصل الثالث وهو خاص بمصر إسماعيل وسياسته الخارجية ، فالسودان في عهده ، فالحبس ، فالحرية ، فحروب مصر ، فالتعليم والنهضة العلمية والأدبية ، فتراجم رجالات النهضة في جميع فروعها في ذلك العصر ، وهذا ينتهي الجزء الأول من الكتاب عند الصفحة رقم ٣١٤ .

ثم يبدأ الجزء الثاني - وقد بلغت صفحاته ٤٠٠ - الكلام على منشآت الري والزراعة ، فـ منشآت الصناعة ، فـ ملاو اصلاط ، فـ الأعمال الصحية ، فـ أساسة الديون ، فـ الحركة الوطنية والحياة النيابية ، فـ نخامة النزاع بين الخديو إسماعيل والدائنين ، فـ نظام الحكم في عهده ، فـ الحالة المالية والاقتصادية ، فـ الحالة الاجتماعية ، فـ شخصية إسماعيل والحكم على عصره ، فـ مجموعة من الوثائق التاريخية ، فـ مراجع البحث كبيرها وصغيرها ، عربيتها وأجنبيةها ، فـ مجموعة من الخرائط والصور ، ثم فهرس هجائي عام للكتاب ، وهو من أدق ما يكون .

هذه أهم رموس الكتاب ذكرنا لك أسماءها ، فتصور قيمة ما ينضوي تحت هذه من بحوث وآراء ، لتعرف قيمة هذا العمل الجليل .

بقى أن نطلب إلى وزارة المعارف أن تعيد الكرة ، فتقرأ الفصل الذي كتب عن « شخصية الخديو إسماعيل والحكم على عصره » ، فإننا واثقون أنها ستشارك فيه إتماماً للسلسلة التي اشتركت فيها ، ولأنها ستجده جديراً بالتشجيع الطلبة والأساتذة به ، لصدقه وتقرير الحقائق بما لها وما عليها ، وهذه هي الزاخرة ، وتلك هي مهمة المؤرخ الصادق ، التي نعتقد أن رجال المعارف أول من يقدروها قدرها .

الضياء

اسم المجلة عربية علمية أدبية اجتماعية تعليمية شهيرة ، يصدرها في (لكتنو بالهند) العالم الفاضل السيد مسعود عالم الندوي ، بإشراف العالمين الفاضلين : السيد سليمان الندوي ، والشيخ تقي الدين الهالبي .

بين يدينا من هذه المجلة الجزء الأول من سنتها الثانية ، فإذا به حافل بجليل البحوث الدفينة ، وقيم الموضوعات الأدبية ، فضلاً عن كثير من المقالات اللغوية والنقدية ، وسير الحوادث ، والأخبار والآثار ، وغير ذلك مما يهم كل مسلم وعربي الوقوف عليه ، خصوصاً عن بلاد الإسلام الحى ، التي لا ترتضى بالتقافة الإسلامية بدلاً ، فنوجه أذاننا الضمير على نهضة الشرق وإحياء المروية والإسلام ، إلى هذا المشعل الوضاء ، وتلك الحديقة الوارفة .

صفحات المجلة ٤٠٤ ، واشتراكها ٧ شلنات فيما عدا الهند وعدن والخليل القارسي .

الورد الأبيض

يزعم بعض مؤرخى الآداب أن الأدب العربى خال من القصة ، ويتخذون رأى الفيلسوف الفرنسى (رينان) الذى اخترع السامية والآرية ، والذى يقول عن الآداب السامية إنها غنائية شخصية تحدث عن عواطف الشاعر أو الكاتب ، بينما يقول عن الآداب الأوروبية إنها قصصية موضوعية . ويكفيينا فى نقض هذا الرأى أن نشير إلى قصص الغزليين ، وإلى قصص الحب والحرب ، وإلى سير الأولياء التى لا تخلو من براعة القصص وفنه . وليس ذنب الأدب العربى أنهم يجهلون الناحية القصصية فيه ، وليس ذنب الأدب العربى أنهم يقلدون بعض المفرضين من الباحثين الغربيين فى غير فهم أو بصيرة ، وليس يضير العربية فى قليل أو كثير أن يتعصبوا ضدها ، فالتعصب من الجهل والحوى . . .

أما أولئك الذين يتفنون بالمصرية ويدعون أنهم باتجاههم نحو القصة يخلقون فناً جديداً لم يكن له فى تقاليد المصريين وجود ، فهم لا يقولون فى الخطأ عن زهلائهم ؛ ذلك لأن الأدب المصرى عنى بالقصص والأساطير ، فهذا كتاب (ألفت ليلة) أستطيع أن تضع أصابعك على القصص المصرية التى لا تقل فى الروعة عن أخواتها الفارسية والهندية ، وهذه (الميثولوجيا) الترعونية بما فيها من أوزيريس ومسخة ، وهذا الأدب المصرى فى القرون الوسطى الذى نقله الغربيون بعنه أيام الحروب الصليبية بما فيه من قصص رائع جذاب ، كل هذا يدلك على أن التقاليد المصرية للقصة موجودة وإن كانوا يتجاهلونها .

ومهما يكن من شئ ، فإن كاتب القصة - سواء أ كان يكتب القصة كتابة فى نفسها أم يكتبها كوسيلة للإصلاح الاجتماعى أو الأخلاقى - فانه إذا كان محباً للدرس يجد فى الأدب العربى والأدب المصرى بغيته وما يشبع حاجته ويرضى نزعة الجمال فى نفسه . ولنا نستطيع أن نترك هذه النقطة دون أن نقول كلمة لأولئك الذين يحتلون من قدر القصة ، والذين لا يرضيهم وجودها كفن جميل من أفنون الآداب الانسانية ، إنهم يرددون هذا القول لأنهم يعتبرون أنفسهم من الأدباء ، هم يكتبون فى الصحف كل يوم أو كل أسبوع ، ويتناولون الأدب بالنقد والتجريح ، وهم يحتقرون القصة لأنهم لم يؤلفوا فيها أو لم يحذقوا أسلوبها وما يجب فى هذا الأسلوب من دقة وارتباط .

فليست القصة المصرية - أو العربية - جديدة ، ولنا نحتاج إلى خلقها ، ولكننا نحتاج إلى بعثها فقط ، وأنت تستطيع أن تدرك بسهولة وجود طائفتين من القصص تقلد إحداهما النماذج الغربية ، وتتاثر الأخرى بالتقاليد العربية والمصرية ؛ فأما الأولى فهى مخطئة مسرفة فى الخطأ

لأنها لا تعتمد على الروح المصرية أو العربية ، ولا تتحدث عن حياة المصريين ، ولا تصف أخلاقهم ولا تنقد عاداتهم ولا تستعرض أرضهم وسماءهم ، أما الثانية فهي صادقة في بيانها ، صادقة في وصفها ، صادقة في أسلوبها ، تقرأ للأولى فسكاً أنك تقرأ قطعة من الأدب الانجليزي أو الفرنسي منقولة إلى اللغة العربية ، وتقرأ للثانية فتحس بهذه « المشاركة الوجدانية » بينك وبين المؤلف . وبين يدي الآن مجموعة « الورد الأبيض » للأستاذ محمد أمين حسونة ، ما إن بدأت في تلاوتها حتى أخذتني الروح المصرية القوية في كل سطر ، فأنا أعرف الأمكنة وكأن بيني وبين الأشخاص الذين وصفتهم صداقة قديمة متصلة ، وإن شئت فقل إن المؤلف قد وصف بعض حالات مهترتها في حياتي القصيرة كلها . . .

وقد لفت نظري وصفه الرائع للعناظر المصرية في قطعه المصاة « في الواحة » ، ووقفت برهة عند هذه الفقرات « . . . إلى جانب عظمة بلادكم التاريخية تشاد أكبر الأعمال الهندسية في العالم ، حتماً إن مصر لساحرة بأهراماتها ودور حادياتها ولطف أهلها ، إنه فيض من الإحساس عميق لا يستطيع المرء أن يتجاهله . . . فيسائلها عدنان قائلاً : والصحراء ؟ فتقول : إنني أحسن جهدي إلى رؤيتها . . . إن سحر اسمها جذبنى إليها من أقصى الأقطار ، ليتني أقضي فترة طويلة من حياتي بين نخيلها ورمالها ، ليتني أظل فيك أبداً الدهر يا مصر ، منبع المدينيات الخالدة ومجمع الحضارات الأزلية » .

وإلى جانب هذا الوصف الرائع الذي تجده في الواحة ، فإنك تقف - كما وقفت - عند هذه السخرية المرة على ما فيها من روح الفكاهة . . . اقرأ (أنصاف عذارى) فإنها تمثل الروح المصرية الفكاهة الساخرة المستهترة التي تعيش لحاضرها ، والتي تتناسى ماضيها وتستقبلها ، تشبه إلى المجدوعة والمخادعة . في هذه الأقصوصة أيضاً فقد لاذع لزواج الشيوخ الطاعنين في السن من الفتيات الصغيرات .

ثم قف ممي عند (أبي درش) هذه الشخصية الفقيرة الشريرة التي تبيع المكتب ، والتي كانت تحترف الأدب ، ألست تقابل كل ليلة رجلاً على هذه الطراز ؟ ألست تجد فيه ما يهرك ويرضيك ؟ لا تحتقره إن له فلسفة في الحياة عليك أن تتأملها وعليك أن تفكر فيها .

والمؤلف قد بلغ الغاية في تهئية الجو الملائم لكل قصة ، كما بلغ الغاية في الحبكة القصصية ، أما أسلوب الحوار فسهل بسيط ، وهو يتخذ العامية أحياناً كثيرة ، ولكنها اللهجة العامية التي لا إسفاف فيها ، وهالك نموذجاً .

— صحيح راحته تتخطى ليجدي ؟

— وماله ؟

— إزاي تتجوزى مجدى .. واحد مصرى !

وهو يتخذ العربية أيضاً فى الحوار الطويل، رغبة منه فى السمو بأشخاصه وقرائه، ورغبة منه فى التأثير والإقناع، ولكنه يتخير العبارات السهلة البسيطة، وهالك مثلاً منه :

— تعلمين يابلتى آنى كنت متزوجاً منذ سنوات ثلاث، ولما توفيت زوجتى لم أرض بعدها بالزواج لقله « بنات الحلال » فى هذه الأيام، واحتفاظاً بمودة المرحومة وذكرها الطيبة .

ولقد وفق الأستاذ محمد أمين حسونة فى الملاءمة بين الواقعية والمثالية فى قصصه، فهو يتخيل ولكنه يعتمد فى خياله على الواقع ويصف الواقع، ولكنه يلبسه ثوباً زاهياً من الخيال.

ونحن لا نشك لحظة فى أن مجموعة « الورد الأبيض » تعد نصراً جديداً لأدباء الشباب الذين يحاولون جهدهم استعادة المسكنة الممتازة التى كانت للأدب العربى والمصرى بين الآداب العالمية، ولست أشك فى أن أبناء مصر والعالم العربى سيجدون فى هذه القصص اللذة الفنية التى يرغبون فيها أو يطمحون إليها .

أربعة يهتدون إلى الله

بقلم الأديب سيد إسماعيل محمد

هو كتاب فى ثوب قصة، ألقمه المؤلف أفراد المبشرين ليكون فى حلوقهم غصة، وعبرة كانت كامنة حتى أظهرتها الأيام، متبكرة غير سرافقة ولا لصة .

ولقد تحدثنا معرفتنا بالمؤلف عن أن نقول عنه وعن كتابه أكثر من هذا ... إلا أن الحق قد يدفعنا إلى أن نقول : إن « السيد » قد بدأ بمجهود تتضاءل أمامه نهايات غيره، حيث أخرج لنا كتاباً ما كان له عندنا من شاكلة . وعلى أن نقول إنه كتاب ذو وجهين .. فبينما هو فى ظاهره رد على قصة (شو) الأخيرة فى ثوب قصة رائمة الخيال، ضافية الجبال بطلاة الأوصال لولا بعض غموض - إذ به فى حقيقة دفعه عن الدين الإسلامى أوحى به خيال شاب منقف محب للدين، فجاء دفاع القوى عن نفسه إزاء زلة الماكر أمام ضعفه، وجاء إشادة بذكر الدين الإسلامى فى مجال تنوسى فيه الدين الإسلامى .

والكتاب أول مؤلفات المؤلف، فهو غيث أوله قطر ثم ينهر ح . م

مجلة نشر الفضائل والآداب الإسلامية

هى مجلة دينية إسلامية خلقية وعظمية تاريخية اجتماعية يحررها نخبة من العلماء الفضلاء : وجلة من المربين المشهود لهم بالاستقامة والصالح، فتحت القراء على الاشتراك بها : ونوجه نظر الجمعيات الإسلامية إليها، أما اشتراكها فزهد جداً، إذ هو ١٥ قرشاً داخل القطر و١٠ قروش لأعضاء الجمعيات الإسلامية والعلماء والطلبة والعامل، وضعف القيمة المذكورة خارج القطر، أما إدارتها فتقوم بمركز الجمعية بشارع ابن الرشيد .

مجلة « النهضة الحضرمية »

قمن بالذين يعملون على الوحدة العربية ، وبدأيون على إنهاض الشرق ، أن يسروا ويطلبوا
لسماع البشرى التي نرفها إليهم ، وهي بشرى تحمل في طياتها كل تفاؤل بالخير ، ورجاء في
المستقبل .

أما خبر البشرى ، فذلك هو إصدار صديقنا الأديب الفاضل الأستاذ السيد طه بن أبي بكر
السقا ، مجلة علمية شهرية أدبية ، من أرقى المجلات التي ظهرت في الشرق بلغة العرب ، باسم
« النهضة الحضرمية » .

أصدر السيد طه هذه المجلة في ثوب علمي أنيق ، وحلة أدبية محكمة ، حافلة بالبحوث الراقية ،
طائفة بالمقالات القيمة ، مزينة بصور أعلام العلم والأدب والفضل ؛ فسررنا جد السرور لهذا
العمل الجليل ، الذي كان أصدق برهان على أن في العرب رجالا صناديد مغاور ، لهم من الهمة
القضاء ، ومن مجد العروبة ، ما يحفزهم إلى تصدر كل نهضة وإصلاح .

خبذا لو أدرك مواطنونا المصريون وإخواننا الشرفيون ، بل كل عربي ، بل كل ناطق
بالضاد ، هذه الحقيقة ، فسأهم في هذا العمل الجليل ، بالاشتراك في هذه المجلة العربية الثالثة ؛
في ذلك ما فيه من معنى سام نبيل .

أما المجلة فتصدر في « سنغافورة » وعنوانها (28 Jalan Sultan, Singapore) وأما قيمة
الاشتراك في الخارج فهي ١٣ شلنا ولصف انجليزية .

ونحن نهنئ صديقنا الفاضل بعمله المجيد ، وارجو لمجلته ما تستحقه من الذبوع والتقدير .

الاعتدال

يظهر أن المحن التي اتت المسلمين في بقاع الأرض في الأعوام الأخيرة ، بعثت فيهم روح
الهمة ، وأيقظت في نفوسهم عوامل الحساسية ، فقاموا يجاهدون في سبيل الحق . . . هذا
بنشر العلم ، وذاك باذاعة الدين ، وآخر بانهاض الروح السياسي أو الاقتصادي ، وهلم جرا ،
وفي هذا ما يبشر بالخير والفلاح ، إن شاء الله .

لذلك لا نخل من تشجيع الصحف والمجلات والمؤلفات التي تظهر في تلك الجوانب ؛ وبين
أيدينا الآن بضعة أعداد من مجلة باسم « الاعتدال » يصدرها الأستاذ محمد علي البلاغي
في « النجف الأشرف »

وبالرغم من أن هذه المجلة تعتبر لسان حال إخواننا الشيعة ، فإن هذا لا يمنعنا من الإشادة
بها ، لما حوته من رائع الكلم ، واعتدال الفكر ، وبعد عن التعصب الضيق ، وهذا ما نريد

تحقيقه لتتم الوحدة الإسلامية بين الجميع ، إذ « لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى »
فتحقن نرحب بالزميلة ونرجو لها النجاح في عملها ، والفلاح فيما أخذت نفسها بسبيله .
هذا ، والمجلة شهرية مصورة تبحث في العلم والأدب والأخلاق والاجتماع والتاريخ ؛
وعدد صفحاتها ٤٨ صفحة ، وقيمة اشتراكها نصف جنيه انجليزي .

عيون الأريب

عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب
أهدانا العالم التونسي الفاضل الشيخ محمد النيفر ، الجزء الثاني من هذا الكتاب ، فتعصفنا
فاذا به موسوعة تاريخية أدبية ، أثبت فيها مؤلفها الفاضل تراجم علماء تونس وأدبائها المبرزين .
ولما لم يكن لدينا الجزء الأول من هذا الكتاب لم نستطع معرفة الحدود التي رسمها المؤلف
لكتابته ، ولا العهد التي تحدث عنها ، فلم نل متفضل بإهداءنا ذلك الجزء لنوفي الكتاب حقه .

من الإصمحاق

عنوان لمجموعة فريدة في بابها ، من القصص المصرية البحث ، الذي لا دخل لأجنبي أو
أعجمي فيه ، حافلة بالمشاهد الواقعية ، والصور المصرية الرائعة ، وألوان الحياة القومية الصحيحة ؛
ثم هي تدل بحق على روح طيب عند المؤلف ، وتندرة على الوصف والتحليل ، في عربية
فصيحة ، وعبارات طليمة ، لا أثر للتكلف أو التعمل فيها ، بل لسنا نغالي إذا وصفنا مجموعته
بأنها المجموعة القصصية الأولى من نوعها فيما أخرجته المطابع هذا العام .
فندحت الشباب على قراءتها ، لما فيها من مثال يحتذى في الأدب القصصي المصري الصحيح .

مجلة النديم

أصدرت مجلة « النديم » القراء - وهي من كبريات صحف تونس - عدداً ممتازاً ، استهلكت به
عامها الثالث عشر من جهادها ، وهي حقبة من الزمن ليست قليلة في ميدان الجهاد الصحفي
المضني العنيف ، خصوصاً في قطر منكوب بالاحتلال كتونس .
لذلك يسرنا أن تستمر هذه المجلة في جهادها ، عاملة على خدمة وطنها الطيب ، بل جميع
الأوطان العربية والشرقية .
فليبارك الله في حياة « النديم » مادامت قائمة على نصرة الحق ، ورفع راية العروبة .

بين المعرفة والرقص

نشأة الرقص وقائده

(دنبرى . أميركا) إبراهيم حقى - أصبح الرقص (The Dance) دائماً فى كل الأمم ؛ فهل تعرفوننا عن نشأته وقائده ؟

(المعرفة) نرجح بالقياس العقلى أن الرقص فطرى فى الانسان ، بدليل أنه كان موجوداً عند الأمم القديمة كلها ، وقد كان بعضها يتوسل به إلى عبادة آلهتهم ؛ ومن أعرق الأمم شهرة به اليونان الأقدمون ، وهم الذين وضعوا له القواعد والأوضاع وكذلك الرومان ، حتى لقد غلا بعض فلاسفة اليونان فى نظرهم إلى الرقص ، فاعتبروه صنواً للشعر .

أما قائده فقسمان : قسم يقصد به خدمة الجسم لأنهم يعتبرونه بالرياضة البدنية ، ومن هذا النوع لا ضير منه إذا كان القصد حسناً ، وأما القسم الثانى فيقصد منه اللهو والمجون ، وهذا هو النوع الذائع الآن بكل أسف ؛ وما نشك فى أن ضرر هذا أكثر من قائده .

زرقاء اليمامة

(ميدان دلى . سو مطرا) عبدالله بن محمد يارباع الحضرمى - ذكر السلف أن زرقاء اليمامة كانت امرأة تبصر إلى مدى بعيد ، لا يقل عن ثلاثة أيام ، لو قطعت المسافة سقراً ، فهل هذا صحيح ؟

(المعرفة) قصة زرقاء اليمامة حديث خرافة ؛ فلا تصدق ما يقولونه فيها مطلقاً ؛ لأن الألبصار عن بعد ثلاثة أيام دعوى لا يؤيدها العلم القديم ولا الحديث ، ولو فرضنا المستحيل وسلمنا جدلاً بصدق المدعين ، لوقفت كروية الأرض حائلاً بيننا وبينهم . ولو أنك رجعت إلى القصة تستقرؤها لوضح لك كل ما نقول ، فقد ذكرت عرضاً فى معرض الكلام عن حرب حسان بن تبع وجديس ، ثم تطورت طويلاً وقصراً ، وزيادة وتقصاً ، وتعدد رواياتها مختلفين متباينين . مبالغين مسرفين .

أما اسم المرأة فهو حذام ، وفيها يقول الشاعر ساخراً على ما نعتقد :

إذا ما قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

فجر الاسلام

(الرباط . المغرب الأقصى) السيد محمد بن عباس التليج - في مقدمة كتاب « فجر الاسلام » وعد صريح من الدكتور طه حسين ، والأستاذ عبد الحميد العبادي ، بأن ثانيهما سيكتب الجزء الثاني من فجر الاسلام في الحياة السياسية ، وأن أولهما سيكتب الجزء الأخير - وهو الثالث - في الحياة الأدبية ، وكان مقدراً أن يخرج الجزء ان قبل صدور ضحي الاسلام ؛ ولكننا فوجئنا بعد مدة طويلة بظهور الجزء الأول من « ضحي الاسلام » لأحمد أمين ، فما معنى هذا ؟ وأين وعد الاثنين المذكورين ؟

(المعرفة) أخبرنا صديقنا الفاضل الأستاذ أحمد حسن الزيات ، أن الجزء الثاني من « فجر الاسلام » وهو الخاص بالناحية السياسية ، سيصدره الأستاذ العبادي في شتاء العام المقبل ، أما الجزء الثالث ، وهو الخاص بالناحية الأدبية ، فسيصدره الدكتور طه بعد الجزء الثاني مباشرة ، وفي مدة وجيزة .

منصور فهمي ومصطفى عبد الرازق

(ومنه أيضاً) عودنا أستاذة الجامعة المصرية القديمة والحديثة ، إخراج محاضراتهم في كتب مطبوعة تداع في الجمهور الذي لا يتيسر له حضور هذه المحاضرات . ومن فعل ذلك المرحوم الشيخ الخضري في كتابه « محاضرات الامم الاسلامية » ، والدكتور طه حسين في كتابه « الأدب الجاهلي » .

فلماذا لم يخرج لنا الأستاذان منصور فهمي ومصطفى عبد الرازق نتائج بحوثهما في الفلسفة لينتفع بها عامة الناطقين بالضاد في أنحاء المعمور ؟

(المعرفة) طلب محرر هذه المجلة إلى الدكتور منصور ذلك مراراً ، ومن سنوات ، وكرر عليه الطلب ، حتى لقد اتفق معه فعلاً على نشر سلسلة من الكتب الصغيرة في الثقافة الفلسفية والأدبية ، ولكن تواضعه الزائد يدفعه إلى الاعتقاد بأنه لم يفته من أبحاثه إلى النتائج الأخيرة التي يرتضى تسجيلها مطمئناً ، يضاف إلى ذلك مشاغله الكثيرة ، وميله في الأيام الأخيرة إلى الدعة والسكون .

أما الأستاذ مصطفى عبد الرازق ، فيأبى إلا التدقيق والتحقيق في دائرة خاصة لا يمتدداها ، تلك هي دائرة الجامعة ، يضاف إلى ذلك اعتقاده بأن الاتجاه الفكري عند الجمهور سيء الفطن بالفلسفة . وقد يشاركه في هذا الدكتور منصور فهمي ، وآبئنا على ذلك أن أكثر المحاضرات التي يقدمها أستاذة الجامعة للجمهور ينحصر في الناحية الأدبية والتاريخية ، فلهل سؤلكم هذا يبعث في نفسي الأستاذين روح المناوئل الحسن .

هل يتزوج ؟

(حيفا ، فلسطين) عبد اللطيف محمود — أنا طالب في الأزهر الشريف ، وأمضى العطلة الصيفية في بلدي الآن ؛ وقد لصحتي أصدقائي بأن أتزوج أثناء هذه العطلة ، أي قبل العودة إلى الأزهر لاستئناف الدراسة ، وهم يرون أن ذلك أكثر فائدة لي ، وأنا أرى العكس ، لأنني أعتقد أن زواجي الآن قد يؤخرني في الدراسة ؛ فما هو رأيكم في مسألتى الدقيقة هذه .

(المعرفة) أثار سؤالكم جدلاً طويلاً بيننا وبين فئة صالحة من أصدقائنا المخلصين ، منهم المربي والكتاب والشاعر والصحفي وشيخ عروبة أيضاً ؛ فقد عرض المحرر السؤال عليهم ، لأنه خشي أن يجيبكم بما لا يعلم ، لأنه لم يتزوج حتى الآن ، فرأيه في مثل هذه الحال لا عبرة به . والدليل على ذلك أنه كان يرى أن توقف نفسك على التحصيل ، مهملاً الزواج حتى تتخرج في معبدك ، ثم تجابه الحياة بسلاح من العلم والمال والجاه ؛ ولك من ثقافتك وخلقتك وبيئتك خير وأزعر . ولكن غالبية المجتمعين ، ساعة كتابة هذه السطور ، قرروا أن الزواج أصلح لك ، وأجدي عليك في درسك ؛ وكان أكثرهم تحمساً لهذا الرأي ، أستاذ من أساتذة علم النفس ، أخذ يقلب سؤالك على جميع الوجوه ، ويستقرئ خطتك وأسلوبك ، عله يصل إلى ما يزوره بنفسك ، وأخيراً أفتى بما أفتى الباقون فتوكل على الله وتزوج . ترولاً على حكم الأغلبية . ولا نحملني مسئولية ذلك في المستقبل ، لأنك سألتني ما ليس لي به علم .

هل للجنين روح ؟

(طنطا . مصر) عبد الفتاح خفاجه — هل للجنين في بطن أمه روح ؟ وإذا كان له ، فهل تكون فيه قبل الولادة ، أم بعد ولادته ؟

(المعرفة) ليس من شك مطلقاً في وجود الروح عند الجنين من مبدأ خلقه في بطن أمه ، ثم يكون في بطن أمه كائناً حياً ، فيه كل خصائص الكائن الحي ، إلا التنفس ؛ وقد أثبت علماء الفزيولوجيا ، أن وظيفة التنفس محصورة في تنقية الدم ، فيصلح كغذاء للإنسان . والله في هذا حكمته الخفية ؛ فإن الجنين بمجرد ولادته ؛ أي عند استقباله الوجود ، يبدأ تنفسه ، ومن ثم يستطيع الحركة والنباح . . . الخ .

فهرس

الجزءين : الثالث والرابع من السنة الثالثة

٢٦٠	ثقافتنا العربية : أياں تنجہ و تسيہ ؟	بقلم الحرر
٢٦٣	ألررد لورد تفسون	» »
٢٦٥	الأصل الحيوى والأصل المادى	للأستاذ محمد فريد وجدى
٢٦٩	مهديو بنى العباس	للأستاذ مصطفى جواد
٢٧٣	صفات محمد وعلاقتها بطبيعة دعوته .	للأستاذ عبد العزيز البشري
٢٧٨	بكاء الشباب (قصيدة)	للأستاذ على الجارم
٢٧٩	سفينة الحياة (شعر)	للأديب عبد المجيد عيسى البيه
٢٨٠	ابن سينا حياته وفلسفته	للأستاذ محمد ثابت الفندي
٢٨٧	أهل الكهف (قصيدة)	للأستاذ محمد الهراوى
٢٨٩	البوصيرى	للأستاذ محمود عرنوس
٢٩٥	الانسان والكون	للأستاذ محمد محمد السيد
٣٠٠	الإسلام وأثره فى العرب	للأستاذ السباعى بيومى
٣٠٥	علاقة الآباء بالأبناء	للآنسة زينب الحكيم
٣١٢	المرأة الشرقية وشقاء حياتها الزوجية	للأستاذ إحسان سامى حقي
٣٢١	ضحايا محاكم التفتيش	للدكتور على مظهر
٣٢٦	كيف أصبحت روما سيدة إيطاليا ؟	للقורך مانديل كرىجتون
٣٣٧	اسماعيل باشا صبرى	للأديب المبارك ابراهيم
٣٤٣	ظلامه الكريم (قصيدة)	للأستاذ مرسى شاكر الطنطاوى
٣٤٤	حمد المجتمع	لهنريك أبس
٣٥٣	لأنجلاند الأنجليزى	للأستاذ رشدى ميخائيل السيسى
٣٥٨	الذكرى بعدوداع الأصيل (قصيدة)	للاسيد صالح الحامد العلوى
٣٥٩	أشيك كريب (قصة تركية)	للشاعر الروسى ليرموتوف
٣٦٧	إثنى كنت كتوما (قصيدة)	للأستاذ عبد اللطيف ثابت
٣٦٩	فرويل مؤسس رياض الأطفال	

أبواب المعرفة

٣٧٤	بين المتناظرين (نقد أبى الوفا)	٣٧٦ مملكة المرأة والبيت
٣٧٩	العلوم والفنون (كهرباء ترسل بالبريد)	٣٨٥ مكتبة المعرفة
٣٩٦	بين المعرفة وقراءتها	

في التربية والتعليم

تأليف الأستاذ الكبير أحمد فهمى العمروسى بك

هو دائرة معارف عامة في التربية والتعليم ، لكبير المربين الأستاذ الفاضل أحمد فهمى العمروسى بك . تناول أغلب مباحث التربية وموضوعاتها التي تثار البحث حولها في الماضي والحاضر بأسلوب سهل ، وعبارة مفهومة ، وشرح كامل ؛ وتقع في ٣٢٠ صحيفة من القطع الكبير ، والكتاب واضح الحروف ، جيد الطبع . متين الورق وبه ٢٢ صورة على ورق مصقول . ثمنه (٤ قرشاً) يضاف إليها (٥ قروش) أجرة البريد ، ويطلب من إدارة « المعرفة » . ويهدي مجاناً للمشاركين الذين سددوا قيمة اشتراك السنة الثانية . هو مجلدة يلغى ألا تخلو منها مكتبة أى مدرس أو أديب .

مجموعات المعرفة

ترسل الإدارة إلى من يطلب مجموعة السنة الأولى ثمن قدره ٥٠ قرشاً مصرياً لمصر والسودان و ٧٠ قرشاً للخارج . أما السنة الثانية فثمنها ٤٠ و ٦٠ قرشاً . ولاحق للطالب في الهدايا مطلقاً ، إذ هي وقف على المشتركين . كذلك ترسل الإدارة الأعداد الناقصة التي يطلبها راعبوها ، نظير ٤ قروش للعدد الواحد ، عدا العدد الأول ، فثمنه ١٠ قروش مصرية . ويجب أن ترسل القيمة مقدماً : أذونات أو طوابع بريد ، أو حوالة على أحد المصارف المالية الموجودة لها فرع بالقاهرة .

عنوان المجلة (٤ شارع عبد العزيز بالقاهرة)

قيص الأوبرا الملوكي

القومية المصرية تطالبكم بتفصيل ما يلزمكم من قسمان أو بيجامات أو كرافتات في هذا المحل الذي يديره أحد مواطنيكم ، نخابروه بعنوانه الآتي : —
محمد جلال عامر

٩ شارع عبد العزيز عمارة باناجه باشا تليفون رقم ٤٢٤٠٠ بالقاهرة